

أسرار المدينة

الغيطاني

olin  
PJ

7826

H67

A75

1985





3 1924 059 098 008

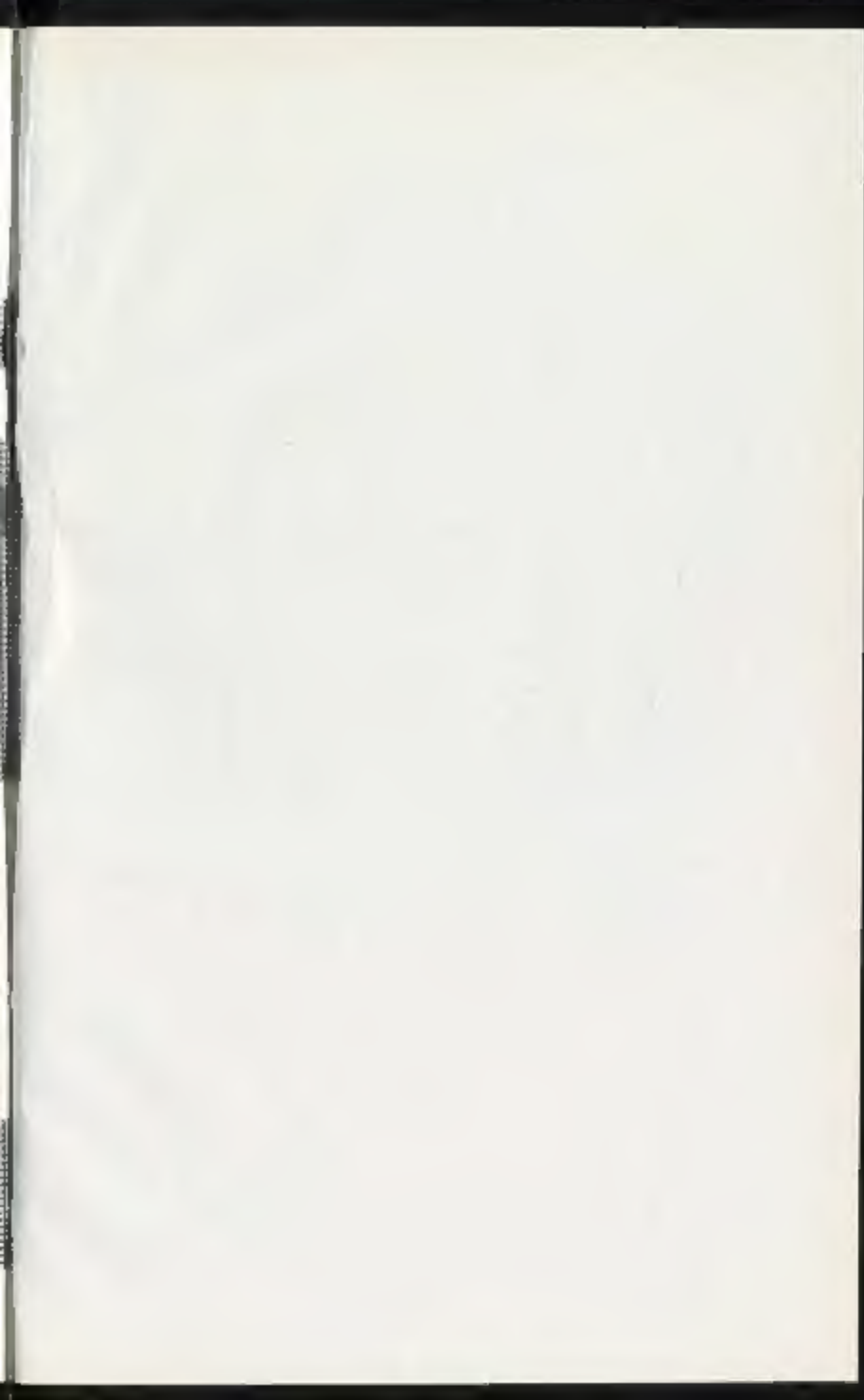


كتاب اليوم

# حراش المدينة



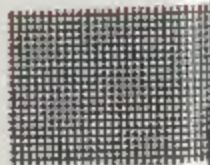
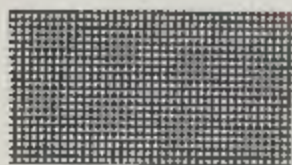
قال الفيطاني



جمال الفيضانى



أحراش المدينة







الخلاف بريشة الفنان  
الأستاذ حسين بيكار

---

سكرتير تحرير تنفيذي  
والرسوم الداخلية • معهد مفت





## تقديم

... أعمال جمال الغيطاني الروائية والقصصية . يعرفها العلم  
ن ، بعد ترجمة روايته ، الزينى بركات ، إلى الفرنسية وصورها عن  
لوسوى العالمة ، ونقلها إلى عشر لغات عالمية أخرى . بالإضافة إلى  
ماله الأخرى التي نقلت إلى مختلف اللغات .  
منذ خمس وعشرين سنة بدأ الغيطاني مسيرته الأدبية ، بالتحديد في  
م ١٩٥٩ ، وبدأ نشر إنتاجه عام ١٩٦٣ . وعبر هذه المسافة الزمنية  
رى الأدب العربي ، وأضاف إليه ، وفتح أمامه أفقا في التعبير  
تطرق من قبل . لفت أنظار النقاد برواياته الخمس ، ومجموعاته  
قصصية الست . من خلال إبداعه يبينو كتابا متفرد الأسلوب .  
تأثر بالتراث العربي ، بالتاريخ المصري ، بلغة المتصوفة ، أحياء  
كألا فنية كانت قد هجرت ، الأزمة الماضية عنده سيالة متدفقة ،  
هذه المخفريات القصصية التي يقدمها له ، كتاب اليوم ، تمثل تطوره  
لال ما يقرب من عشرين عاما ، نقدم فيها أجمل ولرق ما كتب منذ  
م ١٩٦٢ وحتى لواخر السبعينات . مما يجعلها مجموعة بالغة  
قيمة ، ممتعة للقارئ والدارس على السواء . .

● كتاب اليوم ●

## المحتويات

- زيارة ..... ٥
- احراش المدينة ..... ١٠
- رسالة فتاة من الشمال ..... ٢٢
- ليلم الرعب ..... ٢٩
- ارض . . ارض ! ..... ٥٧
- وقائع حارة الطبلوى ..... ٧٧
- حكايات الغريب ..... ١٦
- القرام ! ..... ١٥
- لا أحد في وداع المسافرين ..... ٢٦
- كشف اللثام عن اخبار ابن سلام ..... ٣٤
- دمة البلكى على طبيبفا منصف الشاكى ..... ٤٣
- صدر للمؤلف ..... ٥٨

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨٥ / ٢٨٧٢

التقديم الدولي ٦ - ٩٨ - ١٢٤ - ٩٧٧ - ISBN



# زيارة

خان الشارع الطويل يكاد يكون خاليا من الناس وبين لحظة  
أخرى تهب ريح من ناحية الجبل . فتكثر دواسات صغيرة من التراب  
العبار والغش تصطدم بجدران المنازل وأعمدة النور الفضية اللون  
سيفل المارة القلائد . كل الهواء جالجا مليئا منارات دقيقة من الزمهرير .  
فيما اكتست السماء بلون اصفر قاتم . وفي الشارع تنتشق من الأرض  
أباعد متساوية اشجار قد تساقطت أوراقها وتعتت فروعها . . إنه  
كان بعيد عن مخزن الترام . ويقترب من مستشفى حميات  
العسكرية . الذي يقع بعده مستشفى المجانين . .

بعد مسافة ليست طويلة ، اصل الى هناك ، رائحة التراب الجاف  
قادة . إنها تملا أنفي . لها وخز نفس الرائحة التي كانت . .  
.. في تلك الليلة .

راقبت فوق السريور . حملت عيماء في السقف ، الظلام خيم فوق  
الخدمة . الليل خامد الانفاس ، كثيف طويل ، في أنفي أزيز خافت  
ينقطع لم أدر مصدره . كانت هناك أصوات الليل الغامضة . عواء  
من بعيد . بكاء طفل . صوت لم يعلو سكون صمت . دقت  
ساعة حامت أمي وجهها شاحب . مليء بالحيرة .

— أبوك

— ماذا به ؟؟

— إنه على غير عاقبة

— كما حدث في الأسبوع الماضي !

— بل العن من ذلك

— العن من ذلك . . ؟

شعرت بقلق وتسربت الى ادنى اصوات غلغلة مرتعشة لم اعم  
ما هي في بادئ الامر ، وعندما استطعت ان ارى جيدا في الظلام  
وجنته يجلس في السرير يحلته الصفراء التي رفض ان يخلعها عن  
جاء من العمل كان يرفع وجهه الى السقف ويحلق بعينين جاحظتين  
ثم يعد على اصابعه ويقول خمسة عشر . اربعة عشر . ثلث  
عشر . لم يبق في الشهر الكثير . ديون ستسد . اول الشهر  
الشهر

— ديونه ؟ اي ديون يا امي ؟

— إنه يفعل كما كان يفعل ايام بطاقتك . انذكر ؟

— نعم انذكر . إنه كان يقضى الليل ويحسب ديونه المتر  
عليه .

في هذا الوقت كنت بلا عمل ومرتبتي ضئيل  
يسند راسه الى يديه ويبكي بكاء خافتا ثم يهمس  
ضاع . . ضاعت

— هل اذهب الى حجرته . . ؟

— تعال يولدي . فانا لم احيء إلا لهذا

ازدانت رائحة القواب الجاف في انفي ، لم اكر الى مصدريها  
الركن المظلم ، خربشة فار . ملا شك . فار . دخلت الحجرة ، صفا  
الظلام . توقفت لتنظر ناحية السرير

— امي . لماذا تسهر حتى الآن ؟

— هيه . . نعم . . أه

— امي . اقول لماذا تسهر حتى الآن ؟

— ديون . احسب ديوني يا بني . ثلاثة اربعة خمسة

عند المنعم المقل . . على الجزار

— لكن لم يعد هناك ديون تحسبها فما الذي تحسبه ؟ ؟  
صرخ قفز ، لوح بيده

— ابتعد عني ساغط في الحساب الا يكفيك عاطل  
حدث الشهادة ولم تعمل فلماذا تريد ؟ ؟  
— ابي ؟ ؟

— اذهب بعيدا عني قلت لك اذهب ساغط في الحساب  
الجزار البقال صاحبة البيت

— لم يعد هناك ديون يا ابي ولم اعد متعطلا

— اذهب من وجهي انك متامر ضدي تريد ان يقتلونى  
الجزار البقال صاحبة البيت ال ال ال

صوته يذيب سكون الليل ، منازل حارثنا متلاصقة ، اقل صوت  
يجعل النواخذ تفتح والانوار تضاء والرعوس تطل ثم تسال

— لماذا هناك ؟ ؟ — من يتشاجر ؟ ؟ — من ؟ ؟

تستمر التعليقات ثم يعود الصمت تراجعت الى الخلف سمعت  
صوت نكاء امي ، جسمها الندين بهتز

— يا خسارتك

— لا تيكى يا امي

— لماذا لا ابكي يا ولدى ؟ ؟ هل هذه مهلة ابيك ؟ ؟ مسكين

مسكين زمان زمان زمان

كنت اشرف على نهاية دراستي ، بقى لي شهر ، احصل بعدها على  
شهادة متوسطة ، فجأة حاصتنا اختي من الصعيد ، طلقت ،

اولادها ، زادت بطفلتنا ومرتب امي ضئيل لم يحتمل ، من قبل كانت عليه  
ايون كثيرة ، مرت شهر عسيرة جافة بين شهر واخر يرحل الى القرية

البعيدة

— هناك في احضان الصعيد ما عا بقى من الأرض الضئيلة ، ثم  
عد ذات مرة قال لم تعد هناك ارض لتباع بدا يبدو شلدا ذاهلا

طوال النهار ، يهود من عمله يمسك ورقة وقلم ، تتمم شفتاه بارقام  
كثيرة ، هي قروش ، جنيهات للدائنين . خرجت فلم اجد عملا  
اصبحت في بظالة احثى لا تزال معنا . اولادها لربعة .  
مسكين لبي . ١٠

خرج الى ذات مرة . بعد قليل غادرت المنزل خلفه وصلت الى ميدان  
الحسين وقفت ذاهلا . لمحتة . يضع طرف جلبيله المهترىء في  
فمه كان لا يزال يدور في الميدان مقلب الجبين ، زائغ العينين  
يشير للناس باشارات من يده . حلتز  
مسكين لبي اقتربت يوما منه

— مالك يا لبي ؟

نظر الى ، لم يجب

— إنك تدور في الميدان . ولم تذهب الى عملك

نظر الى مرة اخرى . هبت ريح من ناحية جبل الدراسة ازداد  
عابرو الميدان سرعة - اعمالهم تنتظرهم - حلق لبي في وجهي . انطلق  
من امامي فجأة اسرعت خلفه . فجأة احتفى ، ابتلعه الزحام الكبير  
مسكين لبي

من اسبوع لا اكثر . . ١١

كنت قد حصلت على عمل متواضع - سددت ديونه - في عصر يوم  
جلست في المنزل كنت مرهقا . فجأة اندفعت امي الى صالحة  
مولولة

— امي ماذا هناك ؟

— ابوك ابوك

— ماذا جرى له

— ساع من الوزرة التي يعمل بها جاء في الخارج يرفق  
الكلام ويطلب رؤيتك حدث شيء حدث شيء

— اين هو . . اين . . اين . . ؟ ؟

اسرعت الى الخارج . سماء معتمة تكسوها السحب الغلظا

الدهار يحتضر السطح الذي يسكن فوقه بحر كثيب ولولت  
أمي صرخت أمي قال الساعى الضئيل الجسد  
— أنت عماد ابن الحاج حصن ٤٠

— نعم . . نعم .

صراخ لا ينقطع ، تجمع الجيران ، بكاء اختى ، قال الساعى .  
— قوى من عزيمتك ابوك ارتفع الصراخ الاولاد انفجروا  
بالكفاء راحت أمي تدب جدار الغرفة الخشبي بيدها استمر  
لساعى .

— كان ابوك يجلس في الوزارة يتعمق بأشياء غامضة . لست أرى  
أما هي . فجأة نهض وانطلق رفع قبضته الى السماء مهددا  
وصرخ . . ضاعت ضاعت اربعة خمس . تسعة سبعة . .  
بعد المنعم البقل يريدني ان ادفع ليس معي . اربعة  
الاولاد . مطلقة كلن يهذى . . ويصرخ تكلمينا عليه ثم . .  
صراخ صراخ جسد أمي البدين يهتز ولولت اختى .  
الجيران ينهلمسون الخبر ينتشر الريح أصبحت جاللة  
الرائحة تعلا أنفي

مسكين . . أبي . .

من بعيد لاح المبنى غبار تراب أمي المريضة الآن في  
الزلزل . . التراب الجاف  
مسكين أبي . .

من بعيد لاح المبنى الكبير مرة أخرى أكثر وضوحا وحوله  
الأشجار الجرداء الساكنة وازدادت خطوات عماد وهو يقترب من  
الباب الكبير الذي تزحم أمامه الناس والباعة  
حسنا . . مازال الوقت ميكرًا

( ١٩٦٢ )

• • • •



# أحراش المدينة



جئت ؟ ؟ كم إشارة مرور عبرت إلى هذا  
الشارع ؟ ؟ فجأة انتبهت إلى قدمي فوق  
رصيف شارع سليمان . آخر طريق أذكره  
جيدا . سور الأزبكية . وقفت عند باعة  
الكتب . لم أجد كتابا جديدة .  
وعندما عبرت منتصف السور .

والقربت من مدخل الحديقة استنفضت بقوة رائحة فول سوداني .  
أحسان يتصاعد من مدخنة قصيرة كتعت لنفسى انحناءة الظهر .  
أفاما . الطرحة السوداء والجلسة الطيبة الهائلة . وقفت خلف  
أشعة الفول السوداني يد خشنة تقبض قلبي درت حولها ورفعت  
وجهها فويل يا بك ؟ ؟ خيبة الأمل هي هي لا تشيب ولا تصغر  
عبرت إليها بحنين . في ذقنها وشم أخضر ملثت بافت كامى تقارب  
بحسين أمى ليس لها شهادة ميلاد

سألنها كم عمرك يا أمى ؟ ؟ لا أعرف قلت كيف ؟ ؟ قالت عندنا في  
بلدة لا تبلغ العائلة عن ولدها فبقى بلاشهادات ميلاد .

اي حنين ملا نفسي لهذه المرأة مائة الفول ؟ لو سألتها من  
بلدة انت ؟ كتبت افعل كم عمرك ؟ لتعرفين انك تشبهين امي  
انظرا نور إعلان احمر فوق واجهة متجر ثم اضاء وحولت عيني  
جيت الفول تحمست جيبي اه لو معي قرش زيادة عن حاجتي  
لا شترت منها

ارتفعت ضحكة بنت تسير خلفي وتوقف شاب يتأبط ذراع فتاة  
امم فترية . عبرت إشارة مرور وزمجر محرك عربة وصاح جند  
المرور اسرع اسرع ظلت خطواتي بطيئة وصلت  
الرصيف ولم اعتقد انها تمنع الفول ؟ اه لو يوجد سجل يحوي  
اسماء البائعات كلهن لو يوجد واحد كهذا لدهت اليه وبحثت  
عن اسمها واذا كانت تباع فاي شيء تبعه ؟ التين الشوكي  
وتحتل اصابعها شوك التين واستزاعه آخر الليل بملقاط ؟ لا اظن  
ربما البلبلة ؟ لقمة القاصي ؟ يا هه اشياء كانت تعدها لي انا  
طبق لو التين ولم لا تعدها للناس بدلا من واحد عشرة ربما  
الجلوى امل مدارس الاطفال

من ايام قمت سكرا وصباح شتاء غامق ابعث في الصمت صا  
رايمو حاد ثم دقت ساعة ست مرات رزية بلردة عميقة كالشتاء  
هذه الدقات استرد حريتي . ففرت من سريري ولم احدث ضجة  
لا لوقف صاحبي الراقم بخوازي خرجت الجو بارد برودة تلج  
تلسع اطراف انفي وجبهني وانفي وقميصي خفيف زمل عند  
كنت اقصر من طولى الان خمسة عشر سنتيمترا واصفر من عمر  
سبع سنين تقف بجسمها البدين القصير

لا تخلع ملابسك الثقيلة الدنيا برد  
في السماء غمام رمادي متلاصق معتم وقم البيوت الصفا  
الهامة غارقة في ضباب لم ار ضيحا اكنف ولا اشد من هذا الضباب  
المخيم فوق القاهرة في الصباح ثقيل لزج كاللبن من بعيد اصو

مخوفة مرتجفة فكرت باى مدرسة ابدا ؟ وبالقيل قبل ان يتام قال زميلي .

ابحث عنها لئلا اى مدرسة ؟ ؟ ربما تتبع الحلوى للصغار  
لو البسكويت يوجد عدد كبير من المدارس في الحي ؟ ؟  
اقن سبعا تسعا معظمها مدارس ابتدائية . وعلى العموم  
اسأل المدارس هما حوار ولزقة . الشارع ظل في الصباح إلا من بعض  
العمل يسيرون بسرعة عندما كنت اعمل في ذلك المصنع تبدا  
. النوبة . في الساعة صباحا بالنسبة للسيدات والانسات ها  
وهل اسمهن سيدات ؟ ؟ سيدات ؟ ؟ اما الرجال فالساسة والريع القوي  
حد بعدها الدقيقة بربع يوم لم يخصم منى سليم واحد اى توقفني  
في الصباح . على الرغم من البرد برد الشتاء عرفت الفول تفرقع  
عجلاتها الخشبية فوق بلاط الشارع المضلع وبعض الفوانيس  
مضاءة . دورها يسيل شريط رفيع مختنق من الزيت في يوم الجمعة  
بالذات . زمان . انام حتى التاسعة يوم الراحة لا توقفني . عندما  
اصحو اظل في الفراش مغمض العينين . افكر في الاشياء والاشياء  
اشعر بها تقرب منى . تمد يدها لتلمس جبهتي وتراجع تهمس  
لنفسها ليتم ويشبع نوما وتعود الى جلستها اه يا امي اه لو  
رايتهم في السجن كيف تنهال عصيهم علينا لنقوم في منتصف ليل  
الذبح اى شيء كنت تفعلينه وقتئذ ؟ ؟ توقفت فجأة مرتت سيارت  
عديدة ضخمة وجلس شنان على سور حديدى امام متجر . يعلقون حول  
اكتافهم بلوفرات صوف ثقيلة شعرت بوخز البرد في جسمي اهذي  
طريقكم لارتداء الملابس ؟ ؟ مد شاب يده وعمره ثمانية . نظرت إليه  
بغضب منهك . كم الساعة الآن . ؟ اه لو معي ساعة لن اسأل  
بمنا فنظري لن ياتي لي بالرد رجل انيق

— كم الساعة من فضلك ؟ ؟

— اه ؟ ؟ اه . الساعة سيكس اشد هاف .

مصرى ؟ ؟ كانه يقول في يامن الكلب اشد هاف ؟ ؟ لو عندي  
القدرة على الضحك لاستطقت على قفاي والله حول رقبتة سلسلة لم

يتفق الكثير على القهوة . لن أفكر فيه . كيف تعثر على امك والاف منه  
موجودون هاهنا ؟ القهوة لم يبق عليها الكثير . نقت الساعة يومها  
سبع دقائق . نرت على مدارس الحى واحدة بعد الاخرى . بدأ الطريق  
يمتلئ بالصغار . وجاء بائع كشرى وبيئع حمص ضامى القف حولهما  
الصغار . رحت لراقب واحش . اقتربت من تلميذ صغير امام مدرسة  
اخرى فى حارة بعيدة . يتشاطر . الا تاتى الى هنا بائعات ؟ ؟  
اى بائعات ؟ ؟

نساء عجائز يبعن اى شىء . لس عجانز تعاما . حلوى  
يوم . ام تر واحدة قصيرة فى وجهها وشم اخضر  
رفع راسه . وحقق قلبى كما لم يخفق ابدا . ملامحه بها شىء  
اهلك واحدة ضلعة منك كالتي تصفها ؟ ؟  
نعم . ابحت عن واحدة مثلها  
قل الصفر

فى هذا المكان . بجوار سور الجامع . هذا السور الحديدى .  
كانت تجلس امرأة . انقول إنها قصيرة ؟ ؟ كفت طيبة ولا تضحك  
على احدنا ونقوصى مى عندما اشترى منها الحلوى و . . و . . و . .  
— اين راحت . اين . . اين ؟ ؟  
اين راحت ؟ ؟ طردها شيخ الجامع مرة . رجعت ثلثى يوم  
جلست هنا مكان وقوفى نعم هنا . . مرة واحدة . اه .  
وعندما رجعا من الاجازة لم نجدها . لكن والله سالنا بعضنا  
عنها . . آه والله العظيم .

— ام ترها فى شارع . ميدان . حارة ؟

حارة ؟ ؟

قل عم اسماعيل بائع الفول حارة الوطويط . اتعرفها ؟ ؟  
طبعاً . مررت بها كثيرا . رايت هناك امرأة . ترتدى ثوبا اسود  
تجلس باستمرار . .

حارة الوطواط ٢٢ ضيقة مبلطة .

قال صاحب نكن الورق الواقع بالقرب منها . في هذه الزاوية رايتها كثيرا صامتا مخمضة العينين ترتدى دائما ثوبا واحدا لا تكلم احدا ولا يكلمها احد ويقول محمد فراش هذه المدرسة انه سمعها تيكى في ليلة سوداء هطلت فيها الامطار واظن اننى لم ارها بعد ذلك سالت ماسى بعد هذه الليلة ٢٢ قال نعم الا تعرف اين راح ٢٢ قال لا لدرى ربما تجلس حول سيدنا الحسين فالجنوبيات يمتن هناك باستمرار

قلت وهل بدت عليها علامات المخاض  
احاب بصراحة واه ابدا لم تذكر شيئا ابدا ولم تسال هل انت  
صحفى

قلت ابدا . لست صحفيا

دبرت حول الحسين لين انت بالامى ٢٢ نساء يلبسن ثيابا بيضاء وخضراء ومن كل لون سالت عامل مقهى قال لا اعرف سالت حاتم الجامع قال لم ارها سالت ودبرت الصمت  
اهكذا ٢٢ اهكذا يا امى ٢٢ تذهبين ولا لدرى اين انت ٢٢ خطاباتك وصلتنى بالعقد هناك ثلاثة احفظهم في جيبى اه لو اعرف من كتبهم لك خمس سوات ظلت لرى المغرب فيها اصفر كلون الرمل السجن بسقة رجل مسلول في صحراء واسعة مخيفة في وقت الراحة اجلس ورأسى بين يدي اخاف عليها اى شئ تفعله الآن ٢٢ كيف تعيش وتفكر ٢٢ وهى التى لو وضعتها على راس الحلة لاتعرف طريقة العودة الى البيت ٢٢

ويقول زملائى لا تشغل ملك الم نقل إنها تعرف حيلة الشيب . ٢٢ وربما ذهبت الى اقاربها وتتزلق الشمس مخفية وراء الافق ويسودنا سكون كئيب ويجلس فوقنا الصمت . والورقة ما زالت مدلاة في يدي ويرتفع صوت زميل مؤثما خلفنا اتعرف ٢٢

اشعر بها . إنها امي . لم يكن لي ام طوال حياتي . لم لرها . ان قلبي  
 على امك لا يقل عنك . اسمح لي ويقول لآخر اننا نحبها . بعد ان  
 نخرج لا بد ان نراها . اه . ولم اجدها . اه لو تعرفون اين هي  
 الان ؟؟ في اى عمارة شقة حجرة في هذه المدينة الهائلة المتوحشة  
 الضيقة ؟؟ فوق اى رصيف ؟؟ جدار ؟؟ بلاطة ؟؟ تاكل ؟؟  
 تشرب ؟؟ تشعري ؟؟ تعرف اننى خرجت ؟؟ لكن لا بد ان اعثر  
 عليك . لا بد لا بد . ساصل اليك مهما كان الزمان . وفي اى مكان  
 ساسد راسي على قدميك . وتعبدن باصابعك في شعري الشمس فوق  
 السطح وحولنا الدجاج اى ايلم بعيدة هذه ؟؟ داغنة مقبضة  
 حزينة لا نخلو ساعة من صوتها . اه . هل اصنق نفسي  
 اصنق انى تشاجرت معها في يوم . بل في يومين . الا اكثر من مرة  
 ومرتين وبكيت وضربتني . وبكت هي عندما خرجت هالما على وجهي  
 الى باب النصر متصورا اننى ساصل عند شواهد قبوره الى نهاية  
 العالم . خرجت ورانى . علمت بي الى البيت . انا لا اعرف الآن كيف  
 اجدك وارجع بك . اه لو رايتك فجأة تدبين وسط الناس حتى لو  
 شحاذة . لو اى شيء . فقط اعثر عليك . اى فرحة ستغمر وجهك  
 الطبيب ربما ربما لحقها العمى في هذه السنين . استشعري ؟  
 ستشعري بوجودي .

عندما عبرت ميدان الحسين لم اصنق اننى اعيش لم ار شيئاً  
 اصوات الجارات وهن يتحدثن معي . واقف امام الحجرة الضيقة التي  
 ضيقنا شعرت بما حدث عندما فتحت باب غرفتنا شابة صغيرة اى  
 شعور مزقني ؟؟ فلانقطاع الخطبات سنين بنير الندير  
 امي اين امي كما تسكن هنا . اننى هنا من سنين  
 تلت حولي ربما نسيت البيت لكنه هو . هربت الى اسفل . خرجت  
 جارتنا القديمة روحية . البيت إذن هو البيت . والمسكن . والحجرة .  
 والركن . . لكن امي ليست فيه . لآخر مرة رايتها عندما جاء بعض  
 الجنود من القسم وفتشوا البيت بعد ذهابك بشهور وسمعناها تبكي .



ولم يخرج احد منا ، فكلنا نخاف منهم كما تعرف ولم نسمع صوتها بعد ان ذهبوا .

الم تريهم عندما نزلوا . ربما اخنوها معهم  
لا . نظرت من وراء النافذة بعيني كلى معهم صاحب البيت  
وكتب انظها لك ، وفي الصباح طلعت الى السطح وناديتها فلم اجدها  
كلن الباب مفتوحا . .  
. . والاثنان ؟ ؟

. يا عيني عليها . وهل بقي ثلث ؟ ؟ كسروا السرير وطردوها  
اكثر من مرة . . بعيني رايتها تمام على بلاط السطح . واخذتها عندي  
اكثر من ليلة الاثنان ؟ ؟ باعت منه جزءا وكسر منه جزء .  
الاثنان ؟ ؟ ضربتموها ضربتموها ؟ ؟ ياكلاب الرقيقة .  
البسيطة الطيبة القلب ثم طردتموها وثلعت على بلاط السطح .  
وصاحب البيت الجبان اتعرفون ما الذى جرى لها ؟ ؟ اتعرفون ؟ ؟  
اهذه تحتمل ضربا ؟ ؟ جسمها خلق للضرب ؟ ؟ تفخر طوال عمرها ان  
ابى حتى موته لم يرفع لى وجهها كفا . لم يضربها بعضا وتجيئون  
انتم لتضربوها وانا اعرف ضربكم يام . كيف احتملت ؟ ؟ كيف  
بكت ؟ ؟ كلكم السبب اه لو اعثر عليك لاعوض لك ما فات . . طبعاً  
ازدادت كبراً على كبر . فى يوم تعددت على السرير بعد عودتى من  
المصنع اعدت لى الطعام اى طعام اعدته لى يا امى ؟ ؟ وضعته  
فوق السرير . جلست صامتة بجوار الجدار اشعر بنظراتها . تطول  
مدة . وتنتهد ثم تطرق براسها ويصرخ طفل فى الحارة . وتصيح  
امراة تنادى ابها وترفع امى عينها الى السقف . وينبعث صوت راديو  
من بعيد فى ايام الفصيل تغنى

« انور على راح منى » يوم واحد سمعتها تغنى . على بلد  
المحبوب وينى . . لم تفصل ابدا فى ايام اجازتى . عنت مبكرا فى  
يوم ولم تكن انتهت من تنظيف البيت . رايت وجهها اصفر شاحباً . .  
وعظمتا وجنتيها برزتا يام . لم لا تريحين نفسك ؟ ؟

ضحكت وكلما انظر اليها لا اشعر انها غاضبة او حزينة كأنها  
تفكر في أشياء حلوة بسيطة صغيرة مصباح يضيء وجهها . يومها  
ادركت أن أمي كبرت لم اشعر بذلك مطلقاً من قبل احسست اني وقعت  
على اكتشاف هلال مريع امي كبرت ؟؟ اعوام واعوام خلال السنين  
الخمسة . كم زادت ؟؟ كيف اصبحت ؟؟ وجهها ؟؟ كل شيء يتغير  
وحشي به اثر الجروح هل ساعرفها ام هي ؟؟ قلب الام دليلها  
دليلها

. انتهت الى انني لم اخذ نفسي من لحظات طويلة دفعت  
الهواء الى صدري عضضت شفتي بقوة وهؤلاء الناس ايعرفون  
اني احدث عن امي ؟؟ يضحكون اضحكوا يا ناس سليمان السبب  
اكره كل ما في هذا الشارع وما يحيط به من شوارع حتى العطر الذي  
يملا هواء انوار ميدان التحرير تمدو من هنا أين هذه القهوة التي  
يجلس عليها الموظف ؟؟ صاح بائع الجرائد سألته عنها  
— امامك على الرصيف المقابل

لم اعبر الى الرصيف المقابل ما زالت اقف على الرصيف المقابل  
للا ملا ؟؟ ارجع يا الفندي خطوة . صاح عسكري المرور ومن ايام  
وقع ضابط تحت ضربات زميل لك في شارع قريب وصفق الناس  
واندفعوا واندفعت معهم - تغيرت ؟؟ واذا زادت السون كرا  
فكيف اصبحت ؟؟ ستزداد طيبة وتعنى من اكثر تفلس قمصاني  
احسن تقتل البق وتطرده حتى لا يقلقني في نومي تبحث لي عن  
زوجة هذا ما سببها من تغير اه يا امي اه . لو حلقت فوق  
البلدة كلها اصرخ واسأل ليعرف الناس ان اعز شيء عندي ضاح  
ايبحثوا معي عنها ويسألوا بعضهم في الغيطان والقرى والبلاد  
والمصانع ويجدوها ايك ها هي . اصحيح لا يعرفون اين هي ؟؟ الا  
تقول وجوههم انهم يعلمون ؟؟ ألم يقل المصى إن بائنة طيبة لم  
تضحك عليه ابدا كانت امام المدرسة ؟؟ وحارة الطوليط ايعرفون  
ايعلمون اين فلم لا يتكلمون ؟؟

. . رائحة الصباح تحمل الى صدرى الاسى العاشرة وما قبلها  
 ادور فى شوارع المدينة . الشمس لها طعم وخطوات الناس  
 ومشيهم والعربات طعم مر عدى لم . لا ادرى ركبت  
 السيارة المحصل يصيح بلا انقطاع نزلت فى مصر القديمة  
 ذهبت الى شوية الغلال العول والصمسم والدره والقمح هنا تحار من  
 بلدتنا كانت امى تذكرنى دائما ربما التقوا بها ربما عرفوها بعد ان  
 اختلطت من حياتها فنظروا الى شعرت لنى محيف وتالمت وتارجحت  
 المراكب على النهر وتناثر رذاذ خفيف وبدا الماء اسود داكنا وصرخ  
 عامل صعيدى من فوق صارى قل النلجر  
 يسلمتر ولم تجدها الى الآن . . جئت اليكم ابحت  
 عنها

لم نرها . . لم نرها  
 مرت امرأة عجوز تحمل كيسا لوحوا بايديهم ابتعدى الله  
 يسهل لك  
 ونظرت اليهم صامتون شعرت انهم يكتبون رلوا مرة مصدفة على  
 الاقل احسوا بها ولو واحد منهم واحد هروا رؤوسهم المعمة  
 وقالوا يلحساره بفت ناس  
 عندما قمت قل اكبرهم الشيخ فرج  
 بحثت عنها فى المستشفيات

مضيت . اصوات العمل الصعيدة تتصاعد يحملون  
 المراكب باجولة القمح والذرة مشيت حتى بقايا بوانات المسطاط ثم  
 فم الخليج ركبت الاتوبيس وسار بمحاداة النيل . تذكرت موظفا  
 يسكن بالقرب من بابى اللوق من بلدتنا وتكرت اسمه كثيرا املى  
 صنعت الى مسكنه فتحت الباب فتاة بمنظرة طبية قالت بابا غير  
 موجود قلت اين استطيع العثور عليه . .

بالليل فى هذا المقهى  
 مقهى مزدحم . شعقد سحابات البخان . لايد ان اجده لست ادرى  
 ليعرفنى لم لا . .

اسمه يوسف وموقفه -

الشيخ فرج تاجر الغلال الكبير قال ابحتت عنها في اقسام البوليس ،  
جارتنا روحية تلفتت حولها ومصصت شفيتها جاء جنود وفتشوا  
البيت سمعناها تبكى وفي الصباح طلعت ولم اجدها .

لم تجب روحية واسأل عنها انا في قسم البوليس ؟ ؟ لو شخص  
اخر يجوز انا انا ؟ ؟ يساعدونى انا ؟ ؟ يجدون لى امى انا ؟ ؟ ضابط  
يبحث معى انا كيف من من ابعدنى عنها وابعدا عني من سنين  
ومن سبها ؟ ؟ ابدا ابدا ابدا اخر الدنيا . ولا البوليس اول  
الدنيا ولا الموليس ملا يلى انقباص مفلجى . ارتعش جسمى

الشتاء البارد يثبت وجوده . امس سقط المطر في الصباح عبرت كوبرى  
قصر النيل ونظرت نلحية ميمى التلفزيون فوقه سحابة هائلة معتمة  
وضخمة لها طبقات فوق بعضها رحت اتاملها . لمنظرها كالكرنب .

مشيت فتحركت . وقتت عادت الى الثبات ومن خمس سنين لم  
اسمع صوت قطرات المطر على البلاط . تركت حارة الطلويط الى  
اين ؟ ؟ جبل يعصمنى من الماء اى ماء ؟ ؟ اى جبل يعصمها في هذا

المنطقة . نسيج العنكبوت . زمان سقط المطر مرات ومرات تنبعث  
رائحة طلاء الجدران ونهس امى . اخاف لن يتسرب الماء من  
السقف السقف الاديم وعروقه خشبية اصطدمت كنفى يشاب .

نقلت الكتاب من يد الى يد اخرى لم اعثر على كتاب واحد من كتبى بعد  
خروجى نرت في المقهى . اكره رائحة الدخان ونظرت الى كل الجالسين  
حول المناضد اين يوسف ؟ ؟ اين يوسف ؟ ؟ اقتربت من عامل

المقهى . .

— يوسف محمود الموطاف ؟ ؟

— لم يجىء الليلة . .

خرجت متمهلا ضحك رجل بدين له كرش لماذا لم يحضر ؟ ؟ ابنته  
قالت له ؟ ؟ ربما كان موجودا في بيته ساعة سؤالى عنه ولم يهرب  
منى ؟ ؟ لم ؟ ؟ توقفت يهبط الليل سريعا ثقيلاً عندما يجىء الليل

اشعر بروحي تسليخ منى من التسعة الى السادسة لا استطيع ان  
اجدها حتى لو دارت تحت عنى سابقي وحيدا في السرير حتى يرجع  
صاحبى من نوبة عمله بلالصبح ويبلغ وقد لا انام وفي القبريجىء  
الجندى بطرق الباب يوقع في بطلقتى ويصرف حارس الليل  
والقلم ولا اعرف من يحرسها واين هي ؟ وبيروح النفس ويجيئون  
ويضحكون وتحك الايدي بالارداك مخلوقات شارع سليمان باشا  
كلوا بشرا لا يهمهم ان يعرفوا عبرت اشارة مرور انركت ان  
الصوء ما زال احمر لم اتوقف في الصباح قل صاحبى

— احلف اصارحك يا فكر تدور في منى

— قلها ما الداعى للخوف ؟

— لم تتوقع انها بمعنى الصمد لمزالت تعيش ربما

— ها . . ماتت ؟

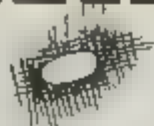
— أرجو ان لا تفضب منى ؟ ابنى لرى إصرارنا معك ولكنى  
أخشى ان يضيع مجهودنا

اطرقت عندما توقظنى في الصباح تلج على في البهوض الافطار  
المعد مع السلامة القسيل والعداء والجرجير رفعت راسى مار  
الموقت تزداد اشتعالا . في الدور العلوى صاحبت ام تلمدى طفلتها  
المصروف نسبتيه نهض صاحبى وقل

— هل ستخرج الآن ؟ ابقى قليلا اما انا فساخرج . يلق ثلاث  
ساعات على ميعاد عمل ساسال قبل دخولى المصنع في شبرا الخيمة  
توجد عجائز ما اكثرهن "

( ١٩٦٤ )

● ● ● ●



© نينا



## رسالة فتاة من الشمال

.. عبرت الأرض الساخنة

الصفراء . حرارة تخترق فعل الحذاء

الخفيف وتؤلم باطن قدمي لم يقترب

موعد الغداء . عندما تتجاوز الشمس

منتصف السماء وتميل عنه . عندما

يزحف الظل الرمادي من أول عنبر للنوم

متسلقا جدران العنبر الثاني فثلاث حتى الرابع . ينطلق

غير الغداء بجوار جدار حجري قصير لبناء فكروا يوما في

إقامته ثم عدلوا . جلس أربعة زملاء

قلت هل انتهت مواعيد العمل ؟

قالوا بطلقة قصيرة .

شعرت بمذاق شلحب لابتسامة نابت فوق شفتي

قالوا اخبرنا عن اصناف الاكل عندك

قلت لا داعي . بالتاكيد عرفتوها وانتم تشمون الرائحة

احسست بالشمس فوقى وفوقهم وفوق الدنيا تجلف طعم الهواء

الى املى سالوى عما اذا كنت ذهبت الى مكتب الضابط ؟ قالوا لك

خطاب . ارتخت الشعيرات القصيرة لاهداب عيني وازدادت الظلال

قتامة والأسوار ارتفاعا . واحاط صدى حزن رملى رفيق . هل

تمزحون ؟

قالوا وهل هذه امور نمزح فيها ؟

قل الضابط . واقع هذا .

إمكنت يدى واخذت الخطاب . خفيف . ورق شفاف وضعته في

جيبى حتى بعد خروجى من عند الضابط . فغطت هذه الحيرة . لحظة

غريبة . لم اقراء بعد ثوان من وضعه في جيبى . لم اتلف على فتحه .

قبل قراءته لربمت اجتياز فترة من التفكير فيه . الى من سيكتب الى

بالانجليزية ؟ الى اى شخص اعرفه يعيش في مدينة اختتم بريدھا غريبة

على مجهولة الى من . من ؟ منذ لول لحظة دست فيها بقمى

الأرض الصفراء . تنفست هواء الليل المسجون . من هذه اللحظة التى

مرت في يوم من ايام ستة انقضت وجرت وراھا اربع سنوات لم تصلنى

ورقة من قريب او بعيد . من عدو او صديق . ابى لا يعرفنى هكذا

قال . انا برىء منك دنيا واخرة . برىء منك الى يوم الدين . لا انت

ابى ولا اعرفك . وليبعدك الطريق الذى تمشى فيه . امى لا تستطيع

إرسال خطابات الى لا تكتب ولا تقرا . لا ترى . لا تسمع . لا تتكلم .

لا تتنفس . لا تعيش . لو كانت تعيش امى لارغمت ابى على ورقة

ولو صغيرة حتى كل شهر

قالت امى مرة لا تصوبه . هذا لا تعرف قيمته بالنسبة الى ابيه



ابن عمرى لما التى خرجت به من الدنيا ابن عمرى . ابن عمرى .  
جلست فوق حجر يشبه مقعدا تحتته الطبيعة على بعد بالقرب من  
العنابر جنود يحومون كالحدادة . تصلبوا عندما عبر امامهم ضابط  
يتجه الى مبنى الادارة الاثني حيث الصناديق المعدنية تطل من الحدران  
فتغير طعم الهواء بداخله . نفضت يدي . واخرجت الحروف الدقيقة  
الرفيعة المثلثة

رميل في المطبخ . بحث عني ولم يجدني ثم رانى جالسا فوق  
الحجر اسرعت اجري واناديك ولم تلفت لي انت المسئول  
عن المطبخ . المفروض ان تكون اول الحاضرين . عندما ظلت صامتا  
قال فجأة

— بالخطاب شيء هام اه ؟

إهتز راسي ولم انكلم ولم يتكلم وارتدات صفرة السماء عندما  
دخلت الشمس الجرم الاخيرة من رحلتها شعورى بالفراغ في اللحظات  
السابقة للمغيب يشتد ويقوى مهددا الطريق لشعور بالضيق . يقوم  
شيئا فشيئا كلما اسودت السماء كل شيء حزين مثير للاسى زملاء  
يجلسون بالقرب من اسوار عالية تعلوها كتل من سلك لا يفلذ منه فار  
واكتشك خشية مرتفعة على ابعاد متساوية يتحرك جنود بداخلها  
يلوحون ببنداقهم وكشافات ولا شيء إلا الصحراء

اخرجت الخطاب وعدت اقراء . من بلاد بعيدة لا تعرف انت كم من  
المسافات تفصل بينك وبينها اكتب لك من بلاد سحيقة البعد في شمال  
الدنيا ومن قرية صغيرة كل ما فيها يكتسى الآن بالبياض . لان الشتاء  
عندنا قد بدا منذ شهر ولن تذوب الثلوج قبل شهر . والحقيقة اننى  
تعودت على رؤية الثلج . ولهذا انتلفتنى رغبة في الا يذوب . ولست  
أدرى ان كنت قد رايت الثلوج من قبل ام لا . وعلى قدر معلوماتي  
فبلادك دافئة . وای حمل في بلاد لا تختفي الشمس عنها يوما  
واحدا . الست معي ؟ — لماذا لا ترد عندما اناديك ؟

— ابدا . . اقرا هذا الخطاب .

— بمجرد إتهالك منه تعال بعد العشاء . سنغنى ونقول شعرا

— طبعاً ساجيء

— لا نفس تفك

— استدار مبتعدا وهب هواء بارد له ملمس على الوجه كالكتف

بارد يلف شعره البدين ، فرقع كرباج من بعيد جندى يلهو وارتفعت

سحكات حافته طواها الهواء وعبر بها الأسوار لتذوب في الرمال

وكم أود أن ترى تكسر الثلوج وذوبانها وكم أرغب لو تسمع فرقة

الجليد عندما يتحطم مع ثباتير الربيع ،

عدت أنظر الى الأسوار

وفلحت رائحة أرز يحترق وقالت امي

• الجيران مساكين مثلنا يطبخون الأرز بالزيت •

قلت هل تطبخه نحن بالزيت يا امي ؟

قالت طبعاً ومن هم الجيران ؟ ألا تسكن في بيت واحد ؟

• إنني أسفة قد أكون المتك بهذا الوصف لذوبان الجليد ، لأنني

أعرف أنك مفيد ، لكنني أحترمك جدا . ولا أعرف هذه المبادئ التي

يدوك من أحلها ، وربما لا أميل اليها لكنني أحبك ، وأحن اليك وإلى من

حك ، فأى شيء أعظم من أن يسجن الإنسان لأجل مبادئ يؤمن بها .

في فتاة من آلاف بعشن في بلاد الثلوج المعيدة عنك ، ولن ترائي ولن

أصالح مالا يدي ، ولو لم اقرأ اسمك في نشرة الجمعية التي انتمى

بها لما سمعت عنى أبدا أبدا . كذلك لنا لا أعرف عمرك ولا سنك

لا أوصالك لكنني أعرف أنك لا تمشي في الشارع كما نشاء . ولا تأكل

لا يجب ، ولا تنام كما ينبغي لأنسان أن ينام . وأعرف أنك إذا رغبت

رؤية أمك لن تراهم . كذلك صديقك لو زوجتك •

نظرت بأحبة عنابر النوم . نهضت ومشيت إلى زملائي المتجمعين في

بنقة دائرية كبيرة . نظرت إلى الشمس التي ترحل كيوم انقضى

لها أحمر غريب . كأنني لم أرها إلا اليوم فقط وقلت أتاها من زمان

في كتاب معلم القراءة كنت الشمس لها عينان وانف وفم . كلفني  
لكنها انشئ . عندما مضى عشرون سنة لم امسك فيها ورقة . اقترب مني  
الضابط متمهلا تتقدمه نظراته الزجة الزيتية تلوث الهواء بالكتب  
— العسكري ركب . فما الداعي ؟

— لم تكن معي ورقة واحدة بها ما تخشونه  
— نحن لا نخشى شيئا . إذا قلنت انك ستستمر على كذبك سناس

جلك ولزميك من فوق الصور الى الضباع . وكتب وراح . . .  
لمعت العلامات الحمراء على يافتي قلند السجن . . شعرت بياض  
والم في طهرى . كنت صلعة براقه كحذاء نكف بعناية والتمنى أصلا  
قديمى .

— طبيب انا معك انه لم تكن معك اوراق . في اى شيء كان كل واحد

يقرا ؟

— في خطاب .

— اقول في اى شيء كان كل واحد منكم يقرأ ؟ ؟

— في الرسالة .

— كلكم . ؟

— كلنا . .

قال كلاما كثيرا . قال كلاما اكثر . اذار غطاء راسه بين يديه  
كلاما اخر اكثر من الكلام الكثير الذى قلته . والكلام الاكثر الذى قال  
وقال في النهاية زملاؤك اعترفوا بنوع الورق الذى كنت توزعه على  
او كنت تقرأ معهم .

— انت تكتب .

انا اعرف اساليبهم اعرف انهم لا يصنفون اعرف  
ينبحون الفريسة ببطء انا لست انهم يريدون سحقى . لا تقا  
اوراق اسأل عنها . صحت

— كذاب .

نظر حوله ثم الى الضابط الاقل رتبة . انفسى بالمحيرة . لم اعد ارا

مبط كف ثقيلة على عنقي واختلطت بشكل براق وصور لامعة امام  
بني ، قالت امي يا بني تعال اكتب لك حجيا لانني اعرف الام  
خدا ، ومرت بيدها على جبينى ، قلت لكنه يؤذى تسبب في بقع  
خضراء امام عيني ، ثم ألم شديد في ناحية واحدة من راسي يا امي  
ساعى ثلاث مرات وصرخ في وجهي /

ساحرك على نار عيدان الكبريت القوي منها  
ويخرج صاحب السجن . تلمع فوق كتفيه علامات حمراء وزخرفة  
ساحبه السنابل على غطاء راسه . البرد في سجن السجن ، الحشرات  
رطبة الطرية ملمسها مقرز تحبو فوق سقاي ولا اقرر على طردها .  
والاعى ثقيلة متلفحة كقرية . اصوات احذية تروح وتجرى والليل  
سنتهى ابدا . هنا لا توجد طاعة يدخل منها خيط من ضوء الشمس .  
تاتى انسى الاحساس بطعم اشعتها . في فناء المدرسة كانت سيقاننا  
بحة كعيدان الخيزران . وملاييننا ممزقة وقاماتنا قصيرة ولا ناكل كما  
الآخرين وتسقط فوق الفناء وتحاصر الظلال الرمادية اشعتها في  
بحة ضيقة نتكوم فيها كلنا ويحرج الناظر . يبق الجرس . نهدو الى  
مولانا ، لا بد ان هذه البلاد البعيدة بها مدارس للمصغر للبنات

ولاد ومعلمة القرية ومعلمها بالناكيد تلت تعليمنا جيدا  
قوات وإلا لما استطاعت التعبير بمثل هذه البساطة . لا اعلم اين  
الخطاب الآن لا استطيع ان ارى واحدا من زملائي لاسأله ربما  
هل خطاب اخر منها من استلمه ؟ ربما فحصوله بالاشعة وعرضوه  
الحايل . هل تعرف هي ان كلماتها التي كتبتها في ليلة شتاء في ليلة

ود فيها العمال بعد يوم طويل من إزالة الثلوج خارج القرية  
تلاتها هذه تفعل ما فعلته ؟ ؟ ربما تجلس في هذه اللحظة الآن تكتب في  
رقة اللغنية . . ولم لا تكون اللغنية ؟ ؟ برغم ما يحيطني من ظلمة  
هل كانها تكتب لي وتكلمني ، ربما خلفي ، ربما امامي ، ربما خارج  
الدار . هل تعرف ساعى البريد في قريتها ؟ ؟ في بلدتها في بلدتي لمن  
هل الخطاب الازرق ؟ هل يعرف الناس الذين التقت نظراتهم منظراني

عند توقف القطر بالمحطات الصغيرة والمحطات الكبيرة أين أنا الآن  
كانهم في الخارج يملأون هذه الميادين الواقعة أمام محطات السكك  
الحديدية في المدن البعيدة والتي تزدهم بالحركة كلما جاء قطار ، وتحل  
فجأة بعد رحيله يروحون ويجيئون يسألون عنى ربما يتقلب أبى  
غراشه الآن إذا كان الوقت ليلا وربما يجلس خلف مكتبه أو يمشى  
الشارع علنا إلى منزله لو كان الوقت نهلا . هل يذكرنى ؟ وأصقلا  
والبعد الرهيب والثلوج البيضاء والسواد الذى يعقبه ضوء قو  
مليون مليون شمعة وبحيل لحم الجفنين إلى حمرة دائمة مؤ  
مزجة

— ستقول كل شيء

— اليد تطلع ثم تنزل

— لا اعرف . . لا اعرف

اصواتهم كانوا ليست من هذا العالم

— سقاط جسمك قطعا اكبرها في حجم حبة الفاصوليا

واليد تعلو ثم تهوى

الشوارع . المطر . المدارس . الصحف . المجارى البعد

يمشى والبعض يركب الدببة في ثلوج الشمال القرية في

الاستواء العبيد والعبيد يهمنى لأن العبيد والعبيد

تصعد وتصعد آلاف الأشياء تمر كشريط سينمائي أحقل عرضه

صالحوا وهرولت الأحذية انفصلت كتلة عن السواد حامت

بيضاء في راسى كالجليد كالبرد كالصقيع واليد تطلع تنزل

تعلو . تهبط تلوح تصفع تهدد تلکم تطلع

تنزل . .

— ستقول كل شيء كل شيء

— لا اعرف لا وإن كنت اعرف فلن اقول . لن اقول

( ١٩٦٣ )

---

# أيام الرعب

---

عاشم بالكامل محروس فياض سلامة

تاريخ الميلاد ١٩٤٥/٥/٩

نسبة مسلم .

توظيفه رسام بالوكالة العامة

بجمل الإقامة الجمالية ، نظر الطمحين

تم البطاقة ٨١٦٦

نسبة الدم

بذبت هذه البطاقة في يوم ١٩٦٨/١١/١٨

\*\*\*

حارة الوظائف ، البلاط المضلع ، الجدران الرمادية المتنوعة  
بالرطوبة ، امرأة عجوز ترمش بعينيها منت تمشي منمثلة تحت  
حقيبتها الممتلئة بالكتب المدرسية اتحناءة خفيفة ، عين  
جميلتان . قشر قصب ملقى عند زاوية الحارة  
التفت وراءه بسرعة

المنحنى الصيق حال لا احد  
صوت تلاميذ صغار من داخل المدرسة ، يقرأون في صوت واحد  
رجل  
صوت رابع لطالب صغير  
امرأة  
مصلحة الدمغة والموازين

بائعة الفجل امام دكان عم محمود السمك . عند باب الحارة ابط  
خطواته جامع سيدي مرزوق مطلق ان ينظر وراءه ، قضبان نا  
الضرب حديدية سمراء باردة كالهواء المحيط به اغمص عبيد  
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . مالك يوم الدين  
صبي صغير يخرج طوقا حديدا ، يائع كرنب ، رجل يرتدى ج  
صوفيا قديما ، فتاة سمراء تعبر الطريق على مهل ، لم تتوقف عيناها  
رديها ، عض شفتيه

مرزل رقم انتخبوا فريق النصر الذهبي يتحد  
الشواكيش ، سينما الكواكب ، هذا المساء . إعلان قديم تاكل ورقا  
مربع رقم ٢٦ ، قرن الحاج نصيف  
قبل ان يدخل المنفرة في الدور الاول ، قبل ان يفتح الباب . قبل  
يخرج المفتاح . اطل من باب البيت القديم ، رائحة غسيل ياء  
يا حلو قوى . هل رأى يائع الخس من قبل ؟ هل صالغ في الح  
نعم نعم . بالفاكيد . رائحة بصل يقل في زيت . ام سيد ال  
تنشر غسيلها . قوميء براسها لعت عطيات . الشرفات من



تعبه وحدة العصر الشتوية وجو رمضان الدهاري يظف  
حارة صاحت لم يوسف بفت  
لا احد .

تمدد بثيابه كاملة فوق السرير كان الباب له رأس وذراعان وعينان  
رأسه قلم واقفا ليؤكد من إغلاقه مرة أخرى . رائحة الرطوبة في  
النافذة الوحيدة مغلقة لن يقف وراءها احد سبقت انتظار  
الأمس . لكن ، عندما يجيء الليل عض شفتيه ، عد يده داخل  
جكته . لكم يبدو مظروف الخطاب الذي لم يصله إلا الأمس



ولندا الغالي محروس فياض  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد السؤال عن صحتكم  
رفتم باسماء طيبون لا ينقصنا سوى رؤيتكم .  
اما بعد

فما كنا تحب إزعاجكم . لكنك ولدنا ونخاف عليك كما نخاف على  
وحنا بالتمام . فنعرفك يا محروس أن عويضة طلع من السجن .  
جمع عليه مهران ولد مخلوف وبالمثل الدقل ولد الحويج . وعلمنا انهم  
هروا مع بعض كلم مرة وقال عويضة انه مدام ابوك مات ميتة ربنا  
رحمه الله وبرحمنا اجمعين . يبقى لازم ياخذ تاره منك انت ابوه منك  
ت يا محروس وحلف على مصحف انه لا يد يدور عليك ولو كنت في  
الديار . وقلم طلق دقنه . وقلب شل عمامته وحلف ما يحلق  
يعمل الشال الا بعد ما يشرب من دمك . وانفق معه مهران والدقل  
مافروا من اسبوع قاصدين مصر . ولم يقدر راحل في البلدة ان يمنعهم  
ت تعرف عويضة وهو على حق في نظر مشايخ البلد واكثرها ونحب  
منناك فنقول انهم لا يعرفوا عنوانك . نحن لم نهط عنوانك لاحد  
اهل البلدة لانهم ناس السنتهم طويلة كما تعرف ويخافوا من

عويضة اشد الخوف . فحين لم يعط العنوان لاحد البتة . فخذ بالك  
نفسك . حماك ربنا . ومن عندنا يهدوك السلام لنجلكنا فردا فردا وبم  
سلام خصوصي قريبا لبراهيم خليفة واخوه فضل الله . كما  
صاحبك السيد المهدي يفكرك على الدوام . ودائما في سيرتك  
وكل من بطرفنا يهديك السلام . والسلام ختام

● جددك

سيد أبو ال



دائما وجه ابيه مهموم . كان رجلا نحيلاً رقيقاً كعود البوص  
جدا . عيناه ضيقتان . اذا يرجعان من السوق لآخر النهار لا يجلس  
رجال القرية سواء من عائلة السماعنة . او عائلة الضبيع . يلقي اليه  
ويمد خطاه . عندئذ يضطر محروس الى الجري ممسكا طرف ج  
حتى يلحق خطولته . ينظر وراءه . تنظرات الرجال معلقة بهما  
سمع احدهم يقول . مسكين مدام عويضة خرج من السجن يبلى  
قرب . رد شيخ كبير يومها . يا خسارة والواحد ما قدر يعمل  
حاجة واصل . يتضاعف الهم فوق الوجه النحيل . يلتفت  
محروس يمد يده . تلفف اصابعه الكبيرة حول اليد الصغ  
يسرعان الوقت عصر والطريق من المدرسة الى بيتهم قصير  
تراب فوقه غبار ويرد وسكون . . . بوك . . . بوك . . . و  
الطحين ينثث آخر ما في جوفه . يسرع رجل يركب حماره . تنفث  
الجو رائحة التوت عند باب المدرسة يقف ينتظر امه . قال  
ما تمشييش لوحدهك تتعطل رائحة التوت الى دمه حوم في  
طرح صوته كالضحك كالبكاء . لم يعرف بالضبط نبح  
عالية عند اول الطريق المؤدى الى البيوت . رؤوسها عالية كالعب  
يجيء ابوه يسرع والكتب تثقل عنقه . تتدلى فوق صدره  
معلقان بالشمس النازلة تروح الشمس . . . ربما

جمع . لكن تعود . . صحيح ! من يضمن رجوعها مرة ثانية تذهب  
تجىء . عندئذ لن يضره القرية بصيص ولو من ثبة صروخ  
يحس أبوه نفسه في صومعة الغلال المنقوبة الخاوية ويضمه الى  
صدره ويطخهما عويضة وتختلط الالوان . الازرق فوق الاحمر فوق  
خضرة شديدة السخاء من آخر الطريق ترتفع الأرض فثمة كوبرى  
يسى صغير يعلو مجرى الماء . فجأة ظهر ! ! تصلبت قبضة ابيه  
تحف قلبه كحلمة صغيرة صغيرة جدا ابتل ريشها بماء تلجى بفت  
لحة التوت المغموس في اللبن الرائب الى صدره . توقف الاب . القرب  
هما طويلا . عريض المنكبين كبير الرأس على كتفيه عباءة  
بيضاء تحتها قطران حريمى . ربما لونه احمر لزرق . ابيض .  
انتفاخ العباءة فلم يستطع ان يخفى استقالة البندقية . رائحة  
الفلوح منه . هس الاب . اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول  
الله . انفجرت شفتا عويضة الغليظتين . ظلما هكذا لحظت ثم تشككت  
فيهما ابتسامة لها لون كيزان النرة الجافة المهروسة . لسه  
له لسه . . يابن سلامة وقتك ما قريش لم ينطق أبوه . لم يرد .  
الشمس غرقت صامتة بعد ان فلقتهما بلا سند  
— ها . وده ولدك محروس ' بتوبيه المدرسة كملن واه عال  
عال !

عويضة ينقض في عين النهار يختطف الطفل وفي قلب غيظان  
يحفيه . يرسل الى اهله طالبا الغيبة والمهلة يومان في الثانية الاولى  
في دقيقة اليوم الثالث يصل الرأس الصغير مقطوعا الى الاهل  
او صراخ الام

عويضة يختطف اولاد البلدة . لا احد يسأله . حتى الام الذكل  
تحرق ان ترفع عينيه في وجهه لا احد .

لم ينطق الاب . ضم د محروس اليه . في الليل فبحت كلاب فوق  
ب المجاور . حامت رائحة خبيز . الليل فوق البيوت كالمصيبة

كالجبل ، كالحبلة ، أما وجه الأب فصارت لا يطق ، صفحة كرام  
بيضاء ، قال محروس واللبل يغزو قلبه الصغير  
وساكت ليه يابوى ؟

عض شفته ، ضرب جدار الصومعة الفارغة بيده ، اهتز حسه ور  
الصغير أباه جدارا يعيل غيط قصب يتكسر تحت زوبعة ، مر  
يفرق جمل برك تحت حمل ثليل سكت ، سكت ، قال  
ما فيش حد في البلد يحميني منه وأنا عمرى ما قتلت حد  
ما رفعت دبوس لبرة في وش واحد  
في السواد حلق اليه ، يد خشة قبضت قلبه ، خمشته ،  
طالبك ليه يابوى ؟ طالبك ليه ؟

في الصباح كانت الشمس عالية خارج البيوت ، الأب تقدم في الد  
سين ، عند الجسر قابلهما الشيخ محمود ناظر المدرسة  
ما تنساش في البندر يلواد يامحروس  
من نافذة الحازونة الخلفية المنسخة رأى أباه يقف فوق الج  
وحيدا ثار الغمر اختفى ، ثم ظهر المتوى الطريق ، دم  
عبناه وكلن الرجال من حوله يفرثرون

• • •

— طالبك ليه يابوى ؟

— أنا طلعت من صغرى يامحروس يلودى ولقيت الناس بتش  
على وتقول انى مظلوم لعيلة عويضة ، أبوى قتل خاله من أربع  
سنة ، قبل ما تولد وقبل ما هو يبجى على وش الدنيا حتى لما كنا  
صغيرين كان دايمما يقول في أنا اللي حطعت جتعارك يلود سلامة  
قتل خالى ، وأنا اللي خلحد ثلره أمه بخيتة دايمما وراه من صغره  
دايمما تقول له راجبتنا في الطين وسط البلد خالك ما تعملوش ميتم  
دلوقتي خالك دمه راح هنر المهم يلبنى انه كبر ، سرق جامو  
وانت حدس خرج ، برضه وراه أمه بخيتة كان يقول لصاحبه

بيوتى بطريقة ما حصلتش حيموتنى وانا عند الجسر ، باصص لى  
 هو سلكت ميجى يخيط على فى الليل اصله مفترى ما بيرعاش حرمة  
 فى البلد كل ما القيله الاقيه يقول لى لسه . لسه يولد سلامة .  
 حقيقة يا محروس انا عدت اخاف عليك منه دا وحش ما بيعرف  
 ولا اخوه انت شليف حد فى البلد قفر يرفع عيه فيه . حتى  
 شيخ صالح لما رحل له قال لى وانا جعل لك ايه فيه شريعة البلد  
 فياض وبعدين هو عمك ايه . عويضة لغاية دلوقتى ما هوبش  
 حشك انا قلت فى عقلى يا عمى ابعثك سوهاج تتعلم هناك وبعدين  
 روح مصر انا هنا عارف بيتها لكن لئذ انت ايه ؟  
 قال والليل يثقل ويبال لعابه بطعم السواد . . وليه انا اللي حموت  
 عويضة ! هو راعيتى اما بس ما هو موقف البلد كلها على رجل  
 سله جالوس طين حد قافر يقول له كلفة . حد قفر يقول له انت  
 عمل كده ليه ؟



ربما يجلسون الآن فى مقهى ويمشون فى شارع من الشوارع ، اسبوع  
 من تجوب نظراتهم الطرقات وتتفحص الوجوه . والملاح بحثا عن  
 محروس ، محروس فياض سلامة اسبوع ولا يحس ربما مر بالقرب  
 هم . مشى بجوار فندق ينامون به . فى اى مكان هم ياترى ؟ فى اى  
 ت ؟ اى حجرة ؟ فوق اى سرير تخفق قلوبهم لليوم الذى تنعكس  
 ورتة فى اعينهم ثم يلفضون عليه ' عندئذ يحلق عويضة لحيته .  
 لى شل عملته ، يذهب الى امه فى البلدة . تقيم ماتم الخال الذى لم  
 ينع صوت نائحة عليه من اربعين عاما .

دار فى الحجرة . نفلت الرطوبة الى عظامه . فرقة يومية فى الخارج  
 سيح اطفال صغار . وحوى يلوحوى . الجميع يخرجون الى الطريق  
 السكون الجامد الذى نزل فوق البيوت اثناء الاظطر تتناول  
 تنقى من الرغيف وقطع البطاطس الصفراء الصغيرة التى تقطر

زيفا ، استند ذراعه الى عمود السرير الحديدى ، هذه اللحظات الاولى  
 الليل ، بداية السواد . البرد . لا يطيق البقاء في هذه المنذرة الم  
 الصداء الجدران . الحبل برطوبة نفوس العظم . تأمل م  
 حذائه . بلاط الحجرة المريح الاصفر القديم الذى تكسر وقت  
 وفصلته عن بعض مجارى رقيقة سوداء السقف العالى والا  
 الخشبية التى تحمله . لم يعبدا من قبل . كانه يدرك لأول مرة ان  
 الحجرة محمل على تلك الاعمة الخشبية . ليس السقف فقط  
 ادوار كبيرة في كل طبق اسرتن ربما ربما احد سكن البيت ق  
 قريب لو معرفة لعويضة وجماعته . ربما يؤوبهم عنده . لكن  
 ليس معقولا . بالتأكيد كان التقى بهم صدفة انه يجتاز  
 الخارجى في اليوم الواحد اربع مرات . يخرج الى دورة المياه بال  
 ست او سبع مرات . صحيح لا يفتح باب المنذرة حتى في الصيف  
 يعرف تماما ما سيفعله رجال البيت عندئذ الاعزب الوحيد في  
 كله محروس لا . بل في الحارة كلها . صحيح . من يسكن بمفر  
 الحارة كلها . عطفة كثر الطماعين . عندما زاره ابراهيم الفدى  
 يسأل المكوجى سال الاولاد قلوا له

ليوه ليوه محروس الفدى ابو نظارة نفرة حداث  
 نفرة حداث . وقلاه من يده ولد صغير جاء الى المنذرة . الى  
 هذا مامورية عويضة لو انه دار على حارات الجمالية كلها سا  
 طفل صغير . محروس للصعيدى فين ؟ ليوه ياعم جوه يام  
 خرجت انفاسه سلحة . ضرب راحة يده اليمنى بقبضته الم  
 الباب صاحت يصغى الى زفاته المكتومة لم يدرك مرة راح وم  
 المنذرة لم يدرك الف متر قطمها في هذه العلبة ؟ قلها بخطوا  
 ست ان السح الخطى . . سبع اذا مشى على مهل . قل ركن ل  
 جريدة قراها منذ ان رية للبيت التى لا تغادر دارها تقطع في  
 الواحد سبعة اميال . شرع في ابتسامة ما لبثت ان ثلاثت

الخشب حرساء . القفل وحيد وليس متيناً لا بد ان يشتري واحدا  
 اصالياً اما النافذة المطلة على الحارة فالفضيلان الحديدية لا تدع  
 مسافة كافية للمرور من خلالها لكن لا يمكن ان لا يمكن فتح الضلفة  
 الخارجية عويضة دائماً يحمل مسدداً عويضة تلحرم محذرات  
 عويضة لا يتحرك في البلدة الا وتحت عيائته كلل جوستاف اما في  
 المدينة فلن يحلو من فوهة سمعتها ٩ ملي ايديا ايديا ربما تسطلت  
 الفوهة بين الفضيلان السرير في مواجهة النافذة راساً ترى في اي  
 مكان يبعده عنها ٩ المساحة ضيقة وشنطة الهدوم الكبيرة الى جانبه  
 تكمل الفراغ . لو وضعه بالمعرض لواجه المائدة اكثر لو تمدد  
 بالطول فهذا العن فلينكره كما هو ولينقل المرتبة من فوقه الى تحته  
 مكان ضيق محكوم تحت مستوى النافذة بكثير فلتقل الفوهة السوداء  
 سعة ٩ ملي ، فليقل الميز . لن يتركه اما الباب فلا بد من قفل  
 اضافي جديد لو يسكن حار امعه ، لكن الغناء لعين ، مخيف .  
 مظلم رطب خال حتى من لمبة صلروخ المصيبة ان الدورة في  
 الطرف الآخر منه حتى قبل ان يجيء عويضة كل الغناء يبدو موحشاً  
 كالجبانة . كالخرابة عدا هذه اللحظات الضئيلة التي تبدأ عندما  
 تخطو سلوى عتبة الباب بقدمها وتلف امام باب المنذرة وتصبح بصوت  
 لين كانه مضغ التفاح او مذاق البيتي فور او الايس كريم في يوم  
 حار يسهك تنادى صليحتها عندما خرج وراها اول مرة لم  
 ينس طوال يومه ولفتها يداها تحملان حقيبة متفخة بالكتب على  
 ظهرها تهتز صغيرة نحاسية اللون غليظة . اما عينها فهما السماء في  
 يوم صيفي حار في كل صباح ينفذ الصوت الى انبيه يخرج . ويطلب  
 وفوقه امام الباب وتظهر لها بينما يدير المفتاح في الثقب الضيق . وفي  
 يوم من ايام هذا العام دار الى المنذرة وتصيب عرقه وتوات دقات قلبه  
 كقرع الطبل بلسان مقل همس صباح الخير طول انهار احس انه  
 جملة خفيفة شعاع قلب صغير ليشرب وردى حول راس حساء

يتطير مرجا في هواء ربيعي صباح الخير . وللمرة الثالثة ربت  
لكن ماذا بعد . قال له حسن صاحبه كلمها ما تنقش لكمة لكن  
البيت والجيران ، ماذا يفعل ؟ الآن لا يعرف ما تفعله سلوى ؟ في هذه  
اللحظة بالذات فلم واقفا . لابد ان يخرج الى اى مكان ميدان  
الحسين يزدهم بالعربات طوفان ضوء يفرق الشوارع المحيطة به .  
في الزحام يستطيع المشى متخفيا لكن لو التقى به فجأة ، الثلاثة . .  
جدار اصم يطفح غيظا وغلا طعته بسيطة في الجزء الامسى من  
الجسم ولن يتبته احد لكن حتى لو رأى عويضة هل يعرفه ؟ من  
سدين من الصغر لم يره لم يخلق اليه كل صبي في البلدة  
يعرفه اما هو فحسبه لا يذكر غير عينيه الحادتين والرقبة  
الخليقة والعباءة السوداء .



الجنة بهامة . .

الله يقطعه طالع لابوء جسمه طويل زى الجمل كتفله عريضة  
ورقبته فيها ذراع طول النهار مشى رايح جاي في البلد ما حد قادر  
يلمه ما حل مرة من نسوان البلد الا ومردغ سمعتها في الطين  
مكسور الرقبة قعد ورا البت صلبة لغاية ما رجعت في يوم من الخلاء  
وحرقت روحها داهية تخض بيه الأرض  
الود السبد

استكتي يادادة احسن حد يسمعك يروح يدله ( يقول له ) . ١١



ابن زبادى زينهم بانع اللبن ليس بالقكيد رائعا آخر . الحارة  
الهواء البارود . الليل المظلم . هؤلاء الصبية الملعين . . لو انهم لم  
يكسروا المصباح ، بخان خفيف . القرن القريب يستعد لعمل كحك  
العديد . الخطوات تقرب فجأة في هذه اللحظة تلك الثانية . كان  
انفجار نوى امام . امرة ثقيت راسه حتى اليافوخ ضبع نهش بطنه



وراح يلحس افعاله على مهل وما زال حيا . فجأة : انرك ان حيلته في خطر كانه لم يعرف هذا من قبل رسامات الان بعد ساعة . بعد يومين حتما سيحدث هذا بل ان اى شيء يمكن ان يقع الان تستحيل البيوت الى ضباب ازرق فاقع يطل لسان احمر مثل باللعب من شق يفتح فجأة في السماء يتحول الناس الى ثرات صغيرة ينفج تحت قدميه لقب يعوم فيه حتى يصل الى البلدة المقلبة على الطرف الاحر للكرة الارضية اى شيء يمكن ان يقع انفراس الجسم المعدس في لحمه هو عظمه هو لكن متى !! كيف اين !! لا يدري عندك بعض عيبه ولا يطل على شيء في الدنيا ابدا . . ابدا



### بعد التحية .

تلقت نظركم الى انكم تغيبتم عن العمل خمسة ايام بدون تقديم عذر رسمى . ولما كانت اللوائح لا تسمح بالاجازة العارضة او التغيب المفاجيء . لهذا فنذركم بضرورة مدير شؤون العاملين



بائع بانصيب يطوف بالمقهى والفش يملا الطريق في الخارج يحفى قمة السور الكبير امام بوابة الفتوح يتنابح الرجال فوق عربات الكارو الصغيرة . شرب ما تبقى في كوب الحلبة المطحونة . صباح رجل . بصرة !! ضحك شغب . مر الجرسون . يرتدى جاكته حكومية صفراء قديمة حاملا صينية كبيرة مقلقة بكواب الشاي . تفت سحابة دخان . للمرة الثالثة ينظر الجرسون اليه . الصق جبهته بالزجاج لا احد بالخارج . حتى لو دخل هنا فننفذ رصاصته بسهولة . هؤلاء العجائز والشلل لا يعرف واحد منهم لكنهم ان يتركوه يذبحه وعويضة مجرم لكنه جبان لم يقتل واحد من ضحاياه العديدين

وجها لوجه ابدا . دائما تتسلل قوته من بين اعواد الذرة . من نافذة  
 بيت . لهذا قتل الكثيرين ولم تثبت عليه جريمة واحدة حتى اليوم  
 في مواجهة الباب صورة قديمة باهتة الالوان معلقة بهباب الفحم  
 الدفين . رجل يركب حصانا باهت الملامح مضيق الوجه . الف الف ليل  
 ونهار خطا فوقها . في نفس المكان . الجدار امام المدخل . لو ان الايام  
 تمشى الى الوراء - ١٩٦٧ - و ١٩٦٦ . العام القادم بعد عشر سنوات  
 نصبح في عام ١٩٥٥ ويكون البرج لم يشيد بعد . وسلوى الحلوة  
 الرقيقة لم تدخل الابتدائي . اما ام سيد الشهية فصبية ناضجة  
 يترجرج نهذاها اذا ما خلفت عن شبك بيتها غبارها . وتعضى اربعون  
 عاما ويحيى ١٩١٥ . ترى من سيولد قبله ويراه . أى جنين ياكظه الى  
 هذه الايام ؟ الشوارع الضيقة . الرجال يمشون تحت البواقي .  
 الفونغراف فوق منضدة عالية زبائن المقهى يتبادلون  
 المضحكات . المعلم في الصدارة صخم غليظ الشارب . يغنى شاعر  
 الربابة . يتوقف . يتراس الجميع . من سيفلب ؟ ابو زيد ولا دياب ؟  
 يصيح فريق ابو زيد . ويصيح الفريق الثاني لا دياب في شارع  
 رئيسي يطلق رصاص محموم يستقر في لحم طرى وجنلجر يرتدى  
 اصحابها الطرايش الموت النام لو بائع صحف اللطائف  
 المقطم . . المصير يلجذع

اه لو يرحل موغلا في البعد اربعين سنة . لو انه يملك اسطوانة  
 قديمة تدور على مهل . تتعثر الابرة . تقوى في ملفاتها العديدة .  
 الاصوات صفراء ربيعة . هيه يرايحة الزمن الذي لا يعرف في اى  
 ارض من اراضي الله اوغل وبعد اه لو يرحل هناك لن يرى  
 عويصة . لن يلمحه الامان الامن للمتعيب المحكوم عليه بالموت  
 حتما راحة القلب المتهلك المخنوق المرعوش ابدا اللوحة صلمت كانتها  
 تقول سابهت ابدا . لن ترجع الوائى الى زهاتها صاح رجل معمم  
 تكاثف الدخان فجأة . القرب الجرسون منه

— الاستاذ يعنى لو سمحت حضرتك جارتنا ولا  
بلع ريقه اى عقلب تنسل لتشهر نيبانها فجاة . ماذا تقصد  
يا ابن الافاعي . . . لم السؤال ؟ تكلمت حوله . انحنى . كاد رأسه يلامس  
جبهته .

— بصراحة يعنى كده جدعته . يعنى فيه كلم زيون هنا  
متعودين اخر الليل يلغوا كلم سيجارة . حاجة بسيطة كده خايفين  
لتكون من رجال الشعبة . وامت غلف الزبلان . . . وعلى العموم  
المعلوم

— لا لا انا جاركم هنا انا مش من الشعبة .  
اى حفرة وقع فيها ؟ جاور لهم ؟ كيف يقول ذلك ببساطة ؟ صحيح  
البيت بعيد لكنها نفس المظلة . ما الذى لا يدريه ان سؤاله لا يخفى  
غرضاً اشد فتكا . ظليقم فوراً . ثلاث ليال يجيء الى المقهى لن يطيل  
الظهور في مكان واحد اكثر من ليلة . العيون تعرفه وتعرف عويضة .  
كلت الايدي عن القاء الزهر . خرست طريقة الطويلة . مجنوب في  
الركن يحملق اليه . زحف النمل تحت جلده . نرات الرمل السلخنة في  
عروقه بدلا من الدماء . حساك ' يرقبون ما تخرجه يده . سقط قرش .  
لم ينحن الهواء بارد . بوابة الفتوح . سوق الليمون . رائحة  
الحنين الفاض المعذب . المنذبة سوداء غريبة فوق السور في الجدران  
حفر ضباط فرنسيون اسماءهم منذ مائة وسبعين عاما كانوا يطولون  
عليه . يخترقون ظهره بنظراتهم . حساك ' وكان الجميع . كل من في  
المقهى في الشارع ينظر اليه . اما الهواء المراد فلجى موحش



وارسل . عويضة . مكتوبيا الى امه بخيتة قال فيه انه قرب خالص  
منك . وكما اخبرها بان تستعد لتقيم ماتم عل اخيها فهو كما تعلمون  
لم . ناحت . عليه ندابة من اربعين سنة . فرجاء تطمئنوننا بكلمة لان  
عويضة . جعل الشيطان يركبنا . ومن عنينا الجميع .



لو اصحابه عرفوا ما يهدده

ها . . اصحابه

اي اصحاب . حسن . لم يفترقا ابدا . السهر حتى منتصف الليل .  
العودة إلى بيتها . الطريق النادر . المصليح في بهية الاعمدة الطويلة  
ترقبها ناعسة . في العصر قبل انتهاء النهار . ما أحل شارع الموسيقى  
ما أن يتجاوزوا شارع الخليج وتمرق عربات الترام الخضراء حتى  
يحوطهما الزحام . صياح الناعة . فمللات . شربات . التاجر بيفلس  
يا جدد البلوهر ثلاثين قرش . من الخلة يشترين الفول السوداني .  
يهمس حسن بكلمات خافتة في اذان الفتيات . عند العتمة ينتهي  
الزحام . يحرقه محروس إلى سور الأرمكية . كل كتاب بقرشين . ادب  
علم فلسفة كله بقرشين المكتتب يتقلب يا جدد رائحة العصر  
في الطريق عربات المدينة تمضي بسرعة اصوات موسيقى من دار  
الأوبرا وسط الميدان يلف التمثال الرمادي . كتلة من الرصاص  
جامدة وإشارة من فارس المحاس بلا معنى إلى ابن يا حسن  
تنطلق المياه من المافورة الصغيرة . الهواء . الأمان يكلمه عن  
سلوى بعد طول تردد قرر أن يكلمها خرج من الباب . كانت ترفع  
راسها على وشك نداء صاحبها . أو ما يراسه . احسن بها تنتظر شيئا .  
لسانها عن مدرستها وابن هي فقالت الحليمية الثانوية . لم يدرك ما يقول  
بعد ذلك . كيف يدفع الحديث من جامعه سالها عما إذا كانت تذهب كل  
يوم لومات براسها مخفية ضحكة حقا لكم هو سخيف وهل هذا  
سؤال ؟ عديئذ يصبح حسن غاضبا غنى كان السؤال الطبيعي  
مضى تخرجين ثم تنظفان على ميعاد حسن هو القلب الوحيد الذي  
يقنسم معه ما ينوء به ابن هو الآن في أي بلدة أي شارع ؟ عندما  
وقف يتأمل الطائرة عن قرب بكى عض شفثيه لمح الطيار يقف  
مرتديا حلته الأنيقة سعيد هذا الانسان الذي ينطلق بسرعة ألف  
كيلو متر في قضاء بهائي سحيق ابن امانى الطفولة ؟ فوق المدة



لسبب ما تمر بين حين وحين طفلة ، يرفع رأسه ، يجرى يتابعها ، لكم  
ود ان يصبح طيلرا ، دائما يرسم صور الطائرات في لوضاح مختلفة ،  
فوق مضدة قهوة ، في مكتبه . بل انه يحتفظ بكتاب يحوى كل انواع

الطائرات ، جاء حسن مسرعا ، عيناه تضحكان . الليل حولهما غميق  
 أسود ، غريب ، امتلا الهواء المتسرب إلى مخبئه الأمين عندما تابع  
 الجسم الصغير يبتعد في الهواء لم يصنق أن هذه المسلحة الضئيلة  
 تضم ( حسن ) . وسنوات عديدة من عمره وقتها رأى بلاط الشرفة  
 العريضة سلاسل رقيقة عززت جسمه . أثقلت قلبه اطنان الحديد ،  
 قضى الليل كله ، زمانه فوق قبرص . الآن نزل بمطار أثينا ، بعد  
 أسبوعين وصله جواب أن أنسك يا محروس بعد شهرين أنا  
 سعيد يا محروس أرى كل يوم ناسا غير الناس أحن إليك ولكنى هنا  
 حاملة لا أريد لها . ومن شهر لم يصله المظروف ذو الطوابع الأجنبية .  
 أن أنسك . أبدا نصيه . ذاب حسن في بلاد الثلج والضباب ، تكلم  
 اشترى مجلات اجنمية . ربما رأى حسن في صورة شارع مزجج أبدا  
 أن يراه ، لا يعرف حسن أى يفتلق نمر عليه فتصرع روحه في كل ثانية  
 من ثوانيتها الستين . لو معه الآن لاألم عنه . لو سافر معه لن يهتدى  
 عويضة إليه أبدا . زملاء مدرسة الصنيع نفقوا في البلاد وابتعدوا .  
 قابل إبراهيم ، شربه كثيف ، انت فتن لازم نشوفا انلقا على  
 ميعك لم يذهب بالتاكيد . هو لم يذهب أيضا ، لو قابله الآن ، وقال  
 له أن عويضة بطله . قطع ستعانة كيلو متر من القص الصعيد ليجث  
 عنه . سيبدو الخوف في عينيه . يتطلع إلى المنليات المحيطة .  
 النوافذ . ربما يطل عليهما عويضة من مكان ما . يستمعهما بأذنيه  
 العذبتين في حقل العرة وسط وغيث الريح يسمع بهما خطوات  
 الأقدام على بعد أربعين ذراعا . سيجرى إبراهيم هكذا تكلم عدا  
 حسن ، حسن الذى راح . نسي حتى الخطبات ، لو أنه سافر معه .  
 ركب البحر . يبتعد عن الأرض التى يحبو بها عويضة . ينزل في  
 الموانئ . البعيدة يرى وجوها غريبة . نسمات هواء على شاطئ  
 بحر أنزق عميق ينبض كالرثنين ، الأطفال كالارغفة الساخنة الطرية  
 اصابعهم في أفواههم . الطائرة تنتقل من مدينة إلى مدينة . سيداتى

سالتني وصلنا بعد قليل سنهبط في . لكن لا امل في رؤية هذا سينظر  
 يرى نفس البيوت ، الشوارع ، الناس يجول بينهم عويضة لن يلحق  
 حسن ابدا ، ربما انقض عويضة الآن . انه لا يصدق وجود هذه الملاد  
 الغربية . صور الجبال المكسوة بالثلوج البيضاء كاللبن رائقة  
 لابحار واسعة تعجز العين عن رؤية آخرها لوهم بحارة عجائز  
 سافروا ورجعوا بلهاء مجانين اما حسن فاختطفه الطائر الحديدي  
 ليغوص به في فراغ عظيم ، ليس من المعقول انه في مدينة يطلع النهار  
 عليها الآن وهو هنا تحت السرير وعويضة يجلس المدينة بست عيون  
 وست اذان لا وجود لمن يمرح الربيع فيها ، لا رجال قصار يرتدون  
 الفراء يعيشون في الثلج الصور وهم الخيالات المتحركة بهجة مزيفة  
 امثل مسلول الحقيقي ، الصلب كالجبل ، كفيضان القصب ، الموجود  
 عويضة ينهي كل شيء في لحظة يمحو الضحكات والدموع وقلق النبال  
 وفرحة القلب عند رؤية سلوى . كل ما راه قبل انطلاق المدفع دخل  
 الحارة ربط الحذاء والتفت إلى الوراء ، لا احد عند المحل قبل القرن ،  
 يقف رجل عجوز طاقينه تعطي رأسه نزل حتى عيبه جاكنته بنية  
 اللون ناككت عند الكوعين بشرته ملساء كانهما ستتفجر بالدم يسند  
 يديه إلى صندوق صغير مصمت الحوائب سطحه زجاجي ، قوائمه أربع  
 رقيقة عالية صاح طفل ، ألفت امرأة بمياه من طابق علوى هذا  
 العجوز لم يره من قبل حلق فيه عيناه لا تتحركان  
 مفتوحتان واسعتان لكنهما لا تتحركان كانه لا يشعر به ربما يتصنع  
 نزل العرق من جسمه بدا الصيام له قاسيا قلحلا امتلا حلقة بفشر  
 سمك ، كاد يصبح فيه من أي لرض هو هل هذا وقت يبيع فيه للناس  
 اندفع فحاة صبي عرفه يوسف ابن زينب التي لا تشيع عيالها ابدا  
 بتعريفه حمصية يا عم حسين اهترأس عم حسين كاد محروس ان  
 يصرخ خوفا عندما سمع صوته صوت رفيع رفيع جدا كخيوط نحيل  
 ومتسلخ حمصية ولا سمسية جالت يده داخل الصندوق أخرج

قطعة الحلوى المرصعة بالحبات الصغيرة الصفراء عاد يحلق في  
الهواء ، على وجهه ابتسامة سخرية ، استهزاء ، ولحظة رفع يده ليل  
باطن يده ويظهرها عدة مرات . اهتزت دماغه اندفعت الدماء إلى قلب  
محروس . هذه الحركة ملأته بقشعريرة كالصداع . يوسف الصغير  
ينتظر إليه انتبه إليه أمسك يده بين يده يا يوسف ، عم حسين  
دى أول مرة يقف هنا . أبدا طول عمره سلكن هنا . بس ما كنتش بيطلع  
من لوضته تحت السلم أبدا مرة أخرى . عم حسين يقبل يده ضرب  
الأرض بحذائه . الخلق باب المدرسة حيدا . عاد يتأكد من إغلاقه .  
زعق رانيو . موسيقى كنيية حزينة . في البئر كفن يقف على سلم  
المحطة السلام عريضة والرجال يجلسون القرفصاء أمامهم مقاطع  
وصفاتح وصناديق مبعجة وقلل فخار عابروا الميدان قلائل المقهى  
الكبير في مواجهة المحطة باحت الطلاء يتصدره إعلان قديم . سجانر  
سمسون معن كوتاريللي ومضت بقرة بنية اللون سمينة تعبر  
الميدان متمهلة صفرت قاطرة . نزل هدوء غريب كأنه الصقيع فوق  
الفيضان آخر الليل من أحشاء الحوارى موسيقى لونها نحاس  
طويلة كأنها آخر زهرة لطفل يرحل عن الميوت والخضرة . تخلفت  
تعلو كالنحيب . انقبض قلبه . مصصت النساء شفاههن . بدا رجال  
قصار يلبسون أردية صفراء ويحملون لبواقا نحاسية كبيرة . يضعونها  
على أفواههم لحظات فيحوم النحيب وينبض صداع القلوب .  
يخفصونها فيسمع نواح النساء الماشيات وراء الرجال اغمض عينيه  
عندما رأى الميدان خاليا . فوقه صفرة غريبة . اما الهواء فدسم كماء  
سالحن في هذه اللحظة دخل القطار المحطة . لا يدري إلى أى البلاد  
سافر يومها . ولا أى شخص يجلس الآن فوق المقعد الذى أسند ظهره  
إليه يومئذ . أين راح اليوم نفسه . النهار الزجاجى . الآن يقول أنه  
ربما لم يمر يوم كهذا ولم يمض أحد . أى شيء يعلمه عن حال الجثمان  
المدفون من سبع سنوات . اليوم الأول كما هو الناسى تجحظ العينان



وتنتفخ العروق ، ينزل حارس القبر ليصرق الكفن . في الثالث يعلو  
البطل وتنمو آلاف المخلوقات الصغيرة لتأخذ نصيبها من الحياة ، شد  
الغطاء حتى عنقه . قامل خشب السرير والمرتبة ، أمن المعقول هذا ؟ في  
يوم معين ، لحظة بعينها يغمض عينيه ولا يفتحهما أبدا أبدا . لن  
يسمع ولن يرى . إنما هو فما لقرب اللحظات . لن يكف الوريد عن  
ضخ السائل الأحمر فجأة لن تخرج الذبابة الزرقاء ، ترغرف بجناحيها  
ليتناقها ملائكة اليمين والשמى فيسألونها الحساب عويضة هو الذي  
حدد ميعادا لكل هذا ترى هل عرف البيت لم لا ؟ أما هذه الليلة فلم  
يمر أبعد منها طوال الشتاء ينتهي رمضان ، لساعته مذاق غير  
المذاق كم مضى من الليل ولم يتبق عنده أكل للمحور . يجيء زينهم  
بعد قليل ويشترى منه سلطانية اللبس صوت خطوات ثقيلة ، رفع  
رقبته أصفى ، الوقع ثقيل . لم يتعود سماعه في مثل هذا الوقت .  
كل ليلة . هل هو الحذاء الأسود والرقبة المحلاة بقطعة اسك صغيرة  
تبيح للقدم الغليظة أن تنزلق داخله ازدادت الخطوات وضوحا .  
أين المخرج ؟ المائدة القضيبان الحديدية . دخل الحذاء . باب  
البيت في الغناء تريد أمام الباب صمت ! بلع ريقه لرهف أذنيه  
محلولاً النقاط سرير البلاط تحت النخل المخيف نزل سكوت فانس . حد  
سكين . ماسورة ميزر أين راح ؟ ربما ينتظر حتى حين تحين  
الفرصة المته رقبته المتصلبة السرير يخنقه خرج من تحته على  
مهل محاذرا لن يحدث صوتا ولو ضجيلا فجأة توالى صوت عصا  
تصطدم بجدران البيوت فوق النوافذ صوت عجوز كلماء البارد في يوم  
حار تسرب اليه

— وحد الله يا عم سيد يا عم صلاح وحد الله . ياسى سعودي يا عم  
نادر وحد الله يا محروس افندي

لا . لا داعي قلنا ناحية المائدة . صباح من ورائها

— عم عبده . . عم عبده

بزل صعت لحظة ، جاء صوت الرجل من الخارج متسلفا ، اجابه  
صوت خال مرتجف

— ما فيش داعى تعدد اسمي انا دايميا صلحي و عبيدتك  
محفوظة

بدا العجب في صوت الرجل عندما اجابه موافقا ، لكن من يعلم ؟  
ربما لم يكن هو صاحب الخطوات ربما لم يهتد الى البيت ربما  
تصادف مروره . يسمع النداء عندئذ يكون سلم نفسه اليه  
امض . . امض يا عم عيده  
— وحد الله وحد الله يا بيم  
\* \* \*

توقف حسين المكوجي عن العمل سال صبيه ،

— مش محروس افندي اللي دخل ده من شوية

— اه . . افكرت هو

اوح الاسطى حسين بيده ،

— نسيت تقول له ان واحد سال عنه . ابقي فكرنى الاول له ؟  
\* \* \*

— فيه سنانج وكوسة وبسلة وفيه مكرونة بالفرن وكباب  
وكفته

الدخان يحمل رائحة اللحم المشوى المريكة البيضاء الكتله فوقها

بحروف حمراء متسخة مطاعم الحسين الجالسون في المطعم قلة

هذا العجوز بجوار الجدار امرأة بيضاء فسنتلها اخضر ورجل

اقصر منها يجلس امامها في الطريق الخارجى شيان يلوحون بايديهم

يفنون عويضة لا ياكل الآن في المطعم ليس بين الموجودين

ربما يلف على ناصية الطريق يرقب الشارع لكنه ليس بالداخل

— ابوه يا استاذ

ما زال ينتظر اى شىء يكله ، من ايام لا يعرف غير الحنة

## والحلاوة الطحنية

— سبافخ لريز

الوجوه تقتلع الاضواء في الخارج حمراء وزرقاء وخضراء  
خادم القهوة المقابلة يروح ويجيء بسرعة الزبائن يتكاثرون  
سجلات المخور والضباب تتصاعد لتعلا الفراغ  
عربات الباعة الصغيرة تصطف على جانبي الميدان المزدنة  
الرشيقة تطعن الفضاء لو وقف فوقها لاستطاع رؤية كل دمي في  
المدينة في البلدة يصعد الرجل ليحظى بالبحر من النخيل . يطلق  
صوتا ليحذر الحريم في البيوت المحيطة المنخفضة اما عويضة فلو  
انسربت الى المائدة واستندت الى الحاجز الحديدي سيعرف ابن يخطو .  
كم مرة تنفث في الثانية ! كيف يعض قلبه ! الامنية التي تجول بعقله .  
شوعية الدكري اهل البلدة يعرفون ان عويضة يعلم بكل شيء عن  
ضحيته قبل انقضاضه عندما قتل الاعور جاك الله كلن قد اختار  
الثوقيت الذي يتعدد فيه بين تراعى امراته سعيدة التي يشتهيها  
ويشتهي مصافها لن يغيب اى شيء عنه . هكذا يعلم الجميع  
تلفت حوله الطلبة والمرمر من الطرف المقابل للميدان طلحة  
يزعنون بضحك شبل حوله شنيو يا شنيو يهزون خصورهم .  
نظر اليهم وقرض شفته كأنه يقف على قنطرة صغيرة والماء يتدفق  
هائرا من تحتها اضحكوا هروا لردائكم يامن يماثل تاريخ ميلادكم  
ميلاده التصقوا بالبدات . احقيقى انكم يعيدون عن عويضة ؟ لو  
اعجبتني ساعة في معصم احدكم لتعقبه وقطع يده لو اشتهى صلحية  
واحد منكم لاخذها في وضوح النهار والشمس تغل في السماء ولن يجرؤ  
احد على هز اصبع في وجهه . صاح منادى العربات نزل رجل حول  
رقبته كوفية حمراء منقطة بنواثر بيضاء . دار براسه . رفع المنادى يده  
بالتحية أشطر الرجل الى البيوت القديمة القائمة عند ضلع الميدان  
الشمالي

— ايه ده ياريس !

— دى بيوت ياسعادة البيك

هز راسه انتسامة تودد على وجه المنكدي - اشار الى المجذور  
حامل وعاء الذخور -

— ايه ده ياريس !

— دا ببي لدم ولا مؤاخذه مجنوب يابك

هيه ، الى الحسين ، اين غاب عنه ، من سنين لم يعرف الطريق الى  
هذه الهداة السكوية التي تطفه منذ مئات السنين . على بعد خطوات  
منه ولم يدخله . لم يقبل ماوى الراس المفصول عن الجسد والذي ظهر  
من كرملاء الى مصر مدة اربعين يوما لتخفيه ام الغلام المسكينة الفقيرة  
وتفقيه براس ابنها . عويضة لن يقبل الغدية ولو كانت حرائن قارون  
وكنوز سليمان الحكيم . كيف يرفع راسه وسط الناس . لابد ان يجز  
عنق محروس المقصورة مغلقة فوق الباب الحديدى المزخرف ورود  
جمراء كبيرة . بلمدخل هدوء غريب بعد حتى محاعه . في حائط الباب  
الاخضر خارج المسجد شق لا يروح العطر منه . قال الشيخ العجوز ان  
الراس حط هنا بعد رحلته الشاقة ومن يومها والعطر الحزين لا يفارق  
المكان . قال الشيخ الحزين ايضا لو كشفوا عن الحسين الآن لوجدوه  
على حاله . ملاته دهشة أكد الشيخ ما قاله ها هو يرى سيد  
الشهداء ، راسه الحبيب الطاهر الذى لم يكف عن ذكر اسم الله طوال  
حياته يدخل المقصورة يسيل الضوء ناعما وقورا ، انه يرى سيد  
شباب اهل الجنة . هذه الحضرة بجوار الحبيب تحت السقف العالى  
المرتفع ، هنا وليس في اى مكان اخر لم يستطيع عويضة اللحاق به .  
فليدخل . الحبيب سيصفح عنه . يغفر له . انه ظل سنوات يمر كل يوم  
اربع مرات او ستة ولم يدخله بل لم يفكر فيه . الآن لن يعاين المكان  
بالداخل امان لن يعرفه الا هنا بجوار الجسد الذى لم تجف دماؤه .  
ولن تحف حتى ينفخ النفخة الثالثة في الصور ، نفخة طولها اربعون

الف سنة . يعقبا صعت اربعين ألف سنة . وينفخ نفخته الثانية . ثم  
يجيء نفس الصمت حتى ينفخ النفخة الثالثة . لكن الباب موصد  
باسيد الشهداء . المقصورة معلقة يا عصب العين . يا صاحب الدماء  
الدكية . يا بلان السفينة . عويضة يسعى وراءه . يقتفى رائحته .  
يتسع صوته . همسه . حركاته وسكناته . عويضة يقتله في هدوء . قم  
يا زينة شلج الجنة . يا ملجا الشاة المدعورة من الدئاب يا نور الارض  
محروس يمدريك أدت . أبوه . قتلوا ابنك في حجرك بعد ان منعوا الماء  
عنك جرحوك مائة وسبعين جرحا . نبحوك واحتزوا راسك وداسوك  
أه لو يدخل لمن يفارلك أبدا . ولن يقوم من جانبك وفي كل علم . في نفس  
ميعدك . يقيم العذب عليك سنة ياكملها حتى تبعث حيا  
لو يدخل لو يستكين الباب موصد

المبى الخشبي رخارفه صماء بكى يد تلبض قلله كأنه صسى  
صغير تركه أهله ونزل عليه الليل في الخلاء بعد ان دخلوا الملجا  
الامين قعد بين الرجال . الجميع يحملون الى شرفة خشبية عالية . لم  
ير شيئا الجميع صامت خاشع مال الى الجالس بجانبه يستنصره .  
قال الرجل وكان عجوزا جدا حسنه قديمة . قفاه نحيل . يصلبه  
عرقان غليظان جافان

— لارء جديد صوته احل من صوت عبد الماسط

ياه منذ متى لم يكلم احدا كأنه يحرك لسانه بيده

— يا ترى حيقرا سورة آيه ؟

لم يرد الرجل النحف الثقيل ينوء به السقف الملون رجل  
يحمل قربة ماء ويمسك اكوابا نحاسية . تناول منه كوبا تسربت برودته  
الى لحمه . ما اذ الماء في هذا الوقت من الشتاء . نهاية العلم . او ما  
الرجل شاكرا . عاد يقتبع زخارف السجادة المعقدة المتشابكة . رفع  
رأسه الرجل يحمل قرفته . ينظر اليه غاضبا

— تعريفة يا استلا .

كاللسوع انتفض ، بحث في جيبه عن القطعة المعدنية الصغيرة  
 انصرف الرجل مبتعدا يكريم . الكل يحملق ناحية الشرفة  
 الخشبية العريضة لا صوت ، وقف ، اى ضجة ثقيلة فو ارض  
 الشارع ، الطريق مغطى بالرؤوس ، نزل تحت الرصيف الى اين ؟  
 البيت ، المخيا ، تحت السرير ، ربما ينتظره بحوار دورة المياه خارج  
 المذرة ، ربما عند الناصية لا يعرف الى اى الناس تنتمى هذه الملامح  
 التي وصفها له حسين المكوجي ، لكن هذا الغريب رفض ان يقول  
 اسمه ، بل وساله عن ميعاد دخوله وخروجه لا بد ان ينتظر والزحام  
 سيتلاشى بمجرد عبوره حلقة الوطواط . تصبح الشوارع وحيدة  
 قاسية شرهة الى الدماء تماما كما سيجد ميدان الحسين ثلثي ايام  
 العيد تنوب كل هذه الضجة ، كثيرا ما عبره في الليل يبدو متسعا  
 خاليا تماما ، الا من شحاذ يفترض رصيف الحامع بلع لبس يغلق  
 ابوابه لكم يبدو الحسين وقتها وحيدا عجوزا تثقله الام سنين طويلة  
 من الغربة ، اه لو ان المقصورة مفتوحة الف الف سنة والراس لم  
 يلتق به ابدا ابدا اما عويضة ، فما اقربه ، لن يرجع الى المذرة  
 سيمضي بين هؤلاء حتى يبدو النهار الأزرق ، مضى حول الميدان لو  
 سلوى معه ، اى امل يحوطه ، اى مشاعر تريحه ، منذ شهر وكانت  
 انفاس الحريف تحتضر امام زحف الشتاء القلبي راها تعبر الميدان  
 بمفردها متجهة الى محطة الاوتوبيس ، صمم ان يظلمها ، تريد امامها  
 كثيرا اندفع وتدفقت الدماء من قلبه الى اقصى اطراف جسمه ، ركبت ،  
 ركب ، نزلت . كاد ان يحاذيها بقرب هذه الحديقة الصغيرة عندها  
 تراجع فجأة ، كان بدا لطمته ، تهوى على المقعد الرخامي وراح يرقبها  
 تبتعد نراعاها في نراع شاب ، ربما يشبهه ، ربما لا يقل عنه اى  
 عجز قلبه الوقت عصر والشمس فوق السيل لا تبين عبر  
 الكوبري اى وحدة مرهقة كس موسى مصقول ألمته ؟ حتى حسن  
 راح ، لو معه لحكى له ما هن قلبه لكنه بعيد وسلوى نائمة مثل

كهوف الجليد ولا اصدقاء لا شيء غير وجوه غريبة تمر حوله  
 صاحكة زاعقة هامة حتى المندرة بعيدة لا يجزئ على  
 الرجوع . لكن الى اين ؟ هل صدمه احد ؟ رجل عريض طويل  
 جلباب بلدى معطف وبر الجمل ابتسامة خفيفة على وجهه ينظر  
 اليه لا يذكر ملامح عويضة . لكنها اوصاف المكوحى التفت  
 وراءه غاص قلبه اين الرجل ؟ لا يعرف عويضة لكنه سيثتم  
 رائحته عويضة قريب من هنا ربما دخل واحد من هؤلاء  
 الخطاب في جيبه من البلدة يقول ان اللعين ارسل لأمه يامرها بتجهيز  
 مناحة على الخال المقتول من زمن لم تعرفها كطور ولا تحويع البلدة منذ  
 الف علم اين هو ؟ اين ؟ تزايد اندفاع الناس حوله ، دار حول  
 المضطع الشرقى للجامع الموازى لحارة ام العلام ، انثسم معلم شمليه  
 ضخم كبير طرفاه مرفوعا الى اعلى داخل فيه اسنن ذهبية ولسن  
 احمر يهتز اهتزازات صغيرة سريعة صاحت امرأة على راسها صف  
 من ريش ، اشترى منى بخور . صاح مجذوب يرتدى جلسته عسكرية  
 قديمة مليئة بالانواط والشارات وقطع قماش صغيرة رفع سيفه  
 الخشبي الأخضر والمكتوب فوقه لا اله الا الله زعق في  
 الناس اين عين الخلد ؟ مد شاب نراعه احتضن صديقه تراجع  
 الى الخلف ليتامله يلراجل من امضى ما شفتكش خبط البائع على  
 طيلة بنية اللون مزخرفة الحواف قل للشباب الذى يرتدى قناعا ورقيا  
 يمثل قرصانا ، دى نغمتها ترقص اجدع ست في البلد مد الشحات يدا  
 واحدة سليمة سمع عيال وامهم بابك طوح شاب يده احتكت بردى  
 بنت قصيرة ممثلة تنهد بقوة شاب اسمر طويل يهز وسطه  
 ويلعب حاجبيه قل بائع الكتب . مجنيه وعشرين في اليه تحفيض  
 يبقى ثمانين اللافتة على السرايق الكبير دخول عمومي بثلاثة  
 قروش ضطع الصوء حول المئذنة صرخ رجل مقلدا صوت امرأة  
 تطايرت رائحة الكباب من مدخل خان الخليلي والنافورة الرخامة

حرساء جف مأوئها . الرجل قريب منه لكنه لا يراه أين ، صوت  
المطربة سيدة أم السعد صلحة السراقى المائل على حارة الوطواط ،  
توقف غداؤها تتابع الأصوات والمعلم و والاستاد واما  
وانت سلام كبير قوى هل يسمع اسم عويضة ابدا ؟ لكنه يعذبه  
يعرف اهل البلدة المساكين عذته لا يقتل صحيفه مرة واحدة ، يتركه  
في متناوله حتى اللحظة التي يحددها هو . وهكذا يعيش كل مزارع  
صغير او صاحب بقالة او صاحب جمل في البلدة وهو يظن ان  
عويضة يطله هو وعينه على ماله لهذا لا يجرو واحد على الوقوف  
امامه او ذكر اسمه بصوت مرتفع بالتاكيد عويضة قريب جدا . لكن  
اين ؟ لا يعرف . ربما العييل الضاحكن العاعستان ، الصوت  
الناعم الاذان المرهفة انسامة البائع الزائفة غضب جندي  
المرور مسالمة البائع شهوة المراهق الى لحم امرأة ، حتما هنا .  
الميدان كله يعرف ولا يعرف ومع هذا يضحكون ويتمايلون ويشتررون  
الطفل ويرتدون القصة الربان بلود عويضة هنا اقبلوا احقا  
انكم لا تعلمون ؟ اندا اندا حتى ساعى البريد الذى حمل  
رسالات الجد ابو الغيط كان لا يبدو عليه انه يعلم ما تحويه  
الخطابات . فوقه السماء لا تبني من الاضواء اه لو انه في مكان  
ناء . لو هناك حياة غير الحياة . لو عاش اسما آخر في عالم ثلث  
لن تمضي غير دقائق وتوان يشق الزحام . تخدم كل هذه الضجة  
يسكت الشباب الذين يرقصون التويست . تظل سيقان النساء مكشوفة  
بلا حلقب تغطيها . عندما يقترب منه سيشرحون كلهم . لكن لن يرفع  
واحد منهم صوته باحتجاج . لكن لابد ان يبههم . قبل اقتراه . لابد  
ان يوجد شخص ما في هذا الزحام يحبه . لم يحلق الله عويضة  
بمفرده لابد . لابد دار راسه . تصيب عرقه غزيرا يائسا من  
يوقفه في الزحام . الكل لاه يضحك يغنى اقشعر جسمه زحاما  
سحت جلده عمل شتاك يخز عروقه . تلتفت وراءه وامامه . الى اليمين والى



لشمال ثمة دبابة تطن بجوار اذنه ، اى حضرة يسمع لريزها في  
لطوفان ، هى روح امه ام ابيه ؟ يقولون في المدة ان روح الميت ، اذا  
ما حنت الى شخص حى ، يبت فى هيئة دبابة زرقاء شفافة الجناحين  
( يراها لكنه يسمع الآن ) ابتلت ثيابه من العرق الغزير ، اعتلى  
باعدة الظفورة ، عبر المسافة الصيقة التى تفصله عن الزهرة الرخامية  
لتى تتوسطها انتهى ياغلبة من رؤوس سوداء ، لابد ان يعرفوا اى  
خطر يكس بينهم ، يتهدده ، اى سكين تكاد ان تلامس رقبتة ؟ لابد  
يا غلبة الرؤوس السوداء والعيون والانوف والضوء الأزرق والاسنان  
لذهبية ، ووقع الحصى فى جوف الليل ؟ لابد ان يشعروا به ، يشبهوا  
ليه رمى جاكته فوق الرصيف ، لوح ببطاقته الشخصية ، رفق  
اعلى ما يمكن لاوتار حنجرتة ان تخرجه

— انا واحد وثمانين ستة وستين جمالية

طوح بالبطاقة ، فليلقها عويضة ، فليعرفه ، فليرجمه ، فليقبل ان  
لم يجدوا واحدا من الزحام يمنعه فلا ما مع بعد اليوم ، ولا عاصم ،  
انتبهى يا غلبة الرؤوس السوداء ، بامعرض العيون المترجرة  
الزجاجية

اشارت سيدة انيقة حدا ترتدى فستانا اخضر قصيرا جدا

— لوك يا حليم الراحل بلبن عليه حيلعب لعبة

ثم مضت ، رمى اخر قطعة من ثيابه الداخلية فى اتجاه المسجد ،  
تكاليف الزحام ، اشار اليه شبان ضاحكون الذبابية تطن من حديد اى  
صوت اخر سمعه ، لم يدر تماما ، بكل ما تبقى فى حلاياه من قوة صاح  
للمرة الاخيرة

انا واحد وثمانين ستة وستين ، انا واحد وثمانين ستة وستين

جمالية ( ١ )

الجميع يمضون ومجموعة شبان يرقعون عيبرتهم بلغناء شنيو  
ياشنيو لم يشعر بوخزات البرد التى تلسم لحمه العارى ، لم يدفع

عنه احد ما يهدده . توالى وقع طبل سريع متوتر محموم يوشى بجسم  
راقصة يتثنى . كأنه سمع ضحكة هائلة تخرج من فم سمع لوصافه من  
حسين المكوحى . عاد طنين الذمالة . دفن راسه فى صدره ، وابحنى  
حتى كاد جسمه ان يتقوس ، وسمع عويضة يشق الزحام وانثقا ، ثقل  
الخطى لا يوقفه احد

\* \* \*



# أرض .. أرض ..

© 1980



فصل ١

التاسعة والنصف .  
 كما قالوا . اكبروا . إنها التاسعة والنصف .  
 في النصف بعد التاسعة . هل صحتك أنا ؟  
 هل اجتزت باب المنطقة التعليمية ؟  
 وقفت أمام حمدي الحندي اصرف المرتب  
 اقول لإبراهيم الحندي شكرا بعد احتسابي

فنحن القهوة ؟ استشيق الشهيق . اطرود الزفير . لا ادري بالضبط ما اعرفه . اثق منه . اننى لم اوجد معهم . لم اقعده حول الطليعة اكل الحبن والقول . اشرب الحليب من يد امي . في التاسعة والنصف اول النهار . يصل قطار الركاب الى ضواحي المدينة الصغيرة . احتجزوه قليلا عند المزلقان يعبره رجال ونساء واطفال . التاسعة والنصف لم تنوقف حركة العمل . بالحرارة تقترب من ميباء . تزعم صفارات . تصر عجلات ترام عند منحني . ويقفز طفل يبيع الكريت فوق السلم . يتنأب المسافرون في الطائرات . شاب يعازل وامرأة تتمتع . تاحر يسالوم ومدير يتأمر يحتلس وعطور تسكب من اناء الى اناء انفاس دخان تتدد . تكتكة آلات كاتمة . قهوة تلوون مذاق الافواه وموظفات ينسجر التريكو في التاسعة والنصف يبدأ العمل في بلاد بعيدة جدا عما في نصف العالم الثاني . وتشتعل النار في الاعشاب على جانبي قضبان القطارات .

في التاسعة والنصف مشروط طبيب يشق بطر الانسار . ويطفو كلب ميت فوق مياه القرعة القريبة من القمامة . فيقول جندي لا يد من إزالته لاننا نشرب من هنا . بالضغط في تمام التاسعة يرعى الفراغ جبلا من المتفجرات ورنه الف الف الف رجل يخمن الرجال في الحفر في الدشم في خنادق المواصلات . الرمي فوق بورتوفيق . يؤكد آخر انه فوق مدينة السويس نفسها . يضررون الميوت في تمام التاسعة والنصف . قلب ام يرقب لحظات الافطار . امي انا تعبر فناء البيت تحمل الماء من الزير الى اخوتي انا سعيد اخوتي انا فتحي وابراهيم . اخوتي على وعادل وحسنى . اختي فتحية . اختي انا . مصطفى ابو القاسم كلما سألني شخص وانا ادور معسكا بيد عبد المنعم ابو العطا . اقول انا مصطفى ابو القاسم من كفر عامر محافظة السويس وعند المنعم هذا فلاح لا نسمع ولا يرى منذ التاسعة والنصف عندما ذهبت إلى الرقازيق ذات المسافة بينى وبين اخوتي وامى إلى الابد . ابد التاسعة والنصف

المخلق في سماء عمرى عندما طلع من هناك . تدرك الآلة الصماء  
وتروسه وقلاووطه واسلاكه وبطاريلته اسماء امى واحوتى واوصافهم  
واحدا واحدا وبمقدمته الصلبة القاسية غاص في السقف وعبدان  
الحطب والفراغ ما بين السقف والارض . الارض

انا مصطفى ابو القاسم لم اسمع النوى لم ار الشطايا والهب  
رايت عمودا طويلا ابيض مصوعا معنية ودقة من انقى انواع  
الالومسيوم . ولم ار الأرواح لحظة طلوعها . اهل القرية ايضا لم يروها  
وسكان الزقازيق والقاهرة وطيطا وشطا ونليس ومنسفيس وزوار  
الحسين وسيدى احمد البدوى واهل المر ومخلوقات البحر والغداهات  
والعجائز وكتبة المحاكم والطواحين . انما هبط ثقل من مدب ينقب  
الامعاء والحشاء والعمر المقبل والمنقضى والامل . ويحرق نسمة تنشر  
بذهاب القيظ . ومجيء الرد . وامنية لم تتم عندما لمحت الخمر فوق  
الجسر في عيونهم وفي البيوت . والطريق وفصاء ابدى تمهل الدم في  
عروقي . ورايت اهل الملة افواها وعيوبها وحرنا صامتا لا يعرف كيف  
ينقل الخنز . وانا قصيت عمرى اروح واجيء فوق الجسر فكانتى  
لا اراه لأول مرة بارصيته الرمادية . وسوره الحشبي . والحفر  
الصغيرة امامه من الساحة الشرقية . ولاحظت بعناية كثافة الدماء على  
جانبى التربة

والغريب ايضا انى رايت سرما من اور ابيض يتفص جناحيه بعد  
طلوعه من الماء . امرأة تمشى متمهلة تجر وراءها ماعزا سوداء . طفلا  
يعصر عودا من قصب وكلبا يتيح ويدخانا يطلع من احد البيوت . ورايت  
اللحظة التى امر بها خارج الزمن متجمعة متصلة قوامها التوتياء  
وعروق سوداء رفيعة وامر وشوك . لحظة هي زمن قائم بذاته . لا اول  
له ولا اخر بلا بداية او نهاية . قلت كيف اذكرها لو عشت ملئة علم .  
غير اننى رايتها معيني العمر نفسه تماما كما اعيشها الان . برودة الجو  
وقشعريرة عتقي وطعم المنحلس المجترى وانجاء الريح الخفيفة العاردة

التي جاءت لحفظها تماما ، فعرفت اننى تقدمت في العمر قدرا لا يحسب بالسنين . وان كل ما عشته قبل الان ينتمى إلى اجيال شديدة البعد لا صلة لا علاقة لا رابطة بيني وبينها . اتركنتى بدايات الشتاء وبحر اول اغسطس ثامن شهور العلم . اقول جاعتنى بدايات الشتاء لان سبتمبر يلى اغسطس ولا احسبه من شهور الصيف ابدا ابدا . ولماذا احسب سبتمبر من شهور الصيف وهو ارق ، اشرب ماءه فلانكر اياما حلوة راحت منى . صلاحها فرح . سماؤها بلا غيوم . ناسها يضحكون . راحوا من راحوا قال رجل عجوز هو الحاج حامد صاحب المحيل وشجر الرقوق والتفاح قال اننى رجل ويمكننى الصبر . بدا لى القول سخيفا وفرض محاسن . لم انظر اليه . لم انطق حرفا ورايت الورق وعيدان القطن فوق الارض وتساعلت لماذا لا اذرف دمعة ينزل ملحها طرف لسالى ، لكننى لم اك . كاننى ودعت امى واخوتى وانا اعرف اننى سارجع صباح اليوم التالى واسمع الخبر من الحاج حامد والحاج حامد بالذات وعندما مرلت السويس من شهر وجاء عم خليل الجرسون ورايت وجهه مهموما ، فعلا عمره سبعون بل اعطيته من عندى اكثر . وسألته عن الحال فقال ان حادنا جرى اليوم وكل فظيحا فقلت ان كل ما يجرى اليوم فظيحا باعم خليل . هز راسه واسند صبيبة المحاسن المثقلة باكواب الشاى الفارغة وشاجين القهوة وزجاجات الكوكاكولا

قال لا يستاذ . قال ان بجلرا فى حى المثلث عاد إلى السويس بعد ان ضاق به الرزق ولم يطق التهجير لو قل انه لم يعرف كيف يعيش هناك ، رجع إلى هنا يصلح بالدة او مقعدا ، اى عمل يحتاجه فيه احد . يحمل شيئا او ينظف مكابا . يعنى يلقط رزقه من هنا وهنا ، جامى مرة هنا وقال امسح لك القهوة وتعطينى . ما فيه النصيب . والله يا اسند اعطيته من جيبى ما قسم به الله ولم امسح له فهو يقربنى سنا . المهم ان امراته ولولده الثلاثة . بنت عروسة واخرى فى العاشرة وطفل ابن

سنة على باط أمه . جاعوا لزيارته وملتوا ليلتين ، وفي صباح الثالث جاء  
عندي هـا . توقف امام هذا المطعم واشترى فولا وطعمية محشية  
وخبرا ، واثاء وقوفه حاء الطيران . وكما تعرف يلى مصطفى يجيء  
الطيران عادة في التاسعة والنصف لو العاشرة صيلحا ، الظاهر انهم  
يعملون بمواعيد كلوظفلى . جاعوا وضربوا المظلة ، وفوق البيت  
بالضبط يلى مصطفى . كان القنبلة نزلت بخيط من الطائرة إلى  
الأرض . ألف رطل قلبت البيت ، وسكت عم خليل ، قال ان الرجل رأى  
اولاده يخرجون بعد اربع ساعات من الغارة فوق طاولة عيش . نصف  
الأم الأعلى ، يداها يلى مصطفى كان الحياة بقت فيهما تضم ابنائها  
الثلاثة . حتى ابنتها الكبيرة ، السليم الوحيد فيهم الطفل . اه  
يا استاذ لو رايت عيبيها ، مفتوحتين على اخرهما . انا في حيلتى لم ار  
عينين مفتوحتين كما رايت عبنى هذا الولد ، كالبرقوق . تراهما وانت  
واقف بين الرجال فتخلف . ياسلام . الولد يسال بعينه يلى مصطفى  
عن سبب موته في اول العمر . ولماذا جاء إلى الدنيا اذا كان موته سريعا  
بهذا الشكل . انا في حياتى لم ار طفلا يموت قربنا لم يعطى ولم ياخذ  
منى . لكننى رايت موتى انا . لحظتى في عينيه . ظلمت ان نموعى  
خلصت من زمان ، لكنى نحت عليهم كالمرأة اما ابوهم فلم يرد على  
احد . نزل عليه سهم اسكته . إذا امسكت يده يطلووك . تامر به بالمشى  
يمشى . القعود يقعد . لكنه لم يك ابدا . وعندما سمعت عم خليل قلت  
اتصور ان يحدث هذا لاي انسان في العالم . اما امى واخوتى فلا يمكن .  
وكما مرت ثلاثة اعوام راينا فيها القنابل والطائرات وعلزلنا احياء  
لستمضى ثلاثة وثلاثون عاما اخرى والاعمال باقية . حتى في ايام  
الدراسة . وانا اقيم بعيدا عنهم اصحو كل صباح في الرقازيق واعرف  
انهم بخير واسأل القاهمين من كفر عامر لو الجنائى . واخطف رجلى آخر  
الاسبوع لأشرب حليب القرع الطازج . وعندما سمعت الخبر . وتغير  
لون الهواء والفراغ ازداد اقساما وخواء . رايت الاب النجار لا يبكى

دمعة ، ورايت شفتيه متلاصقتين شاحبتين من جلد جف وطبق الغول  
بي يديه لا يجد اقواما تضعفه .

في تمام التاسعة والنصف ، تندقق العربات في الميادين ، لا يوقفها  
موت ولا رحيل انسان . ولا الف روح ادمية عن العالم . يضحك  
الناس ، يدمعون ، تنساق قط المياه من الزبر إلى النصفية الموضوعه  
تحتة . ويد مجهولة في مكان قصي تصعق زرا اسود اللون احمر  
او اصفر او ربما تشد مقبضا فيطرد من الثبات صلوحا طوله كرحلين  
متعددين فوق الارض . يطلع بطيئا وكأنه لا يبوى الاذى . يعمر  
الاعمار والذكريات وصور الطفولة المنسية وغير الاغنى القديمة  
القديمة وبداءات الليل ولهفة المسافرين . جوفه ملء بتروس واسلاك  
متداخلة في انابيب مبطنة بمادة بيضاء طرية . وعندما امسك الصابط  
بالعمود المعدني الابيض قال إنه من انقى انواع الالومنيوم ودرجات  
القلاووظ دقيقة جدا تدور حولها صامولة مسدسة رمادية والعمود  
يحفظ اتران الموت المحلق .

في تمام التاسعة والنصف . طال نظر الرجال إلى يرقبون ما افعله .  
ما اقلوه . سالت بحس خفيض ومالوا رؤوسهم ليقترنوا منى  
ويسمعوا ولا يتعونى كما يتصورون . ثم يطلبون ان اكرري صوت عال  
ما قلت ، فاكدوا انها التاسعة والنصف ، وقلت كيف حالهم عندما  
عندما ولم انطق بل رفعت اصبعي بيضاء كالجليد . نظروا إلى  
بعضهم وحلروا . وسمعت نهضة امرأة لم ار وجهها ولم اعرف من  
هى . وسمعتها تقول اه يلحبييتى يا الطاف فعرفت ان امي الطاف  
ذهبت . وحكى الشيخ خالد فاكد انه جرى عندما سمع الانفجارا الى  
البيت . وقال زيدان انه كان يحرق الغيط ، لكنه اسرع الى البيت  
وجاء جنود الموقع القريب . ورفعوا معهم الاخشاب والحجارة ولم يفكر  
احد في القبائل الرمنية . ورايت عم خليل في المقهى . يسكت . تفلحة  
ادم في حجراته تتحرك من اعل الى اسفل ويبلغ ريقه ثم يصف كيف



تعددت امرأة الجبل فوق طلوة العيش بلا نصف اسفل ، كان جسمها شطر نصفين بسكين جزاء ماهر . ولا بد ان صرخة امي ان وجدت الزمن لتصرخ في تمام التاسعة والنصف اصدق الاصوات في وحه الزمن واكثرها رعبا وجنونا وخوفا ورجاء مكتوما ووداعا ورغبة في بقاء الآخرين صرخة ، صيحة ، الام امي اصدق ما تردد منذ ان دب ادم هنا واستمع إلى الرياح والضباب وسقوط الصخر من فوق الجبل ، ومجيء الليل ثم النهار .

قال عمران انه رأى عبد المنعم يدفق دما من وجهه كما يسلب الماء في مجرى صغير وعند المنعم يلف قرب البيت عندما نزل صلوخ أرض - أرض ، وانهى الحنان والرفة والعمر الطويل وتعريشة العيب وخالفات الاحوة وبهجة العيد وايام رمضان والاستيقاظ آخر الليل لتناول السحور واكله البوري كل ثلاثة وصوت يطعن على الانشاء قبل النوم وشأى المساء ترشله امي على مهل تسرح في السواد العقيم الرائد فوق البيوت والزرعة والمواقع والطرق التي لا يمكن التحرك عليها بعد آخر ضوء والابفجارات النعيدة والطيران المحوم كالعربان في السماء ، تسمع الصدى ولا ترى اجسام الانثيوم المحلقة ونداءات العسلكر وهدير عربة قريب ثم وقفة فجأة

امي تذكر ايامها الاولى قبل ان تأتي اليها ، دخول ابني قبل مجيء الليل ومبدل به لحم وحبر ياتي به في تمام التاسعة والنصف ، وتمييت لو ان ما اسمعه وحه الى شخص غيري ، او تردد صداه في مكان بعيد عنا ، بعيد جدا ، وسالت روجي مدهشة ، بحيرة ، بخوف ، اهذا هو موت الاحباب ؟ وعندما مررت بعلمي الثامن او التاسع عشر هل كنت اعلم ان ما جرى سيجري ؟ وقلت اه لو يعرف الواحد ما سيأتي في العام الثلاثين ، ليس كل ما سوف يقع ، انما الكثير من الأمور ، لو اعرف لاخذتهم معي إلى الزقازيق ولعدنا معا ، نقف امام حطام البيت وتقول امي ، امي ، كتب لنا عمر جديد ونشر القول الثالث لاولياء الله

ونقص ليلة لا ننام فيها . غير انهم ذهبوا وتركوني فرعا ناجلا جالفا  
صعبا يتبعنا انقص في كل لحظة مرتين ولا تهتز شعرة في حفن الدنيا .  
ولم يقطع انسل انفس سيجلرته .

بالضبط في تمام التاسعة والنصف ثم اقل حرفا ولم يوميء راسي  
وقال الشيخ حامد مرة اخرى ان الاعمال بيد الله وقال ريدان والله  
لا نتركه وحيدا ربما عمل في نفسه حاجة وقال اخر لم اعرف وجهه مع  
انني في القرية اعرف الاسلمن من بعد كثير في الظلام ومن طريقة تورد  
انفسه حتى وشكل خطواته . لكنني لم امير من قال ان مصطفى سييام  
عندي فجلويه اخر . البيت اوسع عندي وحفرة المخيا اكبر فلو حدث  
شيء في الليل نزلنا كلنا وقالت جدتي نجمة وليست امي لو ام ابني انما  
كل عجوز هنا اقول لها بالحدة . قلت كنت اقعد مع المرحومة كل ليلة .  
رغر اليها الرجال في العتمة . لم ارهم انما احسست حدة نظراتهم .  
نظمت ابرة محماة طويلة تفجر مرارتي وباعت عظامي بحمل الهم  
امي الان . الان . تمام التاسعة والنصف مر مرحومة

قلت فجأة . خذوني إلى عبد المنعم ابو العطا . فاخذوني . قبلما  
جندى . قال إنه من الخطر مشينا جماعة في الظلام . ربما نزلت دابة  
ولا يمكننا التفريق . وقلت ماذا يحدث اكثر مما حدث . والقي احدهم  
السلام ورد اخر لم اره ولم اعرفه ولم تتمهل وانما اسرعنا . واصفيت  
إلى الصراخير المدسوسة في الهيش على ضفتي الترعة . ورايت  
عبد المنعم ابو العطا وحها من شاش وقطن وقماش ابيض . وقلت لو .  
لو . لو ان امي اصيبت لو احد من اخوتي اصيب . لرايته الان كما  
اراه . قال طبيب الجيش الشاب إنها جراحة لولية ولم يمكن نطقه ظهر  
اليوم لأن الطيران قطع الطريق عدة مرات . قلت ساذهب به إلى  
الرقازيق . المستشفى الأميري . وقال طبيب الجيش . المستشفى هناك  
اكبر هل تعرف لاحدا ؟ قلت اندا . قال إن العملية هنا تكفي الان لكن  
حتى يرجع سمعه وبصره فلا بد من امكانيات اكبر لا تتوافر عندي .

قلت هل يعود سمعه وبصره يادكتور فنظر اليه وقال محتمل والامل كبير  
جدا في رأيي ، قلت ساذهب به انا ، قال سارسل معك عربية الكتبية  
الجيب ، فقلت له ان المرحومة لو علمت وجرححت لارسلت معي العربية  
طعما ، رايت عينيه يوضح للحظات ، قلت حديثيهما وهزة سريعة  
من راسه رعشة صوته ، البقية في حياتك ، حياتي انا ، وفي الليل  
اصغيت الى نسيقة مياه مطايحة ، انقطاعها ، رجل نائم يتاوه في مكان  
قريب يتاوه متألما من شيء اجعله ، ورمى الهلوان ، ربما يموت نفس في  
هذه اللحظة تماما ، يفلتقون الدنيا ، غير اني لم لروحا عند الافق  
لنظلم تطلع إلى السماء المعتمة منحوم كثيرة ورايت نجما كبيرا يلعب  
بوضوح ، ولو نظرت اليه الليلة التالية من نفس المكان ربما اجده اولا  
ربما اجده اولا ، وانظرت نجم من ثقب ما في السماء مختلفا قليلا من  
لحظ ، ذكرت اسم الله فهذه روح شريرة مطرودة وقلت من يدري ، ربما  
هذه الدجوم ارواح احباب يرقبون احوالنا غير اني لم لراقب ابي  
ولا اخوتي ، واثق انهم يرونني وبحثت بلا فائدة عن لعب امضغ به  
طعاما احصروه الى ، لم اتحرك ، وسمعت انفجارات قريبة ورايت وهجا  
وخطوطا حمراء متشبكة كان الدنيا تعجل بانهاء كل ما تحويه وفي مدى  
الفجر قالوا دع واحدا منا يذهب معك قلت ابدا ولا بد ان يعود اليه  
السمع والبصر ليصف ما جرى ولرى تمام التاسعة والنصف وفي  
لعربية رايت قديمي عبد المنعم المتشققين وهو لا يملك ارضا في البلد  
ولا حذع نخلة حتى ، انما يعمل في اراضي الآخرين ، ولا ابناء له  
ولا اب يعرف وكنت اسأله من لبوك ؟ لكنني رايت صمعه فاحطته  
بدراعي ، واستقر العرق تحت إبطيه مالحا ، ربما احتفظ برائحة من  
وقف بقربهم قبل مجيء الكائن الحديدي الطائر من الأرض وإلى  
الأرض . .

وفي الزقازيق دخلت من باب المستشفى العمومي وطلعنا إلى صليب  
ضباب لا بد انه حصل على الشهادة الاعرابية نظلم ثلاث سنوات ودخل

الثانوى وحصل على التوجيهية بمجموع كبير قسم علمى ، ودخل الطب  
 وقضى به سبع سنوات ، قلت فلأسأله عما فكر فيه ورأه يوم الاربعاء فى  
 تمام التاسعة والنصف ، وبالتأكيد سينظر إلى بدهشة فالحق قائلًا  
 أن امى واخوتى السبعة وبدأ غير راعب فى الحديث ، شرحت كيف  
 اصيب عند المنعم فدار حوله وهو لا يعرف أى شيء عنى أو عن  
 عند المنعم وأسند سماعته إلى ظهر عبد المنعم وإلى صدره وأصغى  
 قليلا ولم أر داعيا لوضع السماعة فما الذى يشكوه فى بطنه  
 أو ظهره ؟ الامه واضحة لا تخفى وتأكدت ان ثمة طريقة أخرى  
 يمكن الكشف بها على عند المنعم ابو العطاء لكن الطبيب الشاب لم يقيم  
 بها إنما امره ان يبرز جلنابه وبقي عند المنعم لا يتحرك ، كرر  
 امره ثانية ، وبقي عبد المنعم واقفا ، اسبل اصم اعمى ، لا يسمع ،  
 لا يدرى ما يفعل به ولا معه أو امامه أو ورائه ، عندما امره مرة ثالثة  
 بضيق ، بصوت عال ، قلت انه لا يسمع يداكتور وكأنه تذكر ما قلنا  
 عندما دخلنا الحجرة فجاءت كلماته سريعة عذبة وثو جاءه آخر  
 يشكو صداعا أو اسهالا أو إلما فى طرف الأصبع لكشف عليه بنفس  
 الطريقة ، وضع السماعة على الظهر والبطن فى التاسعة والنصف ،  
 ولا بد انه يحب الممرضة التى دخلت اليها ونظرت اليها ثم خرجت ،  
 كدت القول لا تنظرى اليها بضيق ، عبد المنعم لا يسمع ولا يرى ، قال  
 الطبيب لابد ان تذهب به إلى مصر ، رابت وجهه وعيبيه وبديه كل  
 ما فيه يطق بالعجلة ويقول أخرجا ، ولابد انه لا يسكن فى الرقازيق  
 إنما اهله فى مصر ويجئ إلى الرقازيق فى قطار التاسعة صباحا ويقطع  
 المسافة فى ساعة ورمع ساعة ، ربما يتعجل انتهاء الكشف على المرضى  
 ربما استطاع اللحاق بقطار الثانية إلا الثلث ليلحق فى مصر بالبيت التى  
 يحبها فعلا لأنه ينطاهر بحب الممرضة الشابة ، ودخلت عليها ثلاث  
 مرات وكل مرة تلقى نظراتهما ، وتنفس رائحة البج والأدوية  
 وبخار الغلابات الصغيرة ، والقطن المنزوع عن الجروح ، ورايت

بوجه المخلف بالقطن والشلش يدور حوله لا يدري صاحبه اين هو  
لماذا تنتقل قدماء من هنا إلى هنا ومن صاحب اليد التي تشده أو توقفه  
قلت يعنى إلا يمكنك ورد بجفاء انه لا يمكنه وامسكت بدراع  
سيد المنعم أبو العطا . ومشيت به في الممر الطويل . على حاشية تجلس  
سجائر يحلق في الهواء . بحثت عن لافتة تحمل « مدير المستشفى » .  
القيت بجوارها ممرضا ضخما قال انه ليس سهلا مقابلة سيادته وهل  
ختر نظام الدنيا حتى يجيء رجل يسحب مريضا ليقابل البك المدير .  
كثير الأطباء من الصعب مقابلاته فما بالك بالمدير نفسه ؟

قلت إن عند المنعم حالته خطيرة . وإن اليهود افقدوه السمع  
النصر . ولا يد من مقابلة مدير المستشفى . قال اسمع بلجدة انت .  
رايت الاهانة وفي اللحظة نفسها داس ملاط الممر رجل ابيض يرتدى  
عطفا ابيض ونظارات طبية إظاراتها مذهبة . اقتربت منه . في ملاحة  
نظية . اقتربت وافرغت في صوتي كل ما يمكن من رجاء وتودد ومذلة .  
انظر إلى عبد المنعم وقال اعتقد ان الدكتور معدوح على حق عندما رأى  
« ضرورة ذهابه إلى مصر » . قلت لكنه لم يمس رأسه . لم يكشف عليه  
دهلا . انتسم انتسامة مهدية كالقطن الطبي . اسف يا أخى فهذا من  
احتصاصه . إنه مسئول الجراحة . وخجلت من إطالة حديثي معه .  
بينما وقف عبد المنعم أبو العطا يدوس الأرض مقدمين لا حذاء لهما .  
وجهه المكفن لا يدري اين يتجه . ودخلت الحجرة ولمست كتف الطبيب  
اشتب وبظرت الممرضة إلى بشتات . قلت ان اليهود افقدوا عبد المنعم  
سمعه ونظره .

فصاح غاضبا . وهل هو أول الجرحى لو اخرهم . وقلت يهود  
ما الذي فعلته في التاسعة والنصف يوم الاربعة الماضى ولم  
دعنى اكمل إسماع زعق . امض يلوكد . نحن في مستشفى أميرى وليس  
مستشفى للأمراض العقلية .

وأنا مصطفى أبو القاسم لست ولدا . أنا مدرس من كفر عامر ومعنى

دبلوم معهد المعلمين وانا الذى ازعق في وجوه التلاميذ يولد وليس  
الطبيب ، غير اى خفت فعبد المنعم وانا بلا سند ، بلا غطاء ولو ان  
الطبيب كشف على عبد المنعم ابو العطا بعناية وقل اذهب إلى مصر إلى  
السند إلى الهند إلى آخر بلاد الدنيا لمضيت ، لكنه وضع السماعة على  
الظهر والبطن وما هذا بالكشف الصحيح فلا بد ان الامر لم يمت  
هنا ، عدت إلى المعرض الضخم فزعق وأعلن ان اليوم شؤم ويراه  
اسود اللون فاحطت عبد المنعم بدراعى ومشيتا مسرعين وربما  
تسببت في إيلاعه حتى لما لا ادرى كيف اشعر بأنه نال في هذه اللحظة  
او توجع ، او حاح ، او يرغب في جرعة ماء ، هو لحظة الاحتضار  
نفسها مجسدة ، يبعى وبينه سد لا يراه ، استطات خطواتي ، ولم اذهب  
الى مدير المنطقة التعليمية وعمل يتصل به ويعرفني وله مفود وربما  
يتوسط لنا او يعرف مدير المستشفى الاميرى ، ولكنى مشيت ولم ار  
احدا حتى وقعت امام المركز وقلت اليك المأمور موجود ؟ فقال الجندى  
انه بالداخل ولم يكن اليك المأمور موجودا إنما المأمور الذى يقصده  
الجندى ضابط يجلس إلى مكتب بنى اللون قديم الطلاء تفرشه قطعة من  
قميص الجوخ الاحضر وفوق سماعة خشبية علق عليها غطاء رأسه  
وسنرته الخارجية ولعلت نجوم ثلاث ذهبية على كتف السترة اليمين  
المواجه لنا ، قرا ورقة ، ثم ورقة اخرى ، بجانبى عبد المنعم لا يرى  
ولا يسمع ولا يقهر على الكلام ولو انه تزوج واصب اطفالا لصار في  
بيته ملحة الان لكنه لم يفزوج ولم ينجب وانا لم اتزوج ولم انجب  
ومن العادة دخلت اصوات الطريق ، نداء باعة ، خماقة اطفال صغار  
عربة مسرعة ، اصوات النهار عندما يعجل بالرحيل ، نهاية النهار  
تلخيص ابدى للبعد وفراق الاحبة ونهاية الاعمال فحاة لكل الاوان  
امام الطوب المحروق والخشب المتفحم وحروح الارض ثم اصدق ان  
ما لراه بقليا بيتنا ، حزمة ثوم سليمة تماما حملتها اثرا غاليا ، بقليا  
ملايس ضاع زهاء الوانها ، لم اعرف اى اخوتى ارتداها ، شد اطرافها

واختل بها ، حلة نحاس منعجة ، يد ضخمة مجهولة لونها وملاتها  
حفرا صغيرة ، عليه لحم محفوظة ملفاة فارغة . ارى نفس عندما  
استريتها وجلست في القاء ادير مفتاحها الصغير واخوتي يرتجسون .  
امي تصيح من الخارج ، هل انتهت من فتحها ؟ ؟ وجاعني الحزن عفا  
قويا قاسيا في موجات متتالية كهجوم انتحاري . حزن يحفف اللبن من  
صنوبر الامهات ويعيده إلى يهود العجائز ، ام من لون النهار الراحل  
المتعدد .

التاسعة والنصف . خرس اصوات الدنيا . قل الضابط لفظا  
واحدا كحمى الطيران فجأة على ارتفاع منخفض . بوغت . قلت انا  
مصطفى ابو القاسم . مدرس ابتدائي بقرية كفر عامر محافظة  
السويس ، وحتى يتأكد ويصدقني ويثق انني لا اكتب عليه ولا اكرر  
حتى في الكتب عليه ، اخرجت بطاقتي الشخصية ، وبطاقة عضويتي في  
لجنة المهو التعليمية . وبطاقة اشتراكي في القطر . لم ينظروهم إنما  
نعم . ورايت انه يطلب مني ان احكي له كل شيء . قلت  
بالحصار كالعنوين

في التاسعة والنصف ماتت امي واخوتي السبعة  
دارت اصابعه حول بعضها ، وبعد صمت قصير لم يرفع عينيه عنى  
كانه لا يلحظ عبد المنعم ابو العطا سال . اين ومتى ؟ ؟ قلت  
في سربهم اليهود بصاروخ ارض - ارض وهم يفطرون صباح الارباء  
١٩٧٠ / ٨ / ، امسك بطاقتي الشخصية . تمنع فيها ، ورايت النهار  
احها حزينا شاحبا يتسحب بسرعة من وراء الباردة ، يهجر الدنيا .  
لمت متمهلا . لم احضر اليه من اجل هذا . انما جئت اشكو طبيب  
ستشفى الاميرى ، ومال وجهه قليلا . سألني املزال هناك فلاحون ؟ ؟  
انت في الجمالين والقطاع الريفي بالاسماعيلية والسويس عندما . سال  
ايضا لم تهجروا ؟ . قلت ان الارض تحتاج الرجال وكل واحد ررقه  
هناك وان الارض في السويس مالحة ولو تركت شهرا واحدا لطلع فيها

الخلقا والهيئ و احتاج إصلاحها زمنا طويلا ، قال انه من قلة العقل ان  
يبقى الانسان في مرمى الهلاك وهل هذا اسمه كلام ؟ ولم اقل نعم  
اقل لا ، ورايت اخوتي يسرعون من البيت الى الغيط ، وشوكة صغير  
تفدس في قدم امي تجلس على جانب الطريق ، تحاول اخراجها ، اعو  
اليهم في الاجازات مع اخوتي طلبة المدارس ، ترقبنا امي ، يتوسط ذنوب  
وشم اخضر ناهت كالعمر المفقى .

سال الضابط ، لماذا تشكو طبيب المستشفى قلت باحتصار ايضا  
ان عبد المنعم ابو العطاء هذا اصيب وجئت اعالجه لكنه كشف ع  
الظهر والنطن ولم يلمس عيبيه لو ادبيه المصائبين فعلا ، وصرقنا  
ولا بد ان يرجع اليه سمعه وبصره لاعرف ما جرى في الناس  
والنصف ، هز رأسه ، رنت ساعة كبيرة سبع دقائق وقور كالصبي  
الليل المسود المقل ، قال ارجعا في الصباح ، ودارت الأرض بي بص  
دورة ، ثم نصف دورة اخرى وتقدمت خطوتين قلت ارجوك ان تن  
اللازم لاننا ندما كثيرا ولا اعرف ما جرى له

قال ارجعا في الصباح ، ورايت النهار مذبوحا تماما بالغنم  
والمناجل والرصاص والمشارط والليل يسد الفراغ كله ، وبص  
الابدية ، قلت ياسيدي هل برصيك هل يهون عليك ان يفقد الاس  
سمعه وبصره فلا يسمع ولا يرى تخيل انك لكنى اسف جدا تخ  
اننى انا لا اسمع ولا ارى ، وعلى وجهه بدا شبح ابتسامة خفيفة ، ق  
ارجعا في الصباح ، ورايت كلماته ابدى تشدى ، اوامر تصعنى  
التقدم ، كلمات بنج تخرس النوح في صدرى ، قطارات تد  
عبد المنعم وتدهمنى ، ولا بد انه لا يريد ازعاج نفسه وربما صا  
احد قبلنا فائز صرقنا ، وعند الباب سمعته يقول ، كلما عشنا شفتنا  
الطريق بدا الليل صارما قاسيا ينوى الشر ، نجومه غامضة ، ماه  
غير واضحة ، ليست كما براها في كفر عمر ، والعشر حولنا بمصو  
رؤوسهم الى الامام ، يتسمعون الهمس ، وحوش يضمرون الانى .





ياعيون تراسى ولا تدرى من انا ولا مصلى عبد المنعم او بلواه عبد  
 المنعم غارق فى ليل امدى . وفى صبرى بق قلبى يؤلم صلوعى كشظايا  
 من حديد سلخن ، عبد المنعم سيرجع الى الصنائين ، لن يعمل لن يتسلق  
 النخيل ، لن يحنى البرقوق ولا التفاح كما انى لن اسمع صوت امى  
 ولن اشرب الشاي كل مساء من يدها وكأنى لم اسمعها ولم ارها ولم  
 تعجبني ولم تات الى الدنيا قط والا فلين هى وكيف ذهبت مع اخوتي  
 مرة واحدة ؟ وبعد سنوات لا ادكر ملامحها . وشمها الاحضر ، طو  
 قلمتها ، ويضيق الناس بعبد المنعم ابو العطا ويطربونه من طريقهم  
 وربما عطف عليه بعض الاسياد فالفقوه رغبا وقطعة لحم فى الاعيا  
 او المواسم . ومن يدرى ربما رجه اطفال صغار يولدون الان وصلحو  
 خلفه محدثين صجة لا يسمعها ابدا . ولا اسمع منه ما جرى  
 ما حدث . فى تمام التاسعة وال نصف . ولو قلت لشخص ما بعد عم  
 سنوات او خمس او ستة واحدة حتى ان امى ماتت واخوتى السبعة  
 الطلاب منهم والمزارع واختى الوحيدة ، كلهم ذهبوا . لعظروا الى بشار  
 وقالوا مجبور لو يحاول استئجار عطفها . بل اى لو مضيت الان  
 المدن الكبيرة وركبت العربات واوفقت المارة فى الطرقات وزعت  
 يصدقونى وان يعالجوا عبد المنعم ابو العطا . فسبضحك الشبان  
 وتعالى الفتيات بنظراتهن ويقول القوم حيل جديدة للتسول  
 فهل يعمل ان يغد انسل اى انسان امه واخوته السبعة فى وقت واحد  
 ولماذا بقى هو . واذا حكيت لهم ما قاله عم خليل عن التجار وامر  
 وعيله الثلاثة لقالوا تخاريف مجنون لو عجوز غير السبعين بسبع  
 ولو قالوا اين نشارك العجوز ؟ احكى ما قاله عم خليل فى العام  
 اصفر اللون الكتيب الذى تقرب فيه طلقات الهاورى لا مرى القدر  
 انما نسمع صوت خروجها ثم انفجارها بعد ثوان  
 قال عم خليل ان الاب كلن ياتى عدى هنا ويجلس صامتا يشار  
 المنسل وسمعته ينطق لأول مرة منذ يومين عندما تلفت حوله و

بصوت عال ، السلام عليكم . وقال انا ساذور الاولاد . وذهب الى  
ابنته . وبعد ان قرا الفتحة حط رأسه واغشى مجلبيهم ولم يبق ،  
قلت بصوت عال مات ياعم خليل ؟

قال ولم يحط منطلق برحمنا الله اجمعين ولا بد ان الطبيب في  
الوقت ذاته . التاسعة والنصف الآن ، يمضي في شوارع القاهرة . لو  
يتمدد امام التليفزيون . يسمع نشرة الثامنة والنصف ، لو يلف متأنقا  
امام دار سينما ، ربما ترقع ثراعه في ثراع حساء بيضاء ، بينما يقرأ  
الضابط اوراقا او يشرب شايًا ، آخرون في المقاهي يتحدثون عن مجرم  
السينما ، العضلات التي تقابلهم في حل الكلمات المتقاطعة ، القوى  
الليل سيخا يحمي في روحى . الضابط لم يعطني بطاقتي وانا الآن  
ضائع مجهول الشخصية ، بلا ام بلا اخوة . ولا احد يسأل عني اذ  
تأخرت او تأومت في نومى . لو فلحاني كلبوس ثقيل . من يوفطني .  
لا احد ، لا احد ، الويل لي لن يوفطني احد واموت مكتوم الانفاس . اما  
عبد المعص فلن يسمعنى . هو بلا بطاقة شخصية طوال عمره . وتميت  
لو اشرح حالى لهذا الطويل الاصلع . والجالسون بالمقهى الغريب  
الوالفون في شرفات الفندق ، للمدينة المزدهمة ، لا عرض لها ولا طول  
في اعيسا انا وعبد المنعم ابو العطا . اشكو لقاطع التذاكر في الانوبيس  
والوجوه داخل اطارات الصور والركاب والمقاعد والتلال الرملية  
واسفلت العودة . واه لو يخطق عبد المعص فيصف كيف طارت المشاطيا  
بزواوية قدرها خمس واربعون درجة في التاسعة والنصف لتضع حدا  
للحلت من عمرى وما هو لت .

ولم ارد سؤال من قبلونى عند الحمر او الكويرى . وكلما عدت من  
احارة اتفحص الوجوه واسأل عن الناس . ولا بد ان اسمع خيرا واحدا  
او اثنين . وعندما التقى برجل لو امرأة اقول في عقل ما زالوا على  
فيد الحياة . لم اتوقف لحظة . وعضيت الى بيت قديم محره اصحابه  
وجلست فيه ومعى عبد المنعم ابو العطا . اصغى الى اصوات الليل

وصحة النهار الريفى . اسمع الاقدام تجرى الى الحفر . عصف  
الانفجارات ، الدابات الهدهد ثم الاصوات المشرية الاولى تغلدى  
بعضها ، اعرف ان اصحابها اغلتوا من هلاك اكيد . وفى البداية كانوا  
يصيحون على . مضى الوقت وسوى ولم اعد ارى الا حليلة صائبة  
امى واخت طفولتها وعمرها . تاتى اليها بالطعام نيئا ونسويه تغسل  
ثيابها ، عند المنعم جالس لا يقول حرفا ، هو الصمت نفسه . العالم  
بالنسبة اليه مروع الحنجرة ، مبتور اللسان ، الدنيا حوله مظلومة  
الملامح ، تعرق فى سواد لا تبدد انفجارات او ضحيج او اندفاع  
عربات ، جاعنا الشيخ حائد ، اصعبت اليه ، اصعبت ، اما انتظرت  
باصرار ان تظهر امى عند الباب وراءها اخوتى . اه لو جاعوا ، لن  
افارقهم اندا ، احيط بهم ايمى ولحظتى ، معا عند المنعم . ومن حين  
لم اعرف مقداره لم تحدث انفجارات ليلية او نهائية واصعبت إلى  
عربات ورجل يزحفون وصبية وآخرين يعودون الى القرية وعرفت من  
حليلة ان الضرب توقف لمدة وان القوم لا يعرفون هل ترجع الحرب ام  
لا ؟ ؟ رايت امى تقول يجب ان تتزوج ، فقلت زاعقا اه يا امى . اه  
يا اخوتى ، لو انكم رحلتم فى زمان غير الزمان . وبقيت اما لعرفت كيف  
ارثيكم واشتر حرنى فى العالم كله واشرك البشر اجمعين فى النكاء . فى  
المواج . نسبت وجه الطبيب الشاب . ملامح الضابط ، مدير المنطقة  
التعليمية ، نسبت شكل الصحف . ولا اعرف العلامة المميزة لجريدة  
الاهرام من الاخبار وهل توجد صحف اخرى وهل اصدروا صحفا  
جديدة . وكلما سمعت الراديو سمعت الغناء والشيق المنسل بلا  
حساب والاحاديث وتكلف المديعين ، الاصوات تسد ادنى فلا تسمعان .  
طوال الوقت حديثى إلى عبد المنعم ابو العطا . انظر إلى عيني  
المغمضتين . هو لا يسمع او يرى . انما اثق انه يرانى ويصعبى الى .  
وفى صباح ولا بد ان الصباح بالخارج فهذا الزحام لا يحدث ليلا .  
سمعت اصواتا . ومكينات . وبريق اضواء . اهى قاطلة سفر ؟ ؟ أين

يوم الجمعة واكتملنا حول العطير المعموس في اللبن ، الصقت عيني بالياب ، رايت امامه رجالا كثيرين خفت ، انا بلا بطاقة شخصية وبينهم رجال بوليس ، ناداني الشيخ حامد ، قواريت اكثر ، دخل مسرعا ، همس في اذني ان رجلا كبيرا يزور القطاع ، اخبره بحالي واعتكافي حزنا على امي واخوتي السبعة فجاء يعزيني ، ومن الدوق بل من الواجب السلام عليه وتحيته ، قلت انا بلا بطاقة شخصية ياشيخ حامد ، قال مغتاطا ، بلا فضائح تعال معي شدي إلى الغناء الخارجي ، رايتة معتلا بكثيرين يرتدون قمصا وينطلوبت واحدة بنية اللون وسوداء ، يلتفون حول سعادته كالحوقة حول المغني ، كل منهم يريد ان يبدو اكثر قربا ، يظهر بجواره في الصور الملتقطة هنا ، لم اعرف وحه سعادته او مناصبه ، المصورون يقفرون ويرفعون الاتهم في حركات سريعة عجيبة ويميلون الى الخلف مبالا شديدا ، ويرتكزون إلى الارض مراعتهم ، خفت ، ربما كسروا شينا في البيت ، سعادته غير مهتم بهم او منبه اليهم وان بدت كل حركة ، كل وضع يقوم به ، مخصص لهم حتى يبدو في الصور مشاكل مختلفة معينة ربما يتخيلها الآن ، نظر سعادته الى ،

هو حامد القوام قصير ، صافحني بنصف ذراع ممدودة قال المقية في حياتك ، لحظة خروج الكلمات من شفثيه تذكرت ، اسرعت إلى الداخل ، جرى ورائي الشيخ حامد ، عدت ممسكا بذراع عبد المنعم ابو العطا ، قلت لسعادته ان الطبيب كشف على عبد المنعم من ظهره وبطنه ، ولم يهتم الضابط عندما شكوت اليه الطبيب ، وعندما رجعنا اليه لم يجده ولم يسمعنا كبير او صغير ، كنت اذكر سحب بطاقتي الشخصية ، خفت ولم انطق ، وقال واحد من الواقفين حوله يعني ماله يعني ماله ماله لم انظر اليه ، وجهت حديثي إلى سعادته مباشرة ، شرحت ، اين ومتى وكيف اصيب والعلاج اللازم له ، التفت سعادته قال يا صبري ، واسرع شطب يمسك ورقة وقلم حمر

جاف ، نعم يا افنم . وقال سعادته اكتب اسمه وليجىء غدا لنحوه  
الى المستشفى ، همهم الواقفون مستحسنين قرار سعادته وخطا رجل  
غليظ الرقبة لم اراه ابدا من قبل ، اشار الى عبد المنعم ابو العطا ،  
واظنه اشار ناحيتى . صمت الجميع . وقال الرجل وهو مازال يشير  
الىنا ، هذا رمز عظيم لصلابة الفلاحين الذين تحملوا الصعاب وعاشوا  
هنا في هذه القرية ايلما بالعة العنف والقسوة ونفوا رابضين في السلحة  
امام العدو

وتساعت كيف يريض الاسلر ، وخرجت الكلمات من فم الرجل  
متتابعة . لم تشرق الاصواء ولم يتحرك المصورون ، وسمعت احد  
الواقفين حول سعادته يعصم شفتيه ويقول ، إنه سيكتب مسرحية  
عن هذا . وقال آخر ، يسلم على البطولة . تميت لو ارجع بسرعة  
اجهر ثيلى لارحل مع عبد المنعم ربما نطق وسمع فارى واعيش  
ما جرى في تمام التاسعة والنصف . سالت روى كيف لم اذرف دما  
على امى حتى الآن ؟ اهذا وفاء اول الاناء واكبر الاشقاء ؟ كيف ؟  
رايت اخوتى . امى . رائحة ثيابهم ، حديثهم ، اكلهم ، شربهم ، كل يوم  
يعر ثماى المسافة بيننا . في تمام التاسعة غمست قلبي في الوحل . جرى  
الماء مالحا بلا اول ولا آخر ، برقت الاصواء . رايت بريقا ورمانا يولى  
ويتامى . مد سعادته يده ، قال للمرة الثانية البقية في حياتك ، اقترب  
مصور يرتدى جاكته ورباط عنق احمر اللون . غمزنى في كتفى . قال  
باصرار .

ابتسامة صغيرة      ممكن ابتسامة صغيرة

١٩٧٠





# وقائع

## حارة الطبلات



### مذكرة إيضاحية حول قائمة رقم ١٠٦ قسم الجمالية - القاهرة

انه في يوم الاثنين . وفي التاسعة صباحا ،  
حضر إلى قسم الجمالية عدد خمسة أشخاص . من  
سكان حارة الطيلاوي . ثلاثة ذكور . اثنان اناث  
وبيانهم كالآتي

١ - حسن الهندي مقول . بلادة مكافحة  
الدودة . قسم الفص . وزارة الزراعة

٢ - فارس سعد ( الشهير بامي قورة ) .  
صاحب مقهى بالحسينية

٣ - عويس يونس . فران بناحية كفر  
الزغلاوي

٤ - شمعة لطفى . حكيمة بمستشفى الأزهار  
النموجية



٥ - محاسن حسن مدرسة ابتدائي . تعمل بمدرسة المحاسين  
لايتدائية

وتولى حسن الهندى الحديث نيابة عنهم . فادى بالبلاغ الثانى . انه  
بذ سنة ايام قام بخروج النمرسى . اعتبرا من الساعة الواحدة صباحا  
حتى الساعة دون انقطاع بمخاطبة اهالى الحارة مستخدما بوقا معا  
يستعمله شرطة المرور فى الميادين والطرق العامة . وسبب ازعاج  
السكان . علما بأنه يندىء كلامه بعبارة بدئية تسبب اهالى الحارة  
عليهم . تصفهم بالقبح الالفاظ وانتقها وتمس العرض والشرف . ونتج  
عن هذا القلاق راحة المرضى . والاضرار بصحة الحاج احمد العتر ناجر  
لورق الذى يعالج منذ عامين بسبب اعصابه . ولما زاد الحال . توجه  
بنيه عدد من سكان الحارة وحيرانه القدامى . طلبوا منه المكف فردهم  
بعنف . طالبهم بفعل ما فى وسعهم . وكرر مرات انه حر . ولا يعنيه  
حد ولا يوجد نص قانونى يعاقبه لان الجهاز الذى يستخدمه لا يخضع  
للقيد المفروضة على استعمال مكبرات الصوت الكهربائية وذكر ارقام  
مواد ونصوص قانونية ثم حدثهم عن ماضيه الطويل اذ عمل جديدا فى  
لخدمة السرية لقوات الامن العلم واعلى ( هناك شهود على ما قاله )  
به خرب بيوتا عامرة خلال خدمته . وان احد اقاربه يعمل الآن بمنصب  
امام للغة . ويقوم بتزويق كافة الشكاوى المرسلة صده بعد اطلاعه  
عليها واحدة . واحدة . ثم اعلق الباب بعنف . وفى الواحدة صباحا بدا  
تدنيته اليومى . فذف من جاعوا واحدا واحدا . بالفاظ ذنيئة . وعبارات  
عربية . عندئذ اطل بعض المسنين . صاحوا عليه راجين السكوت .  
واحترام الجوار فالنبي عليه الصلاة والسلام لوصى على سابع جيل .  
وهنا زاد من بداعته وسبهم بالفاظ تخدش رجولة كل منهم . واطلت  
لخويشة امراته لأول مرة اعلنت وقوفها بالمرصد لكل من تسول لها نفسها  
التهكم عليها . او على زوجها وقالت انها صاحبت حريم الحارة والحي  
اربعين عاما . جمعت لزوجها بخروج . معلومات تكفى لسد كل بيت

بالجيس ، ثم ذكرت امثلة ، وسبب وقوع مشاجرات بين افراد عائلات لم  
يسمع لهم حس من قبل ، مما اضطر السكان بعد ستة ايام من العذاب  
المتصل اللجوء الى الشرطة . وانهى حسن افندى اقواله مطالبا الام  
العلم بالتدخل لجمعية الاهالى من المذكور وامراته غويشة ، فاليوت  
العامة تكاد تحرب

ومن ناحية اخرى افاد مسعد افندى القاطن اسفل المذكور ، انه سمع  
مكبر الصوت نول ليلة وقبل فيه ، الو الو واحد  
الثنان ثلاثة الح ، وتلاوة السسلة عدة مرات وبعض آيات  
الذكر الحكيم . عندئذ طلع الى دحروج ظنا منه ان مصلا وقع ، مما  
استدعى تجربة مكبر الصوت في هذه الساعة المتاخرة تمهيدا لتلاوة  
القران في اليوم التالي ، عندما طرق الباب فتحت غويشة وقالت بدون  
مقدمات ، احيرا خلعت الساعة . ولم تدع فرصة لمسعد افندى كي  
يستفسر عن اى ساعة تقصد ، انما اكملت ، دحروج سيحلق  
ما بقوى قل لحيوانك . وجيران جيرانك اخيرا حانت  
الساعة ثم الخلفت الباب بعنف ، وانقسم مسعد افندى على صحابه  
ما حدث بفتح المصحف على سورة ياسين ، ووضع على عبيبه وانقسم  
يعينا

كما قدم المدعو فارس الشهير بابي قورة ، شريطا سجل عليه بعض  
من اقوال المذكور عن طريق المكبر ، تم تفريغ محتويات الشريط  
واستعمل بجهاز تسجيل ملركة جروندج خصصه لاداعة اغاني لم تكلوا  
على زبائن المقهى ، وافاد الجميع بان الحارة لم تعرف القلاقل عن قبل  
وتعد من اهدا الحارات وانقلها في عدد المشاغبات والحوادث نادرة مها  
وسكنها مسلمون لا يميلون الى لزجاج الغير . ويحترمون القوانين  
والجوار ، الذي لا يال بالنسبة لاحضهم عن عشرين عاما ، وابتاؤا  
التلاميذ متفوقون . ومنذ عشر سنوات جاء ترتيب سيد ابن الحار  
نصيف الثالث في شهادة الاعداية ( وطلبوا بلجراء بحوث وتحريات  
تثبت هذا ) والآن لا يستطيع الطلبة استذكرا بسبب اعمل المذكور  
دحروج وامراته غويشة .

## ملحق (١)

محتويات شريط مسجل عليه بعض القوال المذكور . ولم يتضح في هذه التسجيلات . هل تمت ليلا او نهارا . ولم يعرف ترويح كل منها . برجاء وضع ذلك في الاعتبار

( ١ ) . . . الا اذا اطلعتم بانفسكم . ورايتم ما رايت . وهذا مستحيل ولم يتوفر لانساق قل . انكرتم ههنا بالهن العبيدة التي عملت بها . انقذت كلا منها . قضيت بها زمنا . انكرتم بلخر اعمال . خدمتي خمس عشرة سنة في صفوف الخدمة السرية بالامن العلم . تنقل بين جميع المديرية والمراكز والقرى سفرى الى بعض بلاد العالم في مهام خفية . لن اتحدث عن تفاصيلها الآن ولكن سيحين الوقت . ستهلون دهولا عطيميا ونقلون . كيف عاش بيننا اكثر من ثلاثين عاما تواجدت بينكم . هل شعروم بى . هل عرفتم اسرا واحدا عنى . هل سمعتمونى تحدث عن احد بما لا يليق . طلق صغتي والان يمكننى قول ما فى قلبي . ستهلون كلامى شيئا . البعض سيضيق به مؤقنا . لكنهم فى النهاية سيوجهون الى شكرى . لاننى قومت حيلهم وانظرت ما تعرفونه ولكم نتجاهلونه . لكن العذر حق لكم يا اهالى الحارة المسكين . من لديه خبرة عمر مثل . من امسك بواطن الامور . من انرك الحقائق الخفية مثل ٢٩

( ٢ ) . . . يا معلم يونس . والله لرشى لك . سخرت منى ولن لرد عليك خذها منى نصيحة . اما لا احب الشجار . ولا الوقوع في مشكل . ها بول عمرى لم اقع في مشكلة . لم اقدم كسهم الى اى مسئول . لاننى من اناس طيب . زمن حلو . زمن علق . رثق . غير زملكم الموحد . الاخير . لم يكننى ساقوم المعوج فيه . فببر امور . فوجهه . يا معلم يونس . اما حال الفضحك . لكننى اتيهك الى ما غلب عليك . طبعا تعرف بكان المعلم يفاخر المنجد في بيت القضى . كلنا . كل اهالى حارة الفقر هذه كلنا

معرف يا معلم من يدخل بيتك بقرطاس الفلكية كل احد واربعاء  
لنت تخرج حوالى العاشرة ويستلم مكانك فى الثانية عشرة ، العيون  
تحفظ مسطره بالجليل الابيض ، محواتم الذهب والمصنل البنى  
الحلوة كلها تعرف ولا احد يحبرك ، لأن ، سكلها عندهم ما يكفيهم

و

( صبة ، تصفيق ، اشياء تسقط ، اصوات )

( ٣ ) . قل اى كلام . انتبه يا حسن القدى ، يا راجل  
يا دودة . اما لا يفوتنى شيء ابدا ما من نفس رائك لديكم  
الا احصيته ، ما من همسة الا وترجف طبله لدى هنا الا تعلمون ان  
جدى كان عالما كبيرا فى الازهر وانه ترك لى مخطوطا قديما وعلمنى كيف  
استخدمه ، فاعرف منه المستقبل الا ترى ونهاية اعمالكم . الا تدركون  
امى تلقيت امرا بالحديث اليم عن طريق هذا المخطوط . يمكنى ان  
انبىء كلا منكم بيوم يحين فيه اجله . ومن لديه هذه المقدرة لا يغيب  
عنه دهائك الى قسم الحمالية ، فزعك وهذا ضدى ، شكوتنى . طلعت  
ابقاء اسمك سرا وهذا جبن . العجيب انكم جميعا جبباء . هذه سمة  
يتيمة توجد ببيكم . اذا خفت منى انا الفقير الضعيف الذى ناهز  
السبعين فلماذا لا تحشى الله خالقى وخالقك ؟ بلعننى ما قلته عنى  
امام مقهى البنان ما جرحت به امرأتى غويشة ، تهديدك بلغتنى باقربك  
فى وزارة التموين . ماذا تظنهم فاعلين ؟ اعلم يا حسن يا امالى  
حارة الطبلوى الكرام . ان ابن خالة امرأتى غويشة كونستغل ممتاز  
ولا ينقطع عن زيارتنا ويرجوفنى كثيرا ان ارد زيارته لدرجة اننى  
خجلت منه واعلموا ان عليه سجنائه تحت امرى - اسحب منها وقتما  
اشاء ، ولكننى لا استعين به قط على اعدائى . لأن احوالى وامورى الضم  
لى ابوح بها قط تحمبى وتجعلنى

( ٤ ) . . ما رايتك يا غويشة ؟

امانة الرأى لك يا خروج .

— لن ارد على ما قاله الحاج سنوسى بائع العطر

امراة وصفك اوصافا دينية يا دحروج

— لن اخرب بيته يا غويشة . لن اذكر مصنع العطور الصغير داخل  
شقتك الحاج يتهرب من الصرائب يا غويشة ومن التامينات  
الاجتماعية ، ويستخدم اولادا صغارا

امراة يا حبر والنبي لا اعرف هذا كله . تصور انه يلف على  
صوف المصلين فى الحسين يمسح ايديهم بالعطر ويبيع زجلجات  
صغيرة يقول عنها بركة من عند النسي . بركة من المدينة المنورة .

( ٥ ) . يا اهالى الطنلاوى ، يا مسكين . يا وجوه الحسن .  
يا اشقياء عندما اظهر حياتكم من الكتب . عندما ازيح عنكم النفاق  
والاضطراب وانتظم امورك بطريقتى . سامزل اليه . واطلب منكم ان  
تحكموا عليه . وتلقوه درسا

( ٦ ) . مثلا امراة عمر بدوى جالس البهائم فى الاسواق  
تحدث دائما عن اقاربها فى مصلحة السكك الحديدية . والذى  
والثروات الطائلة . دائما تكلمكم عن اهل زوجها الاشقياء الذين نهبوا  
اصيبه فى الميراث . عم بدوى يرفع عليهم القضية تلو القضية . لهذا  
ثمة ثروة ستاتيهِ يوما . عندئذ تشتري الست نعيمة بيتا فى مصر  
لجديدة حوله حديقة . وتملؤه اثاثا فلخرا وتفرق الحارة القديمة .  
واهلها الانجاس . يا اهالى الطنلاوى اللهاء . لاننى اعرف كل كبيرة  
وصغيرة ولاننى اعلم خباياكم . ما تظهرون وما تبطنون . لهذا ساقول  
بكم الحقيقة . الست نعيمة التى تتعالى علينا . وتحدثنا من طرف  
انفها . لا اقارب لزوجها كما تقول . لها اُخت صغيرة لا تدور عنها  
شيئا اسمها راجحة وتسكن بدروما قديما فى حارة سيدى معلى . زوجها  
بائع هريسة متجول . وحتى التزم الدقة . اقول انه يبيع بطاطا فهو  
يمتلك فرما فوق عربة يد . راجحة تساعد فى كسب العيش . هل تدور  
كيف ؟ ؟ عندما تقتلجر امراة مع جاريتها تذهب اليها . تعجبها قروشا  
قليلة . او قطعة لحم فى رغيف وتمسعين بها . اُخت الست نعيمة لها

محاضر عديدة في البوليس وعندما نكل المشجرات تحترق العنب ولطم  
 الخنود وراء الموتى يا لهال الطباوى . يا كئيب خلق الله ، في زمانى  
 البعيد الطيب ، وابن انتم من زمانى ؟ لعلكم لا يسمح لهم بالعيش  
 فيه ، ام راح زمانى الاخضر واينس الهنية . في الليل نسمع الاغنى  
 في المقامى الدافئة . ونشرب الجيزيل والقرعة . نصلى الفجر ، في نفس  
 هذه الحرارة يدرل الرجل يصيحون على بعضهم . كل منهم ينه الآخر .  
 وفي الليل الرائق نسمع الغيايب . والماء والوضوء . ثم تخرج جماعة  
 الى الحسين . وتقبل النهار بوجوه سمحة ونفوس راضية . في زمانى  
 رايت الامن دانه . لا انسان يخاف على ماله لو لولاه . لو بيته . وكلمنا  
 رايت ما بجرى بينكم بديكنى والله رعب ولكنى ملازمكم حتى تقوم  
 المعوج واعبد المسيرة الصافية هنا في حارة الطباوى وليلحقنا باقى  
 الدنيا . لن اسمع بتكرار ما قامت به الست نعيمة عندما رارت جارتها ام  
 سهر . وعندما دخلت لاعد شاي . مدت يدها وبست ورقة بغيره قيمتها  
 خمسة وعشرون قرشا في صصرها . لنا الآن لافح التهمة عن مجدى الابن  
 الوحيد للست ام سهر والمنهم ظلما . المهم اننى لن اظيل عليكم

( ٧ ) . اصول مرتفعة . يا كلب

يا . . . . .

( ٨ ) . . . . . لرجوك يا مسعد الهندى الاتساع . ما وصلنى  
 وصل وانتهيا . ولنا واثق لك وحك تعلم مقدار النقود التى تخبئها  
 الفلوس الفضية القديمة . الفضة الحقيقية . فيه القرشين والخمسة  
 قروش . والعشرة . اعرف عبد علي الصليح الصفوة في منزلك  
 وهوايتك ليلة الجمعة عندما تفرغ العلب من محتوياتها . وتنشئ  
 لكوا من النقود . تغير شكلها كما تشاء . ثم تغسل النقود كلها في  
 طشت نحاس كبير ثم تعلم هانئا . بسبب هذه القطع من العمل  
 والنقود الاخرى التى لن انكر مكنتها لم تتزوج . ذاب عمرك في عملا  
 الحفير . كانت بالحكمة الشرعية . لا يهمنى مصادر دخلك من الاموال

مكن لذكرك بما فعلته الست نعيمة عندما سرقت مبلغا خافها من ام  
سهر !! تعال نبحث عن السبب معا . ثم دعني اقول لك كيف نمنع  
وقوع هذا . .

( ٩ ) . . ياولد يا جابر ، يا سعيد ، زمانكما لجرب ، ام تنولوا  
طعم النساء ، لم تستمتعا باى شيء ، لو بيدى لحررت لكما جوازى  
سفر تهلجران بهما الى زمنى الاول ، فيه عرفنا الانكار الحقيقيات ، رايينا  
الحياء على حقيقته ، نلقا للمتعة ، الانوثة الريفية ، كل ما نملانه وقتها  
لا جنوى اعلم منخل الحارة ، اصغيا الى

( ١٠ ) ولئننا قيام السيدة لواحظ

( ١١ ) . . احمد العطار الشاب العلى ، والذي يوعب الكبير  
عبل الصغير المفتح الرجولة ، هيه لكنه زمن ملتح ، لا يعرف فيه  
الرجل من الانثى ، فللقلوب معنول ، والظواهر باطن ، ولا حول ولا قوة  
الا بالله العلى .

\*\*\*

( ١ )

بعض الوقائع :

كل ما قاله بحروج ، كتبه عبد المقصود القذى ، لديه خبرة عمر  
في كتله العرائض والشكوى ، يعرف المخل المناسب لكل شخصية  
وذى منصب ما يجب قوله ، وما يقال ، ذكر ما قيل في حق اسرته  
ومايسر الى فوقية ابنته التى دخلت من الزواج ، ما سيلفت نظر  
المسئولين بوزارة الداخلية بالذات هذا المطلب العجيب الذى وجهه  
المدعو بحروج الى الاهالى ، ضرورة تعديل لوقات نومهم بحيث يلاوى  
الجميع الى اسرتهن في تمام الرابعة والنصف بعد ظهر كل يوم ، مع  
مراعاة ظروف الذين يعملون في نفس الفترة ، ثم يوقظهم بحروج عن  
طريق مكبر الصوت ليتحدث اليهم ، وينظم امورهم ، لم يكتف بهذا بل  
سبح الاهالى مهلة قدرها ثلاثة ايام يتحولون من نظام الى نظام ، يغيرون

عاداتهم ، عبد المقصود الفدى صطر خطأ ثقيلا بالمداد الأحمر تحت حديث لدخروج قال فيه ، منذ الآن حلة الطلاوى لها ناموس غير النواميس ،

الآن يضيق عبد المقصود الفدى ، اضطر الى بكر اقوال دخروج حول امراته وحيدة ، سيفضح نفسه ، لكن من الضرورى جدا اثباتها . ان ابها التهمة الوحيدة الواضحة التى يمكن ان يعاقب عليها القائلون . يتعلم عبد المقصود الفدى انه يتخيل تهانس النساء فوق السلالم حول روحته . المرأة جئت على كبر ، تؤكد اخرى انها تعرف ما قاله دخروج من قبل وسكنت طويلا حتى لاتنهش عرض جارة قديمة . ما يطمئن قليلا ان دخروج حذر كل انسان ، رجلا او امرأة . من تناول مضمون حديثه بالزيادة او التشويش ، لكن هل يكفى هذا لربط الالسة ؟ قلم . تحسس الارض بحثا عن شبيهه . قضى اليوم كله فى البيت ينسخ العريضة ويرقب تصرفات وجيدة

مقراتك غريبة ياسى عبد المقصود .

استعد بالله ، يحاول الا يعلو صوته ، كل حركاته وبظرائه تفسر الآن . كل ما تقوله هى يتحطل فى ذهنه الى حيرة الى استفسارات . استحابتها اسرع مما يجب لطالبه يمنعها من الطلوع الى عشة الفراخ فوق السطح . حجرة الاسطى عبده بمواجهتها ، سائق النقل العام بمقرده . ينام اليوم كله . ينزل فى المعيق ليتسلم بوبة عمله . ينظر الى امراته . يهض صدرها . لم تغب ملاحظته عن عين دخروج بل سخر قائلا ، هل يوجهه الاسطى عبده كما يمسك مفود العرمة ما يضايقه اضطرابه الى ذكر هذا كله فى العريضة ربما سخر منه المسئولون ، لكنه احكم الصياغة . عذ من الجيران علموا ببيته فى ارسالها . ابدوا بشرا وعلقوا آمالا . يعرفون شهرته بل ان احدهم قال بالنص . هذه العريضة مستبج دخروج فبحا . لكن عبد المقصود الآن يتنفس بسطة لم يتشاجر مع امراته يوما . حتى بعد انقطاعهما عن بعض فى



السريير يذكر الآن حديثا لحسن افندي مقول عن شهوة بعض النساء إذ يبلغن الخامسة والاربعين ، يطشن ، القت ساعة الحلاط ثلاث دقائق مختصرة ، بعد غد يحين انتهاء المهلة المحددة لبدء جميع أهالى الحارة نومهم في الرابعة والنصف ، سمع امراته تتناسب ، نظر اليها وحنق في عينيه

( ٢ )

• بان عمر مطلق .

في الواحدة يعلو مكبر الصوت ، برن قليلا ، يلقى دخروج تحية النساء ويلعن الدنيا القاتمة ، ويرثي الزمان القديم ، ويؤكد انه سيمتظر كل شيء ، ثم يتلو ما وصل اليه من اخبار ، يرد عليه البعض ، وتلقى الحارة على نواحه شقته المغلفة ، مهما حدث لن يفتح الحاج حمزة جزءا من نافذته المظلة على الحارة حتى الآن لم يتعرض له دخروج ، مع مرور الايام وقيام الهياج في الحارة ، ايقن الحاج حمزة ، ان اعتبارات عديدة تتدخل في امتناع دخروج عنه ، اهمها انه قضى اكثر من ثلاثين عاما ناظرا لمدرسة كتخدا الابتدائية ، تلاميذه اصبحوا الآن رجالا ، يقبلونه في الطريق ضابطا ومهندسين وكثبة في المصالح الحكومية ، بصالحونه في المقهى إذ يجلس مرتديا جلبابه الازرق مقاملا لاعبي الطاولة ايضا ربما يعلم عنه دخروج موقفه عندما عرضوا عليه منذ عشر سنوات الانتقال الى مدرسة الروم الابتدائية مع تربيته ناظرا كنهه رفض اثر البقاء في الحي الذي ارتبط به ، ومرة اربع سنوات كاملة عمل لن يصبح ناظرا لمدرسته ، يعرف ان دخروج لم يتجرب ، يرثي له ، بال تأكيد يعاني ضيقا والاما ، لو اتجرب طفلا والحقه بالمدرسة لاواه عناية خاصة ، الآن لا يضيق مزعاج دخروج ، ليفعل ما يشاء ، ليسب أهالى الحارة ، ليعيد تنظيم الأمور فيها كيفما يشاء ، فعلا كثير من الأوضاع يجب تقويمها ، ليحدد للمساكن نوعيات الطعام التي يجب ان ياكلوها يوميا ، المهم الا يذكر شيئا عن بذاقته ، دخروج عظم بكل

شيء . مطلع . قطعا معترف الفكره الودية . انه لول من يتفد  
 تعليماته . عندما طلب ان ينال الجميع في الراعة والصف . اسرع  
 الحاج حمزة بتطبيق هذا على بيته قبل انتهاء المهلة بيوم . بئانه لبيدين  
 ضيقا وامتعاضا . اجبرهن على طاعته . لاند ان يتأكد لدى دخروج ان  
 الحاج رجل طيب . مرب فاضل كما تتحدث عنه كلمات الطلبة في  
 المدرسة . كما وصله المدير في العدد السنوي من مجلة المنطقة  
 التعليمية . في كل ليلة يصفي اليه . لذي يسكت دخروج لحظات بعك  
 انفسه خشية ان توجه الفقرة التالية ضده . تتعاقب عليه الانفعالات .  
 ما يربعه ان يتحدث دخروج عن السنات . بالامس لبنت سعد ابنته  
 صيقا . تعودت عمرها كله استذكر بروسها من الحامسة حتى الحادية  
 عشرة ثم فنام كيف تغير نظامها وامتحان التوجيهية مقرب . احاطها  
 بنزاعيه . بلغها امامه . كذا يكلم فاما . قال لا تزعلي . عمك  
 دخروج لم يتعرض لنا . عمك حر . صباح اليوم جاء بيومي السلق  
 بمصلحة السكة الحديدية . قدم اليه عريضة قال ان نصف سكر  
 الحارة وقع عليها والباقي سيوقع . سوف تحدث العريضة صدى كبيرا  
 لدى المسؤولين . خاصة بعد طلبات دخروج القريفة من الاهال  
 واصرارهم على نومهم مبكرين وتوحيد طعامهم اليومي . على ان يتولى  
 الطهي بيتن لو ثلاثة يوميا لكل الامر مقابل مبلغ ينقلوت طبقا لفسرة  
 هذا وذلك يدفع لول كل شهر الى حسين الهدي متولى شخصيا . قال  
 بيومي ان المسؤولين سوف يتدخلون فوراً . لان العريضة سترسل  
 بالتفراغ . والمطلوب فقط قرشان والنويع . الحاج حمزة لم يدع  
 بيومي يكمل . تفجر هنوء عمره كله . . اسمع .

اسرع ينال من اللبنة . زعق مخاطبا اهل الحارة . بيومي وغيرهم  
 مع ان بيومي يقف في الصلاة . انه ان يوقع على اي عريضة ضد جاره  
 القديم دخروج النعري . ( وهنا علا صوته تماما . وهذا مالم يعهد  
 اهل الحارة ) انه غير منزعج ابدا . ما يفعلته دخروج من حقه تماما .

سكت لحظة ثم زعم انه لا يمت بصلة الى حلة الطبلأوى ولا يعتبر من سكانها لأن مدخل بيته وشرافته الرئيسية تعل على شارع قصر الشوق ،  
 من النافذة التي تصطه بالحجارة فسيدخل في طلب جبار ليسدها في الحال .  
 رغم هذا فيصغى الى دحروج وينفذ كل ما يأمر به ، خاصة ان صحته  
 وصحة الاولاد تقدمت بعد نومهم مبكرين . انه يصبح جيرانه نصيحة  
 بوجه الله . الحذار . الحذار . من اى عمل خفى ضد دحروج . لأن  
 لرجل مكشوف عنه الحجاب . وإلا فكيف تأتي له معرفة بمص  
 بريضة عبد المقصود الخدى كاملا ؟

٣

● فترة تلى اذان الفجر . يتحطل على ميل سواد الليل . تولد ملامح  
 ليديوت وتتخلق الواهب من جديد . من نبع خفى يخال بخار ابيض  
 بطورا علقا بالفراغ . بلاط الحارة يلمع تحت ضوء الفلوس الغزرى  
 لوحد الذى يبدو يتيما شلحبا في مواجهة ضوء نهارى وليد . من نافذة  
 تسعة في الطابق الاول بالمنزل الرابع تطل الست روية مع لولدها  
 سبعة صامتين يصغون الى ما يقوله دحروج . ايضا عائلة أم حسنى  
 تلى الجدة العجوز . منذ فترة وجيزة سكت . بدت نافذة بيته مظلمة .  
 نية اللون . لم يرها احد تفتح ابدا . يعرفون انه لن يكف تماما الا في  
 يوم المسابقة لهذا ينتظرون الآن استئناف الحديث في اى لحظة . فجأة  
 تذق صراخ . رفيع حاد مسنون . عويل مستأنف يبثله الجسم  
 المنبس معا . ممدود مبيض . فيه خلاصة العجز الانساني في مواجهة  
 ر قاهر . بدا فريدا ثم اصبح جماعيا غليظا عبوسا . نظر السامعون  
 السكان الى منزل صالح الخدى . فتحت نوافذه بصعوبة خرجت كلمة  
 بين العويل

يلخويا

استعفى اهل حلة الطبلأوى بالله . كلهم بدون استثناء . بدا خوف  
 مض على وجوه السيدات . ينظرون الى نافذة دحروج المظلمة وكأنها  
 الفرج الوعد . اول امس صلحت امرأة صالح الخدى في تعلم الثانية

صباحا مخاطبة بحروج ، تحدثه اذ احاط بكل ما يجري بالحارة مادام  
قد اوتى معرفة ما سيحدث ، وبعض الاهالي يقولون برفع الحجل  
عنه ، فليقل لها ادر هل سيشفى ابنها تيسير ؟ وحيدها المريض منذ  
علم ، الذى حارت به ولغت على جميع المستشفيات ، يذكر اهالي الحارة  
الآن صعت بحروج ، ثم قوله المقتضب ، يا ام تيسير ، لو طلعت شمس  
يوم الثلاثاء على ابنك ووجدته حيا سيعش مائة سنة . ثم استأنف  
كلامه العادي . الا . يبدو الثلاثاء جهنم لا يطلق ، تدوب الاحشاء  
العويل القاسى . والشمس على وشك الشروق

( ٩٩ )

حتى مغيب اليوم التالى على ما اذاعه بحروج لم تدر حسية ما  
تفعل ؟ هل تذهب مع اولادها الاربعة الى ورشة الحاج بدق صناد  
القمائل الخشبية ؟ تولول . نجمع عليه الخلق ، نحكى كيف تزو  
فتاة صغيرة ، ونبالغ في تدليلها ولا يعطى بيته مصروفا كالبا  
لم تقصر في حقه بداية حياتها هينة طرية . في سين زواجهما الا  
رات امراء شعناء جاحظة . تدفع سرنا من الاطفال وتحمل رصيعا  
تف امام دكان موبيلياى تطلبه بالمصروف ، تركها عند اسليم ، تد  
الدم المتدفق الى وجه المرأة . عروق رقبتهى النافرة الزرقاء . يومها قال  
. بدق لن يفعل هذا بى ابدا . قبل عودته نطمئن الى بظافة البيت  
تمشط شعرها . تنهيا لاستقباله تروى بدتها بالاطياب حتى تلب  
وريلة . يستريح اليها من عناء يوم طويل . الا لا تجرؤ على الذهاب  
الى الورشة . ربما يبهذلها . ستجرى في اوراقه المحكم . تنوء في طرقات  
في نظرات الكتنة الشلى والعجائر . تبلى في الانتظار . لا تقدر  
العودة الى البلدة . شقيقها لن يحتملها مع اولادها . لن تطبق نظر  
الحريم يقن فيما بينهن . لم تنفع في مصر . لا تدرى ما تفعله الا  
هل ترمى نفسها من الطابق الرابع ؟ تتخلص من ضيقها . تن  
اوجاعها ومصائبها . اذا لم تمت ربما قضت بنية عمرها عام  
لا تصلح لعجبى او خميز او غسيل . من يدري ربما يرق قلبه اذ ير  
مصانة يحن ويوجع الى لولاه جاراتها بصحنها بالمضى

دروج . تكف تحت نافذته ، ترفع صوتها راجية أن يدلها أي السكك

سلك ٢٩

٥

امام جامع سيدى مرروق ، يقف حسن الفندى متول . يقرأ  
دائجة ، فيما بعد لم يدر الحاج بيومى هل تم اللقاء مصادفة ام تعدد  
بيلته ، عيانه حمراوان ، لم يتم ليل الحارة ، لم يعتد النوم في تمام  
رابعة والنصف ، لا يمكنه الآن الا الاصطجاج لثناء حديث دخروج .  
حسن الفندى انه لا فائدة من أي عمل تم حتى الآن ضد دخروج .  
بى عريضة عبد المقصود الفندى المشهور بصياغة العرائض وحكيها  
تات باى نتيجة ، بل أن احدى صورها المرسله الى جهة رسمية  
سدت اليه لأن البريد لم يستدل على عنوان احدى الوزارات . ثم ما هي  
عبد المقصود الآن ٢٢ بيته خرب بعد عام هجرته الست وجيده  
ان اغرقها بالمشك ، قال حسن الفندى إن ما يقوم به دخروج  
يوافق عليه . وهو لم يقصر أن سبيل ايقافه عند حده واهالى  
ببلاوى يعرفون كلهم ، الكبير منهم والصغير انه اول من ذهب الى  
قسم على راس وفد من الحارة وقدم بلاغا وقع عليه واملى بصوت عال  
بطلقاته العائلية ، وحتى الآن لم يحدث أي استدعاء لدخروج ، فلم  
أحد يخرج من بيته . لم يظهر ابدا لدرجة أن يعص الشبان  
يهوديين الدين لا يذرون لحر العواقب . قلقوا فيما بينهم لا وجود  
لحل اسمه دخروج ، والا غاين هو ٢٤ اما الصوت الذي يخاطب  
بالي فربما بعض الاشقياء يرمون فرض امور خطيرة على الحارة .  
الصوت الا تسجيل يضعونه بين الحين والحين وربما تتعرض  
لهرة خفية ، وامور غير مرضية وعندما ذهب لخدمهم الى بيت دخروج ،  
أش مع مسعد الفندى أكد له وجود دخروج وامراته غويشة وهذا امر  
ينكره الا اجنبي عن الحارة او مجنون . لأنه يعيش بينهم طوال  
ره . صحيح لم يسمع له حص ولكته كم يحتجب الا بعد بدنه  
حديث مع الاهالى ، وقال مسعد الفندى إنه يرى بوحوده لأنه سكن

تحقه ويسمع صوت تحركه بالليل وبالنهـار ، وهذا ارتفع صوت حسن  
 الفدى ، هل تعلم ماذا جرى يوم امس لشكرى لحد الشيطان ؟ قال بيومى  
 انه لا يعرف بسبب تقيبه فى السفر . قال حسن الفدى . فى المساء قال  
 محروج كل مقلناشوا فيه . وحضر شكرى مثير الشكوك . ثم انفره بعدم  
 الذهاب الى امتحان الكلية . ولو خالف فسينزع الالة الدافعة بالتمسك  
 الى احد التنظيمات العمرية التى تعمل ضد الحكومة قال حسن الفدى  
 ايضا . انه رجل هادىء بطبعه لا يحب الازعاج ولا بطيفه قال حسن  
 الفدى انه يؤمن بعدم فائدة الطح فى الحجر . وان النقش على الماء  
 عبث . والنفخ فى قربة مقطوعة مضجرة للوقت . لهذا كله . ولاسباب  
 عديدة . بعضها خفى وبعضها معلن . يرجو من الحاج بيومى سحرا  
 توفيقه من . قاطعه الحاج قائلا انه ارسل العريضة فعلا . صحيح  
 ان السكان لم يوقعوا فعلا كلهم لكنه ارسلها حتى يحرك المسئولين  
 استفسر حسن الفدى عن الجهات التى ارسلت اليها العريضة وكتبها  
 ورقة . ادى غما . قال انه سيرسل الى كل منها تلغرافا يعلن تراجعه  
 سيكتفه هذا كثيرا لكنه سيضحي بماله ايثارا للهدوء . قال ان الناس  
 يحبون لبعضهم الاذى ولا يصح للحاج ولا لغيره ارسال العريضة  
 بدون اخذ اراء من وقعوا عليها . احدث الحاج بيومى قائلا . مجازا  
 التوقيع يعنى الموافقة على ارسالها . رفق حسن الفدى . ابدا . ابدا  
 لا يوجد ولن يخلق من يعلمه الاصول . هو موظف الحكومة . الذى  
 قضى عمره بداراة مكافحة الدودة . فسم النفس . علا صوت الحاج  
 بيومى موضعا . انه هو ايضا موظف حكومة . البس السائق بالسند  
 الحبيبية موظفا رسميا يقبض مرتبا شهريا ويتقاضى علاوات اكثر  
 التى يتقاضاها موظف فى الدرجة السابعة . مط حسن الفدى شفا  
 احتقارا . توقف بعض المرة . تجمعوا حولهما .

مشاهدات للراغب صالح عبده ، بالأمن الخاص في حرة الطيلاوى

عندما جاء يستطلع الأحوال

• يلحاج بيومى يلحاج بيومى

كل البعض يجيب بتصفيق مائل ، الضوء عال ، والنهار شاحب

مرتجل ، هدوء ثقيل مراق بسخاء ، منذ نحوله الحارة لم ير طفلا ،

لو امرأة ، عادة بتصايح الصبية حوله ، يمشون خلفه يتوقعون منه

حركة عنيفة مفاجئة فيحتفظون بمسافة معينة ربما اتقن الأمال هنا

سخرية فولادهم ، حرموا عليهم اللعب في الحارة ، توقف في الطفيق الأول

أمام باب جهنم المنظر ، خبط مرات ، لم يجب احد ، بق الباب بعنف .

حركة صغيرة متردة : صوت شغب ، عاد يطرق الباب ، ياتى همس .

انثنان يتبدلان الحديث ، لم يدر أهما رجلا أم امرأتان لم رجل

وامرأة ؟ ؟ صلق مرتين ، علا صوت

ما هذا الازعاج ألا تستطيع النوم في راحة ؟ ؟

الحاج بيومى موجود ؟ ؟

فوق فوق يا علم ارحمونا ودعونا ننام

سمع الحاج ملقا في عبادة قيمة من وبر الجمل ورثها من والده ،

بضحيته ضيقا ، فيهما لذر نوم ، الشرطى صالح لا ترعجه مثل هذه

جملات ، أمثال الحاج يتباهون قائلين طول عمرنا لم نعض إلى قسم

داووليس ، ولم نكف اعمام نيابة

• أنت قدمت ،

• لم يكمل الشرطى صالح حديثه ، قاطعه الحاج ، صوته رابع حاد

صغير قاطرة متحضر

• لنا لم اقدم ولم اشك

• ولكن

• تنزلت يا اخى تنزلت عن الشكوى والعريضة ، المصارين

تصارع في البطن مبالك ونحن جيران ؟ ؟

ينظر الشرطى صالح دهشا ، قال الحاج إنه تنازل عن كل شيء وانه

على استعداد للذهاب الى السجن بسبب ازعاج السلطات ، لكن ان يسأل  
سؤالا واحدا حول جبره العزيز لا ثم يجب على الشرطة اختيار  
الوقت المناسب للحضور الى التمس . اما اطلاقهم في احدى ساعات  
النوم نزل الشرطي صالح الى الحارة . نوافذ البيوت مغلقة ، ثلث  
حوله سائرا ، دخل بيت نحروج . في منتصف الليل قبل بدء الحديث  
اليومي . قيل إن نحروج خرج وتحديث للشرطي فعلا ، وأن ضحكاته  
سمعت واضحة لمن لم يدره النوم في المواعيد المحددة ، ايضا استفسر  
نحروج عن بعض الاشياء . ابدى اهتماما تجاه اسماء معينة . ابدى  
الشرطي دهشة . قال نحروج انه يعرف هؤلاء كلهم وكبيرهم رهن  
اشركته . ثم اوصاه باتملم اجراءاته على اتم وجه ، في هذه اللحظة دخل  
الحارة المعلم يونس القران . رآه الشرطي صالح يرفع يده بالتحية  
اد يمر تحت بيت نحروج . النوافذ مغلقة لكنهم يثقون انه يراهم .  
يعرف من القى السلام ومن لم يلقه . يعرف من حرى على تناول الطعام  
خارج الحارة مفردة لو في بيته . الحاج حمزة يفتح النوافذ يوميا قبل  
نومه . وزعق بالسلام حتى بعد تعرض نحروج بالكلام لابنته  
الصغرى . وذكر بعض تفاصيل علاقتها بمدرس الكيمياء ، ام تيسر  
منذ رحيل ابها الابدى . بمجرد ان يبدأ نحروج حديثه فنزل مهرولا  
بقميص النوم ترفع ذراعيها زاعقة تحت المائدة ، الله اكبر الله اكبر  
عليه وعلى شيعيه . نحروج بركة ، اى مخلوق يجزى على شكواه ستندل  
مصائب ومحن . وتغرقه رزايا . حتى الحاج احمد تاجر الورق ، المريض  
باعصاه . قال لكل من زاره اخيرا ان صوت نحروج الليلي لا يزعج  
بل ينبئ بان شفاهه سيتم قريبا وانه قبل ما كلفه به نحروج . من قينه  
يدور الوسيط بين المتخاصمين في الحارة . بعد فترة ايمن رافة نحروج  
نه ومراعاته لظروف مرضه ، لم يعد يخاصم احدا . ومن لديه وجيم  
ليعض بها طارحا اياها امام نحروج . اسند اليه اخف المهام و  
الواحدة صيلحا يقف بالشرقة ويضحك ويهز راسه موافقا . يصيح  
مستحسبا ما يقال . عند باب الحارة توقف الشرطي صالح عنده لم



احدا ، لا يموى توحيه اى سؤال . رأى طفلا صغيرا يتجه الى مدخل  
الحجارة ، لمعت عيناها لحظة واتجه الى الطفل انحنى حتى قارب راسه  
اسمك يا شاطر ؟ ؟

د سعد

• انت من هنا من حارة الطيلاوى  
أوما الطفل ، بدا قلقا ، الاطفال لا يكتبون ، كواجب اخير ، سيحاول  
من يعرف منه

يعنى الم تسمع ميكروفونا ايدا بعد .  
هز الطفل راسه ، امتسامة مرتعشة قلقة

خيالات يا شلويش ايدا ايدا  
هل تنام يا بنى

رفع الصغير عينين شلحبتين ، بدا متعجبا ، اى سؤال هذا ما الذى  
يقوله هذا الشلويش ؟ ؟ انظت يجرى مسرعا .  
• • •

تاشيرة على المذكرة الايضاحية رقم ١٠٦ . وعلى تقرير الشرطى  
معالج عبده وعلى عرائض مقدمة من بعض اهالى حارة الطيلاوى ،  
شكلاوى من مجهولين ، وبموضوع مكالمات تليفونية . لمواطني رفضوا  
بشر اسمائهم .

حفظ

١٩٧١

• • •

# حكايات الفريب

في يوم السبت ٢ فبراير ١٩٧٤ بعد ان فتح الطريق الى السويس للمدنيين قلم رئيس المعهد المخزنية بالمؤسسة العامة المعتمدة للتوزيع والاستفسار بكتابة مذكرة يعرض فيها موقف الاسطى عبد الرحمن محمود حيث ان المذكور قلم في تمام الساعة السادسة من صباح ٢٣ أكتوبر بقيادة سيارة نقل من طراز فورد موديل ١٩٥٦ محملة بصحف وكتب ومجلات لنقلها الى مدينة السويس وتسلمها الى الحاج حسن السوداني متعهد التوزيع هناك وخلال السنوات الثلاث الماضية اصر على قيادته بقيادة رحلات المؤسسة الى السويس . واعتبر اكثر سائقى المؤسسة خبرة بهذا الطريق الصحراوي الذي تكثر فيه المنحنيات ويزحم بالركبات العسكرية غير ان اخباره انقطعت تماما منذ ٢٤ أكتوبر واصبح موقف السيارة الفورد والبضاعة غير معروف بما تسبب في وجود فجوة في دفاتر المعهد

وفي يوم الاحد ٣ فبراير ابدي مدير المؤسسة حيرة عندما عرضت المذكرة عليه . إذ ان الموضوعات التي يقرها دائما ذات طابع متشابه مهما اختلفت مصادرها . لم يسبق وقوفه امام موضوع بهذا الشكل لهذا رفع السماعه وطالب رئيس مجلس الإدارة وبعد تفكير مشترك صدر قرار بتشكيل لجنة تسافر الى السويس وتستقصى الحفيلة حول مصر المعهد . وفي تمام الساعة الواحدة والرابع بدلت الانسة منير نسح المذكرة الخاصة بتشكيل اللجنة بعد ان انتهت مشكلة تليفون طويلة مع إحدى صديقاتها

وبعد ثلاثة أيام صدر القرار من اصل وخمس صور . يحمل توقيعاً  
 رئيسياً بخير المؤسسة ، وتوقيعاً جانياً لرئيس القسم الخاص بالعهد  
 واسفل الصفحة إسم ، سمية ، التي نسخت القرار . ضمت اللجنة  
 الأستاذ الجواهري رئيس العهد وسعيد طليل الموظف بإدارة الأفراد  
 وشفيق نصرى الموظف بقلم التوزيع . عقد اجتماع عاجل حيث اتفق  
 الأعضاء على صرف مبلغ لكل منهم كبذل سفر لمدة سبعة أيام ، وطوال  
 مناقشة هذه النقطة لم يلفظ الأستاذ الجواهري كلمة حتى لا يقلل لانه  
 اشترك في مناقشة أمور مالية ستعود عليهم بالخير . إنه موظف قديم  
 خدم من قبل في ديوان الاطمئنان على صحة المواطنين ، علم تماماً  
 بالاصول والقواعد في اليوم التالي عقد إجتماع أخر في بدايته ضبط  
 الأستاذ الجواهري زرا جاء بعده عامل الموفيه . طلب طليل الهندى  
 شيئاً اما الأستاذ شفيق فطلب قرفة . اعترض العامل بسبب ارتفاع سعر  
 القرفة ونذرتها . اندى شفيق الهندى ضيقاً وقال إن الموفيه سبيء ولا بد  
 من تغيير المنهج . اعترض . اشار رئيس اللجنة الى المهمة الصعبة التي  
 تنتظرهم واستفسر عن تصور كل منهما لحطة العمل الواجب  
 اتباعها ، اقترح طليل الهندى البدء من هنا ، ضرورة الذهاب الى اسرة  
 المذكور واستجواب امه وزوجته واولاده واستيضاح لضر تاريخ تواجد  
 فيه بينهم . اشار الأستاذ الجواهري الى ملف لزرق قال إن الخطوة  
 الأولى من هنا ، تعجب طليل الهندى ، كيف فاقتهما الفكرة ؟ ثم  
 استعرض محتويات الملف واتضح انه يصم ما يبل

● شهادة ميلاد باسم عبد الرحمن محمود علي - من مواليد

عام ١٩٤٤

● إسم والده محمود علي احمد - إسم والدته نجيه تم تطعيمه  
 مرتين الأولى ضد الجدري والثانية ضد الدفتريا .

● شهادة حسن سير وسلوك ، موقعة من موظفين اثنين مؤرخة في

. ١٩٦٧/٨/١

- تصريح بممارسة القيادة على جميع أنواعها
- شهادة خبرة من المؤسسة المصرية العامة لنقل الأوعية الزجاجية
- الفارغة تدعى أن المذكور قضى خمس سنوات في خدمة الشركة
- شهادة معافاة من الخدمة العسكرية نظرا لأنه الابن الوحيد وعائل أمه

ولاحظ الأستاذ الجواهرى خلل الملف من العقوبات أو الجراءات وطلب تدوين هذه الملاحظة ، اقترح طابل افدى الذهاب الى أسرة المذكور غدا مع احتساب المدة التى سيفصلها بالعطوف من الفترة المخصصة للأمورية ثمهل الأستاذ الجواهرى في الموافقة ، خاصة أن الاقتراح يعنى تقاضيههم بدل سفر يوم سيفصونه في القاهرة العطوف



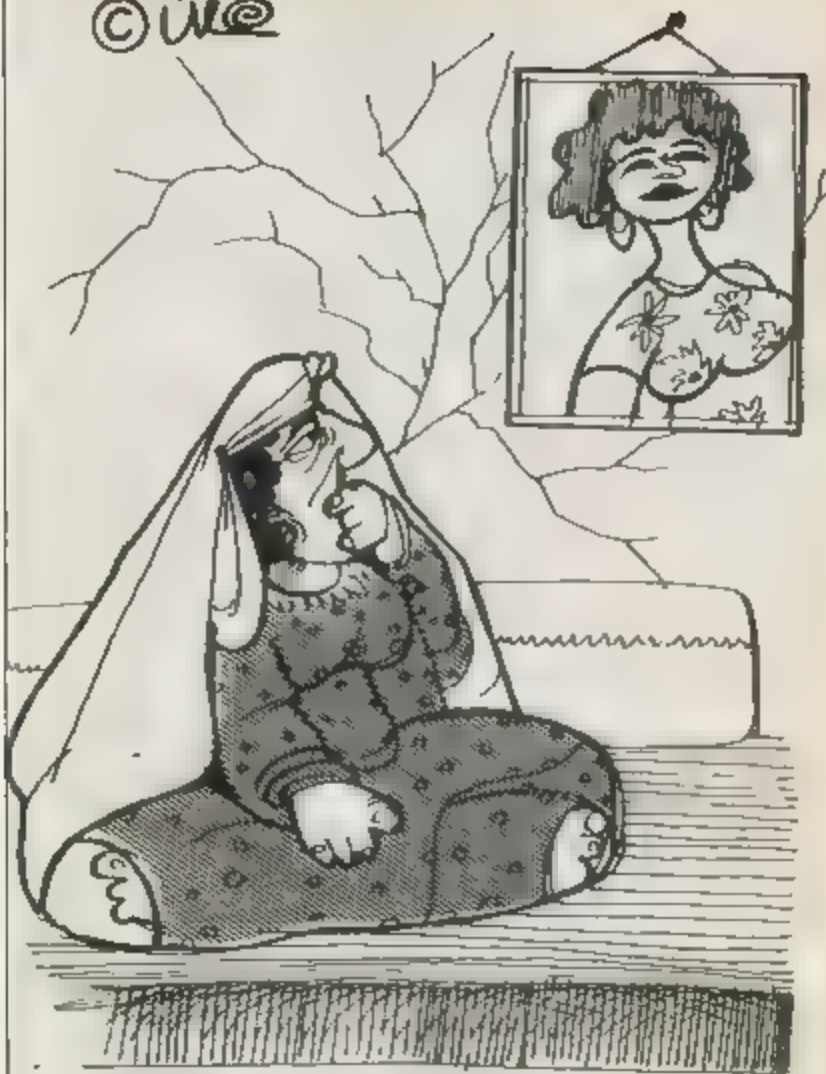
بعد بحث استغرق ساعة تخللها سؤال اصحاب دكاكين ، وصية ، وجرسون ، وامن شرطة ، وامرأة عجوز ، وصلت اللحنة الى المنزل رقم ١١ ، انار ظهور الافندية اهتماما في الحى ، وسارعت امرأة تبيع المحشى الى الاختفاء ظنا منها بامهم من الصحة ، صاحت إحداهن على الست ام عند الرحمن لتكلم ، النهوات ، خرجت امرأة حافية تحيط نصف وجهها بطرحة انار خجل انتوى ما زال متقبيا مع العمر المتقدم تساملت عن اخذار عند الرحمن ، من هيفتهم عرفت انهم جاءوا من اجل ايها ، تطلعت الى الأستاذ الجواهرى ، ادركت من سنه وحركته البطيئة وإحاطة الشابين به انه اهم الثلاثة تقدمتهم عبر فناء به مياه غسل لم تجف ورائحة عطن وزير يستند الى حامل معوج وسلم طويل بدوز درابرين يؤدى الى مجموعة من الغرف المفتوحة المتجاورة ، اطلت طفلة إختفت عالت ممسكة بطرف رداء امرأة عجوز ، وسمع صوت انتوى يطلب من محمد سرعة إرسال لكواب الشاى الى اد عند الرحمن عندما سمع الأستاذ الجواهرى صوت كفس موقد

غازى صاح طالبا منها ان تحضر لأن وقتهم ضيق لاحظ شفيق افسدى صورة حجم كارت بوستال معلقة في مواجهة الكنية القديمة ، تشبه الصور الصغيرة الثلاث في الملف ، عيناها واسعتان تحمقان الى الامام ، على الاطرار الابيض اكلاشييه أزرق « ستوديو الأزهر » قالت ان احدا لم يدلها ، فتعنت لو التقت بالك المدير لكنهم لم يسمحوا لها بالصعود الى الدب ، قاطعها طليل افندى قائلا إن البك حضر بنفسه اليها ، قالت إن احد رملائه كتب خطيبا على لسانها الى مامور القسم ، والمحافظة ، اخذه منها جدع طيب يرتدى قميصا وببطلونا لم ثره ابدا بعد ذلك قالت إن عبد الرحمن هو ما خرجت به من الدنيا وهو سندها بدا لفظ سندها لشفيق افندى كانه عويل ، لاحظ وشما اخضر ماها يتوسط جبهتها تبدو في جلستها اكثر ضالة ، فكر اسها ام ، بحث الاستاذ الجواهرى عن الفاظ مناسبة يصيغ بها عبارات المرأة المفككة في المذكرة ، قالت إن اسها كالريق الحلو ، لم يسمع حسه ابدا ، لم يتشاجر مع إنسان ابدا ، لم يدخل قسم بوليس ، اتناء ذهابها الى المصالح والقرىها الموظفين بحثت عن ملامحه جلست مرة بحوار شاب يقرأ الجريدة

هل يوجد ناس في السويس ؟ سألها ، هل انت مهاجرة يا أمى ؟ قالت إنها لم تر السويس ابدا ، سمعت عنها كمياء يذهب منه الحجاج الى مكة المباركة ، وعرفته بان امنها سافر كثيرا اليها لكنه لم يعد ، قال الشاب ، طبعاً هناك ناس في السويس يا أمى ، هل تصلهم مياه ؟ قال اطمئنى يا أمى الماء عندهم اكثر من هنا ، سكت لحظة وقال إن عيوننا خفية تفجرت من قلب الرمال مياهها غنية حلوة تكفى بلدا ، اشارت باصابعها الى اعل ، قالت إن جدعان كثيرين ماتوا ، ولو تاكبت فلا حول لها ولا قوة

هنا ضيق الاستاذ الجواهرى عيبيه طلب التأكد من اخر مرة حضر فيها عبد الرحمن الى البيت ، قالت إنها تذكر خروجه وكان ساعة واحدة انقضت ، بعد نزول السلم طلع مرة ثانية ، قال « خل بالك مر نفسك

© Uie



نزل متمهلاً نظراً خلفه ثلاث مرات . ولو لم نالفة الحجرة الوحيدة تطل  
على الحجرة لتابعته . لكنها تفتح على ممر داخل تغلقها دائماً خوفاً من  
الابرام والهوام . قالت مضى على خروجه مئة ليلة وخمس  
عشرة . لتت ببداها حركة ايمن شقيق الفدى معها فلما تاكل وجبة  
كاملة مد مدة . وانها تعلى للحاجة بعد انقطاع راتب ابنها . وانها  
ستبكي بلا انقطاع بعد انصرافهم . إن حواسهم واهتمامها كله من  
أجل استكشاف امر ولو ضئيلاً اخفاء عنها هؤلاء الاثديه . يحنى  
الاستاذ الجواهرى لهجته بطيئة . يقول إن السفطين يلفون ويرون  
الكثير من الملذات والعباد لا يحتمل لقائه بمرأة لغت عليه اغوته

( لا عبد الرحمن ما يعملهاش ) قالتها بالختصار شديد تحاول  
إخفاء استعكرها كجزء من إحترامها لهؤلاء الاغراب الذين لا يمتون  
بصلة ما الى ابنها . كل تصرفاته عقيمة بها . عندما حظ عينه على  
سنية المغربى ابنة حاول بلع العطور اخبرها . ظلمت منه توفير بعض  
المال . والفرحت عليه النزول ليعمل سائقاً على التاكسى ليتزوج . لم  
يقسم له نصيب من سنية . ينظر الاستاذ الجواهرى الى عضوى  
اللجنة . لم يعد ما يقال مهما . إن الساعة تقترب من الواحدة بعد  
نصف ساعة يصبح من المستحيل ركوب وسائل النقل تستمر  
ام عبد الرحمن لم يسكتها وقوفهم عندما فاجلت المصرة ساعة  
إبن الست روحيه جرتهم استغاثوا بعبد الرحمن نزل السلم يجعله .  
ليقتطع الدكتور عبد المعطى الذى يسكن فوق عيادته . قال لو جاسه مثل  
هذه النوبة عليهم تعطيقته بملاءة سوداء وإن يضعوا شيئاً صلباً بين  
استناده

ينزل الاستاذ الجواهرى يتجمع سنية صغار يبدو أن الست  
أم عبد الرحمن لا ترضيهم الآن . تتحدث الى شخص ما . بدا هذا ملاحظاً  
لهم بعد اعتيادهم ثبات ملامحها وجمود وجهها . تقول إن أول مرتب  
قصصه جاءها به . قال إنه يتقابل عندما يعطيها أول خبره . أمام البيت

تقترب منهم امرأة تحمل طفلا تهمس طوال اليوم على هذا الحال ينأى  
الحى كله فى الليل لكن صوتها لا يهدأ تحكى عن عبد الرحمن .  
مسكينة أصلها لم تر أبيض واسود من ساعة غيبته

### ، ملحوظة ،

يجب الإشارة هنا الى أن مهمة اللجنة عسيرة . إذ لم يسبق القيام  
بمثل هذه المأموريات حرص الأستاذ الجواهرى على التزام الحذر  
بالنسبة لآى خطوة لهذا عقد اجتماعا فور وصولهم السويس طالبا  
شفيق أمدى ذهابه الى المستشفى فى الحال . قرر الأستاذ تأجيل البقاء مع  
الأستاذ الجواهرى ليستريح قليلا من تعب الطريق على أن يعضيا  
بعد الظهر الى مقر المحافظة ومديرية الأمن لسؤال المختصين وبدأ  
الاستقصاء الرسمى قام الأستاذ الجواهرى ليطلب أسرته تليفونيا  
يخبرهم أنه وصل السويس بخير ويطلب منهم ألا يقلقوا وأنه فى  
الأمان بعد عودته أكد على ضرورة تقديم تقرير مفصل عند نهاية كل  
يوم مدعم بالمستندات التى تدعم صحة ما يذكر فيه من أحداث ،  
وتواريخ ، وأقوال شهود

### المستشفى

اعترضه رجل يرتدى معطفا أبيض . أبرز التصريح ، قال أنه يود  
لو قابل المدير شخصيا . غير أن الرجل قال ، إن هذا الموضوع يصعب  
لأن المستشفى لوى جرحى كثيرين فى بداية المعارك . مدنيين وجنودا .  
حتى الرجوع الى سجلات المستشفى لن يفيد فى قليل أو كثير . لأن  
الوقت لم يتح لتكوين الجرحى كلهم . أما مدير المستشفى الذى عايش  
الحرب والحصار ودأبى المرضى وعالج الجرحى فيشاء السميع العليم  
أن يموت يوم فتح للطريق وانتهاء الحصار قال إن الإهالى يعرفون  
الأغرب الذين احتجزهم قطع الطريق نظر شفيق أمدى الى الأرض



المبلولة والمرضت يرحن ويحنن ترى من رأى عبد الرحمن  
عص شفقه ، سال . الا يمكنه التعرف عليه لو رأى صورته ؟ ؟ إبتسم  
الموظف قال إن طاقم المستشفى تم تغييره بالكامل ليلة امس وأنه منتدب  
من مستشفى قلوب ولا يعرف شيئا ثم هناك إستحالة التعرف على  
شخص من الصورة ربما حدثت به تشوهات لو إصابت بالوجه  
ثم إن الأنسان تتغير ملامحه تغيرا كبيرا زمن الحرب بتأثير المعاملة  
ورؤية الموت والقتال سكت الرجل لحظة وقال عموما إذهب الى  
قسم السجلات ربما تكون على الاسم لكن المسؤولين عن الدفاتر  
والسجلات إعتدوا عن تقديم اية مساعدة لعدة اسباب موضوعية منها  
فقد بعض السجلات أثناء قصف مدفعي قام به العدو ضد المدينة (حرق  
جزءا من المنى . الثانى يتعلق بالوقت الذى يستلزمه حصر المستندات  
المتبقية والإشراف على تصنيفها والسبب الثانى أو الثالث أن كثيرين  
حدا لم تدون اسمائهم . وآخرين قدم لهم العلاج اللازم وخرجوا بدون  
تقييد أى مستندات بما صرف لهم من ادوية أو علاج لعدم توافر الوقت  
الكافى ولاشغال الممرضين والأطباء والموظفين فيما هو أهم . مثل  
تصنيف المرضى وتوزيعهم على الأقسام طبقا لنوعيات حالاتهم . امام  
بف المستشفى تسأل شفيق الهندى . هل جاء الاسطى عبد الرحمن  
هنا هل خرج الى مكان ما ؟ ؟ فى الطريق الصحراوى على مسافات غير  
متساوية تندو كومة حديد متداحلة . يبرز منها إطار عربة . اكياس  
قماش . فردة حذاء . رأى بعينى عقله الاسطى عبد الرحمن يقود عربته  
فى الصحراء الملتفة . قدماه تضغطان على دواسات السرعة . قبضات  
نيران تومص . هنا وهناك يتحرك الأفق حركة دائرية كأن اندفاع  
السيارة يبرز دوران الأرض لكن يحىء الوحش المعدنى هائلا . يدوس  
السيارة . يعلوها يتحاورها . على جانبي الطريق لافتة عبرية صغيرة .  
رحاجات الكوكاكولا وعلب طعام محفوظة قرعة منقوشة بالعبرية ربما  
أحد الذين شربوا هذه الزجاجات داس عربة عبد الرحمن بدباجة

ليس من المحتمل تعرض الاسطى عبد الرحمن لمثل هذا الموقف ،  
وقتها نظر اليه الاستاذ الجواهرى ، قال بلهجة البطنة هذا  
ممكن لكن من يثبت هذا ؟ ؟



### « من التكرير اليومى لطيف الجندى »

كما افاد قائد عموم المرور ان نقطة المثلث بقيت تمارس عملها  
وتؤديه طوال يومى ٢٢ . ٢٣ اكتوبر ، وعندما بدأت علامات الهجوم  
على المدينة استطاع لحد الجنود ان ينقل البنادق والتصاريح التى  
تسجل حركة المرور من والى المدينة عبر الطريق الصحراوى وبالبحث  
ثبت ما يلى . .

١- انه فى تمام الثامنة و٤٥ دقيقة دخلت العربية رقم ٦٧٠٧٣ نقل  
القاهرة يقودها عبد الرحمن محمود ، رقم مطلقته الشخصية ٢٢٨٤٨  
الجمالية وحامل تصريح مرور مستديم من والى السويس ، وثبت ان  
هذه السيارة لم تغادر المدينة حتى صباح ٢٣ اكتوبر وسالت سيادته  
عن احتمال مغادرتها بعد مجيء قوات الطوارىء الدولية لكنه نفى ذلك  
لان الحركة تمت بواسطة سيارات الامم المتحدة ، وتم استدعاء الجندى  
سيد احمد اهل وهو الباقي الوحيد من افراد نقطة مرور المثلث افاد  
الجندى المذكور انه فى صباح يوم ٢٢ اكتوبر دخلت عربية النقل المشتر  
اليها قال انهم يعرفون سلفها لترده المستمر خلال الحرب وانه صاح  
من بلادة الكيفية بعد تنوين بيانات العربية ، شعوا حبلكم يا ابطال ،  
عاد فى المساء لكن الظروف تغيرت إذ قطع اليهود الطريق فى عدة  
اماكن كثرت الاخبار انهم فى الطريق الى البلدة للهجوم عليها ، اشتد  
الطيران ، وجاء الفلاحون من الجنابى وجنود شاربون ، اخر عربية  
ظهرت امام النقطة هى سيارة الاسطى كمال

ومما استوقف الجندى سيد احمد الامل وبدأ استجوابه بحضور  
قائد عموم المرور نظرا للتناقض فى القوله

س من تقصد بالأسطى كمال ؟

ج سائق اللورى الممين رقمه في دفتر الحركة

س إنه اللورى المنسى الوحيد الممين في هذا اليوم هل تقصد  
سائقا آخر ؟

ج التقصد سائق لورى الصحافة

س اسمه في الدفتر عبد الرحمن

ج ناداه البشجلويش دائما يا كمال وعندما جاء الطيران يقفز  
معنا الى الحندق وسمعت البشجلويش يقول له لا تخف يا كمال  
يا بنى وربيته ثابت الوحه متعجبا فسألته ألم ير ضربا طوال  
حياته . فقال إنه جاء الى المدينة ليلى الحرب لكن الأمور لم تصل الى  
هذه الدرجة من العنف رفع البشجلويش قلة ماء مكسورة الفوهة ،  
شرب ماء وقال تضرب يا كمال فلهز رأسه قال إنه ليس بعطشان  
س ألم يدخل لورى آخر في هذا اليوم ؟

ج : لورى واحد

س ربعا سمعت الاسم خطأ

ج أبدا في مرة بعد إنصرافه وقف البشجلويش سلما وسمعت

يكلم نفسه . قال إنه شبه إيسى كمال . أى والله الخلق الناطق  
كمال إيسى .

س بعد إنتهاء الغزاة أين ذهب ؟

ج عاد اللورى الى داخل البلد . ولم تخرج ولم تدخل أى سيارة

منذ هذا اليوم وحتى فتح الطريق



### ملاحظات الأستاذ الجواترى :

ثبت أنه لم توجد سيارة نقل زرقاء رقم ٦٧٠٧٣ خلال الحصار  
والفئات المباحث الجنائية والمباحث العامة والمباحث الخاصة بوجود  
حطام بعض السيارات المدنية المضروبة ، بعضها استخدم كمناوئس

او عوائق اما السيارات السليمة فمحدودة ومعروفة ولم تستخدم على نطاق واسع نظرا لقلة النزين أيام الحصار وقسا بمعينة حطام نقل لم يستطيع احد الاستدلال على صاحبها وجداها متفحمة تماما متزوعة الاطارات مضغطة في بعضها لدرجة ان كابينته القيطة إندمجت معؤخرتها كما احترق طلائها تماما وحاولنا العثور على لوحتى الارقام لكن يبدو ان بعضهم إمتزعا إذ وجدنا المسامير القلاووظ التى تربطها مفككة وملقاة قمت باستدعاء صاحب ورشة سيارات وهو فى معتد لمعينة الحطام مقابل ثلاثة جنيهات ( مرفق إيصال المبلغ ) وافقد انها من طراز فورد لكنه لم يحدد أى مواصفات أخرى ؟ ؟  
 بزيارتى للمسئولين بالمحافظة افادوا انه لم يتواجد شخص بهذا الاسم خلال الحصار مع ملاحظة انهم قاموا بحصر جميع الاهالى بالمدينة بعد معارك يومى ٢٤ . ٢٥ اكتوبر لتوزيع المئونة عليهم وقالوا ان الغرباء الذين احتجزوا بالمدينة معروفون وحالاتهم واضحة  
 . لم يتعرف احد من المسئولين بالمحافظة وقوة عموم المباحث على صور المذكور ولم يدل احد بما بثت انه راه قبل او خلال او بعد الحصار .



## شفيق الهندى يحلول إستقصاء الحقيقة :

مساء يوم الرابع للمهمة . بعد أن أجرى الاستاذ الجواهرى اتصالا بأسرته للمرة الثانية طمانهم وطلب من أصغر أولاده ألا يعاكس به كما طلب من زوجته أن تستعجل قصصاته التي أرسلها إلى الكواء قبل سفره . وبعد إتخاذ طویل الهندى لعدة ترتيبات لشراء سمك الحليج ندى بدأ الصيادون في النزول إليه . إتخذ الاستاذ شفيق الهندى طريقة قاطلة بعض أبناء البلد من رجال المقاومة والمعروفين بين الناس باسم الغدائين أبدى تكبرهم سنادهشته من هدف اللجئة تساعل ما الذى ينتظر من سائق عربة ثوجه صباح يوم ٢٢ أكتوبر إلى السويس ولم يجد حائل شفيق الهندى شرح الظروف والملاسلات ولجأ إلى القوانين الجامدة والعهدة والمحارن خجل بدأ يشرح لوصاف عبد الرحمن وطبيعة عمله لم يكمل حديثه حتى قال أحد الغدائين الأربعة : إنه يتحدث عن الغريب :

دق قلبه رأى الست أم عبد الرحمن تكف عن حديثها فحاة بهز استاذ الجواهرى رأسه يقول بعض معارف عبد الرحمن بعد سنوات ذهب ولم يعد قال قنلاوى الغدائى : إن الغريب جاء مع حاج حسن السودانى متعهد توزيع الجرائد والمجلات ، الحاج يعرف عنه كل شيء لكن المؤسف أنه توكل على الله ذهب بطلا في معركة قسم الأربعين . عينا شفيق الهندى تحيطنن بسرعة بالوجود بكل ما في القاعة بظاظين رمادية صناديق ذخيرة فارغة وزمزميات مياه . مكنن إقامة مليئة بالحذر والترقب ، لوحة ملونة فارس يرتدى خوذة ، يشهر حرمة فوق رأسه كتلية واضحة . أبو زيد الهلالي ، آخر تنفذ منه حرمة ، إختفت بقياه مع اللوحة الممزقة لابد أنها تنتمى إلى أصحاب الشقة الأصليين ربما لم يلحظها أحد حتى الآن برغم تواجدهم اليومى

يقول قنلاوى إن الغريب بدأ حائرا عندما جاء إلى قسم الشهداء مع الحاج حسن صاح كثيرون أن اليهود قادمون إلى كومرى الزراير بدأ

الملازم حسن ضابط الصاعقة في توزيع رشاشات وأحبال ، قال الغريب  
لقناوى : « حين كوبرى الزراير ؟ »

أشار لقناوى الى إتجاه المكان . سال

« تعرف تضرب نزل ؟ »

« ممكن أعرف »

ناول لقناوى رشاشا وثلاث فلفل حارقة للدروع . نظر الغريب الى  
السلاح . هذه الدهشة الخفيفة والحذر تجاه السلاح لدى من يلمسه  
لأول مرة . قال لقناوى . هذه شرائط الذخيرة . حول المقصض إضبط  
الزناد . تتزايد حركة النفس كوبرى الزراير كوبرى الزراير . قال  
الغريب

( أجبى معاكم ؟ )

راه لقناوى يعضى مع الرجال . طلب منه الملازم حسن تدعيم الكمان  
عند الهويس لم ير لقناوى الغريب لكنه يعرف أخطاره من الذين حاربوا  
عند كوبرى الزراير . سال شفيق الفندى عن إمكانية اللقاء بأحدهم .  
نظر لقناوى الى زملائه نزل إبراهيم الى مصر بعد فتح الطريق . لكن  
حسن موجود ولم يزل في إجازة بعد . ثم تسأل شفيق الفندى عن  
حسن هذا . قالوا إنه ضابط الصاعقة . وإيه حارب عند كوبرى الزراير  
وصباح اليوم الغالى لك الملازم أول حسن عمري . إن الغريب لم يكن  
يعرف علامح السويس لأنه سال مرتين عن كوبرى الزراير أثناء توجه  
الكمان إليه . لم يسأل خلفا لو مترددا . عندما تقدمت الدبابات رأى  
الغريب يتقدم . يلف بطوله في مواجهة الدبابات مخالفا كل القواعد  
التي يتخذها المشاة عندما يقتصدون للدبابات كان يريد الاقتراب الى أقصى  
حد ممكن من الدبابات . يبدو أنه صرخ بشيء ما . زعق . بدأت حركة  
دراعيه عندمالقى القنبلة الأولى . انفجر الجسم المعينى . تصاعد  
دخان كثيف له قام . لزت رصاصات البنادق الخلوقة في إتجاه افراد  
العدو الذين قفزوا من برج الدبابات . بدا الاضطرابات على حديد الدبابة  
الثقيلة دار المدفع الرئيسى الى الشمال إرتد مكانه . بدا الجسم الضخم  
مرتدحا قبل أن تمتد ذراع الغريب في استقامة الى الخلف .لقى القنبلة

الثانية غطى المخان كل شيء أصدر لوامره بتغيير اوضاع الكمين بعد الانتهاء من المعركة عانوا الى مكان الدبقتين المحطمتين لم يجنوا، جثده قال إنهم ذهبوا بعد وقف إطلاق النار لأن الحركة إستحالت في المدينة يومى ٢٤ ، ٢٥ أكتوبر بسبب الرصاص المطفئ . قال إنه سأل عنه ، من هو . ما اسمه لقد سمع أثناء القتال لحد الرجال يزق يا مجدى . فهل هو اسمه ؟ خاصة وأن كل أفراد الكمين معروفون بالاسم ولا يوجد بينهم مجدى لكن الذين تمقوا من الرجال لا يعرفونه إلا باسم الغريب صاحب الحاج حسن السودانى



### ملحوظة أخرى :

قام الأستاذ الجواهري في اليوم الرابع بزيارة موظف كبير بهيئة الشئون الصحية اثر اكتشافه معرفة قديمة ربطت بينهما يوما وبالطبع ورد ذكر الاسباب التي أتت بالأستاذ الجواهري . قال الموظف إنه لا يعرف شخصا حارب في المدينة بهذا الاسم . لكنه سمع حكايات من بعض الاهالى عن سائق لورى قطع عليه الطريق وحارب عند كوبرى الزراير ويقال إنه واجه الدبابات وأخطأ . حتى أنه اعتل إحداها ودمرها بقبلة ودمر نفسه معها . وهنا قال الأستاذ الجواهري إنه جاء خصيصا من أجل هذا الشاب . تمهل صوته . بدا فيه فخر خاصة عندما بسط راحته على صدره قائلا

« إنه من عندنا واسمه عبد الرحمن محمود .

في الليل حكى الأستاذ للجواهري لطايل احدى وشقيق احدى ما سمعه وهنا أبدى الشابان حملا وقالا إن هذا دليل واضح لكنه هز راسه حائرا وقال ربما ولكن من يثبت هذا ؟ ● ● ●

### من تقرير طليل الهندى :

« واجمع البعض على أن الاهال سبوا الغريب في نفس ليلة استشهاده ودفنوه بسرعة بالقرب من الطريق المؤدى الى شركة شل .

وأثناء الحصار قرر الحاج حافظ نقل الشهداء الى مقبرة واحدة داخل  
السويس وعندما حفروا لنقل الغريب صلحوا الله اكبر ، الله اكبر  
مسحوا دما جرى ، وجدوا الجثمان على حاله مفتوح العينين ثيليه لم  
تبل ، قدماء حافيتان لأن حذاءه خلع قبل الدفن بدت الدماء فوق  
قميصه طرية مكانه اصيب منذ لحظات .

في روايات اخرى أكد البعض ان الشخص الذي يظنوه من المدفن غير  
الغريب والصحيح ان النكسي انفجرت دانه فوقه تملعا ولم يعثر له على  
اثر ، وأكد هؤلاء ان المكان الذي استشهد فيه تفجرت منه عين ماء عذبة  
فيما بعد خلال الحصار .

قالت امرأة عجوز تعيش بجوار كشك الصحف الخاص بالحاج  
السوداني ان الشاب الغريب اسمه خلف رايته مرارا يحىء الى  
الحاج . قالت إنها ذهبا الى كومري الزراير وحاشا اليهود عن دخول  
البلد وماتوا ، قالت إنها ذهبت الى الكوبرى ، قالوا لها ارجعي يا ولية  
لأن المكان على مرمى النظر من اليهود . لم تهتم لأن ما يربطها بالحاج  
عشرة عمر ، أما الشاب فحبت عليه . قالت إنها ذهبت لعلها تشم رائحة  
من اثر تركه في مكان موته . قالت ان خلف تحدث اليها كثيرا سالها مرة ،  
لماذا لا نهاجر ، قالت إنها لا تطيق البعد عن السويس احبته عن  
إبمها في القاهرة . متزوج وعنده أربعة اولاد ويعيش في القلعة .  
وسالها لماذا لم تذهب اليه ؟ قالت إنه لا احد يطيع احدا في هذا الزمان  
بدلا من ان تثقل عليه وعلى امراته فضلت البقاء هنا تستلقط رزقها من  
هنا ومن هناك قالت ان خلف حر عليها واعطاها خمسة وعشرين قرشا .  
وكلما جاء اعطاها حلجة . عندما تجولت فوق كومري الزراير احبرها  
رجل يقيم بالقرب من المكان عن عصفورين ثوبهما احضر . يفرلان فجر  
كل يو ، صوتهما احن من الحنين واطرى من قلب الام ، يحومان قليلا  
ويحتفیان فجة كما ظهرا فجة . لم يخلقا ميعادا .

وقعت بتوجيه سؤال اليها عن الاسم الكامل للشاب . قالت إنها لم  
سأله اندا عن اسمه او امراته وعياله لكنها سمته بينها وبين نفسها



• خلف ، خلف ابها الاول الذى انجسته منذ أربعين سنة ومات بعد  
سبعة شهور من ولادته . هكذا فجأة بدون مرض أو سبب

### من حديث موسى الحلوانى الى شفيق الهندى :

سال شفيق الهندى بالباح ، هل رايت العريب عند الهلويس بعد  
معركة كوبرى الزاير ؟

قال إنه لا يسى ليدا ، ولو أن الله مد لى لحد البمبوطى كفتة  
والماشلويش سعد لأكد ما يقوله الآن ، لأنه وصل الى الهلويس  
معهما . قال إن الجو بدا مقلوبلوكان جزءا من طاقة جهنم فتح على  
الناس ، أما الهواء فثقل كدخان الجير ، ملحت نظره اليه ، إتخذه  
أوضاعا تعرضه لأقصى الخطر ، حتى قال البعض أن العريب القادم  
محجب مثل هذا لا يسى ليدا

إن شفيق الهندى يرغب فى توجيه المزيد من الأسئلة ، لكن الحلوانى  
سوسو يحتمل الى الأرض ، نسي تماما وجود الهندى القادم من مصر ،  
سهم فحاة كنزول ليل مبالغت . لم يستطع شفيق الهندى أن يחדش  
صمته ، ورصد دمعات تتسلل على مهل من عيني الحلوانى سوسو



### ملحوظات أخيرة :

اجتمع الاستاد الجواهرى فى مساء اليوم السادس بعموى اللحة ،  
قدم طليل الهندى تقريرا بدا اثناء تلاوته مفعلا . قال فيه ان  
باشجلویش شرطة من قسم الأربعين وامرأة عجوزا من الجبلين لجأت  
الى المدينة عندما هاجمها اليهود وقتلوا اولادها واثنين من أطفالها .  
وبائع قفل متجولا وعطرا من حى زرب ، وصيد سمك يمتلك قاريا .  
أكدوا أنهم شاهدوا العريب قبل نهاية الحصار بأيام وأكد قارى قرآن  
عجوز انتدبته وزارة الاوقاف من الخوفية الى مسجد الشهداء ليقرأ  
القرآن قبل الحرب بأسسوع واحد إنه التقى كثيرا بهذا الشاب ، لا يمكن  
أن يخطئ لأن للذين احتجزتهم الظروف تقاربوا من بعضهم ليعرف كل

منهم حكاية صاحبه ، لجمع الكثيرون من الغريب بما كثير الحركة  
 لا يهدأ ، لا ينام في مكان واحد ، بل فاقرا ما رآه البعض نقما ، كل من  
 رآه شاهده مستيقظا يؤدي عملا ، في الليل يقف خلال نوبت الحراسة  
 عند اطراف المدينة ذهب الى بور توفيق لتكر من مرة حفر الخنادق . نقل  
 العديد من العوائق كالعمرات المدمرة والحجارة الثقيلة ليمد بها  
 الطريق . شهود يحفر مع بعض الشبان أمرا للمياه قرب سيدي  
 الغريب ، سمع يؤنس للصلاة مرة . كما انشد بعض المواويل في سهوة  
 اقيمت خلال الحصار . تبرع بدمه مرات لان المدينة عانت نقصا في  
 الدم . يقال انه تسلسل مرات الى قلب خطوط العدو . استطلع الاخبار  
 أثناء توغله رسم خرائط لمواقع العدو ومرامض مدرعته وأنواع  
 مدفعياته . وولست هذه الخرائط الى مصر بطريقة حفية . واتك عدد من  
 الاهال انه خرج في قارب ليصيد السمك برغم علمه بوجود العلم في  
 الخليج لكنه دائما يجيء الى المرسى الراكب . يسأل ، فين المراكب ،  
 يحرك المياه بضررات المجذاف . واقسمت امرأة من حي الأربعين ان  
 الغريب القادم من مصر جاءها عندما اتاها المخاض في الليل وصرخت من  
 الألم حتى لظلت الشهادة لبعد الناس عنها ورجل زوجها وشقيقتها قبل  
 الحصار وبقائها وحيدة . بيديه لمهي ولانها العسيرة . تلقى الطفل  
 عند خروجه . وقال صاحب مقهى تهتم في الحرب ان الغريب اصطح  
 عربة لوري معطلة وقادها عبر شوارع البلد مرتين



اصعب الاستاذ الجواهرى يهود . لم يفقه ملاحظة الجنية المفاجئة  
 التي نزلت على طفل الهندى حتى صار يخرج من الفندق في السابعة  
 صباحا يستأجر ويلتقى ويجرى المقلبات ليعود في المساء . حتى انه  
 جمع معلومات دقيقة عن ملامح الغريب وطريقة مشيته . وسجلا  
 بالاسماء التي انطلقت عليه من الاهال . لم يبد الاستاذ الجواهرى  
 إنفعالا قال إنه امر مشرف للمؤسسة ان تعلن إستشهاده لحد ابائنا في  
 السويس . لكما لم نغتر على اثر ، لم نجد له قبرا ولم يجمع إنسان على

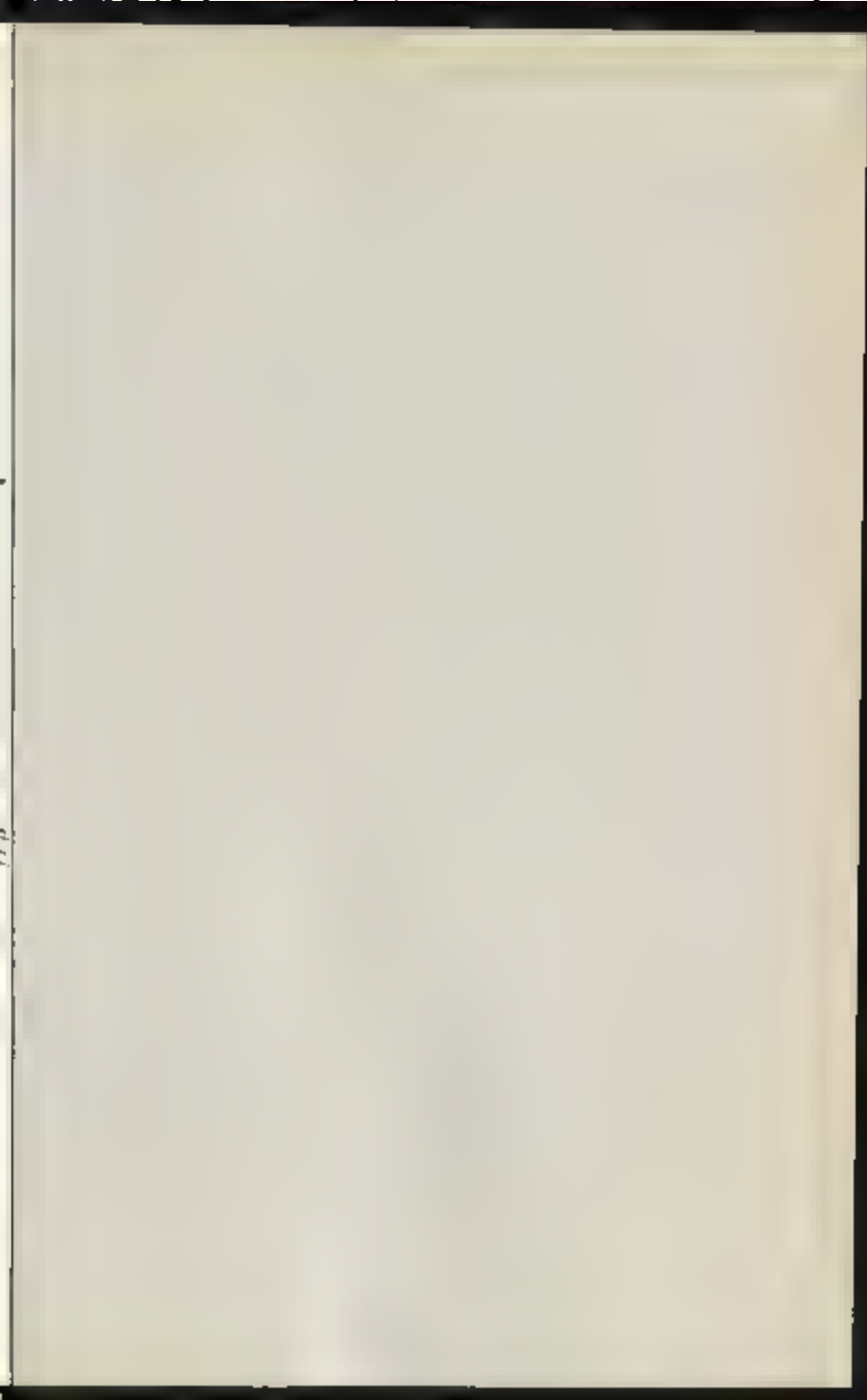
رواية واحدة ثم ما هو موقف العهدة سيرة النقل والبضاعة ،  
وباعتباره موظفا قضى عمرا بأكمله في خدمة الحكومة لما يهيمه أولا  
الاطمئنان على أموال المؤسسة



يصغى شفيق الفندي صامتا . صباح اليوم راوده يقين أن الغريب  
يطوف بالطرف الآخر من المدينة أسرع الخطى لم يلحقه وبقي  
وحيدا في هدوء شتوى يخيم فوق انقراض السيوت ورائحة البحر في  
الخليج القريب حتما ستجىء لحظة يلتقى فيها بالغريب لا يرى متى .  
لكنه سيحكي له طويلا ، إنه على وشك اتخاذ قرار بينه وبين نفسه أن  
يبقى وقتا إضافيا ولن يبالى بالاستاذ الجواهرى طليل الفندي يقول إنه  
طلب زيارة الاسطى عبد الرحمن . مضى اليه مع عدد من شبان المدينة  
قرأوا عليه الفاتحة ماذا تمقى إذن لتفتتح المؤسسة بموته وتمنحه  
حقوقه يهز الاستاذ الجواهرى رأسه يكرر بهوء إن هذا مشرف  
للمؤسسة . لكن ما الذى يشته ابن الألفة ؟

١٩٧٩





# الترام . . !



في مقابلة اجرتها احدى المذيعات بالقناة الثانية ، قدمت بروج فكهة رجلا قال انه مؤسس جمعية اصدقاء الترام ، حدث ذلك خلال برنامج مسائي يقدم شخصيات يتم اللقاء بها بدون ترتيب مسبق ، تجاوز الرجل الستين ، قال انه عمل موظفا بوزارة

التكوين حتى احيل الى المعلى بدون توقيع اى جزاء عليه طوال مدة خدمته ، يسكن الضواحي ويمتلك بيتا مستقلا من طابق واحد تحيطه حديقة يزرع فيها كل ما يحتاجه ورغم سكنه البعيد وعدم اضطراره الى ركوب المواصلات فمئة فترة لا يستطيع تحديدها بالضغط لم يكف عن التفكير في الترام ، خلال نزوله الى المحطة القريب كثيرا من مركبات الترام ، هاله ما رأى ، ما وصل اليه الحل من اهمال ، ولان الترام اقدم وسائل المواصلات في القاهرة والاسكندرية ، ولانه دخل البلاد قبل سائر المواصلات الاخرى فيجب الا ندعه هكذا سالت المديعة عن طبيعة العمل الذى ينوى من خلاله اعادة اعتيلر الترام ؟ قال إنه اشأ بالفعل جمعية لاصدقاء الترام ، تتلخص اهدافها في الدعوة الى ركوب الترامويات ، والعبية بها ، والارتقاء بمستوى السائقين والمحصلين والمفتشين والفنيين ، ثم وجه دعوة الى جميع المواطنين للاشتراك في الجمعية ، انتهت المديعة اللقاء بمشاركتة توجيه الدعوة ، ولابد ان المشاهدين في هذه الليلة مزوا رؤوسهم لمدى الهيلة التى وصلت اليها برامج التليفزيون ، ربما حاولوا استعادة كلماته عندما اشارت افتتاحية الاهرام الى حديث العوز صباح اليوم التالى ، حاء بها ان مختلف ما يجرى محليا وعليا يجب الا يشغلا عن امور جوهرية في حياتنا ، ان المتأمل في وضع الترام يجد انه قد وصل الى حد المهانة المؤلمة ، اى مطرة الى الترام تكشف هذا طلاء جميع العربات لم يجدد منذ سنوات ، المقاعد الجلدية قطعها امواس الصبية الذين لم يبت احد في نفوسهم حب الترام ، اذ لم يصع التربويون مباحج تربط البشر بتاريخ الترام ، تبرز فوائده واهميته ، ان المركبات متشلقة متعبة خاصة القديم منها ، اما ما وصلت اليه ، السنجات ، فامر يرثى له ، لا توجد سنجة واحدة سليمة تستمر معلقة الى اسلاك الكهرباء لمدة خمس دقائق ، يضطر الكسبرى الى النزول ، او ينطوع احد العلبين باعلانها الى مكانها ، ان الترام هو المركبة الوحيدة التى يمكن ايقافها

برغم ان السائق وذلك بشد ، السجدة ، نلاحظ ايضا ان سائق الترام  
 هو الوحيد في البلاد الذي يقف على قدميه طوال نوبته . بعض الدول  
 المتقدمة تكنيكيا اضافت مقعدا صغيرا للسائق ، وخطت بول اخرى الى  
 ما هو ابعد فحوصت كبائن صغيرة تعزل السائقين عن زحام الركاب ،  
 لكن تظل الغالبية المستخدمة في بلادنا من النوع الاول . ان الاعياء سعة  
 مشتركة لسائقي الترام . انجبت جنوعهم ، تقوست ادمهم ، غلظت  
 اطرافهم . اضفى هذا على كل منهم ملامح خاصة توحي لمن يراهم لأول  
 مرة بدون معرفة مسبقه بان المثل امامهم . سائق ترام . لا يفكر احد  
 ما وصل اليه حل المرفق من تدهور ، من هنا يجب النقاط الدعوة الى  
 تطويرها وتدعيمها . اختتمت افتتاحية الاهرام بدون حث القراء على  
 خطوة محددة ، ولو حظ ان هذه الافتتاحية اذيعت عقب بشرة اخبر  
 الظهيرة ، كما صدر تعميم علوى من التنظيم السياسى بعنايتها في  
 جميع الاجتماعات التي عقدت خلال اليوم في سائر الوحدات الانتاجية  
 والاسلام الادارية والمناطق التابعة ، وحتى يفلل التلفزيون محتفظا  
 بسبقه الى الدعوة فقد خصص برنامج يومى يذاع بعد اخبر التاسعة  
 والنصف مدته عشر دقائق . يتضمن رسائل المشاهدين ، ولقاءات مع  
 المعمرين الذين شاهدوا بحول الترام عصر واحاديث مع بعض  
 الصحفيين الذين زاروا ملادا بعيدة واطلعوا على النظم المختلفة للعباية  
 بالترام . كما تضمنت الحلقة الاولى رسالة من المواطن على الناقورى ،  
 دعا فيها الى انشاء الهيئة القومية للنهوض بالترام ، وفي اليوم التالي  
 قرأت المذيعه العديد من الاسماء التي يؤيد اصحابها الدعوة . كما  
 اذاعت تصريحات من وزارة الداخلية لم تبت فيها اعتراضها على تشكيل  
 هيئة قومية للنهوض بالترام ملادام نشاط الهيئة لم يتعرض لاسس  
 المجتمع وقيمه وامنه واشترطت تسجيل العضوية في القسم الشرطة ،  
 في تلك الليلة يعكس القول ان الموضوع اثر على نطاق واسع ، بين افراد  
 لعائلات وبين رواد المقاهى ، كما تحدث بعض الاقارب والمعارف الى

بعضهم تليفونيا ، تعلقوا موضوعات عامة أو خاصة لكن الحديث عن الترام والاهتمام المفاجيء به تخلل معظم الاحاديث وعندما اطبق الملايين من اهل البلاد جفونهم استعدادا للنوم احتل الترام في اذهان معظمهم صورة من تلك الصور التي تتوالى قبل النوم ، كثيرون تعلقوا مركبات الترام صباح اليوم التالي ، لوحظ زحام غير عادي على محطات الترام ، هذا لا يعنى زيادة عدد الركاب زيادة غير عادية ، لكن المثير ان اعدادا كبيرة من المواطنين تعلقوا بالمركبات التي تسعى في شوارع مدينتهم منذ سنين طويلة وكانهم يكتشفونها لأول مرة ، بيتت المركبات شائخة ، تهتز في اندفاعها فوق القضبان اهتزازات خفيفة الى اليمين ، الى الشمال ، كأنها ستقلت من اسر القضبان الحديدية الطلاء بدا صاحبها في كثير من المواضع ، اما المركبات الحديثة التي ظهرت منذ عامين فقط في شوارع المدينة فلاحظ الاهالي ان ثمة تغيرات طرات عليها الى جانب الاعمال ، يبدو ان الفنين لم يحترموا الاجهزة الحديثة بها فاندلوا بعضها باخرى اكثر تحلفا ، وربما لم يتيسر ابدالها بمثيلاتها نظرا لنقص العملة الصعبة المخصصة لاستيراد قطع الغيار ، كثير من المصابيح الزجاجية الامامية تحطمت ، مقاعد البلاستيك تكسرت حوافها .

في صحيفة الاخبار نشر تحقيق عن الجلوس داخل الترام ، وقال التحقيق ان راكب الترام يواجه الجالس امامه ، ويتلاحم بالمجاورة له ، وهذا ما لا يحري في الاتوبيسات ، مثل بعض علماء الاجتماع الذين ابرزوا الحواشيب الايجابية والآثار المترتبة ، وتعميق المشاعر الانسانية والروح الاجتماعية في عصر توشك فيه الآلة على المسد كل ما هو انساني وحميل ، وقال احد اساتذة الفلسفة بجامعة عين شمس ، ان الجلوس في الترام ينفي عنصر الاغتراب لدى الانسان ، ويركز علماء النفس على الآثار السيكولوجية المترتبة على تقلب الناس وشعورهم بايقاع السير البطيء وعلاقة ذلك بالحد من نسبة القلق والشعور



بالاحتجاب . وتحدث أحد اطباء القلب عن علاقة ايقاع السير المعطىء  
للترام ، وضمان عدم توافقه المفاجيء بسلامة القلب . وأكد ان الانتقال  
للترام افضل وسيلة لمرضى القلب . ونشر صورتين علميتين . الاولى  
لقلب مريض استخدم وسائل المواصلات كلها عدا الترام . والثانية لقلب  
رجل لم يركب الا الترام

والى جريدة الجمهورية نشر تصريح لخير إحدى شركات الاعلان  
الكبرى التى بدأت تعمل اخيرا براس مال مصرى - غرمى مشترك ، قال  
ان الترام يعد من افضل اماكن الاعلان اذ توجد به مساحات عريضة على  
جلسيه . كما يمكن تعليق لافتات بكافة الاحجام فوقه . ويمكن ابراز  
الشيء المعلن عنه بوضوح . والمادة المصنوع منها جسم الترام تتقبل  
اى لون وتحفظ بمقوماته الاصليه . بالاضافة الى نقطة هامة للغاية ،  
انها سير الترام المعطىء . يمكن للمعنى على قدميه لو الجالس فى شرفة  
أو المطل من نافذة لو مدخن الزجاجية امام اى مفهى من قراءة الاعلان ،  
ان يفس الجريدة احترت إحدى الصحفيات مقابلة مع تاجر لعب اطفال  
قال إن أجمل النماذج التى يبيعهها للولاد من مختلف الاعمر هو  
الترام . وقال ان رجال الجيل الحالى يتذكرون تلك اللعب الصغيرة اثناء  
طفولتهم والتى تمثل مركبات الترام المفتوحة والقديمة . خلال السنوات  
الاخيرة ظهرت مركبات متطورة من الترام وعرض نماذج مصغرة لها فى  
سجنه . وقال ان الترام كلعبة يفتح مدارك الطفل ويثير خياله العبيد  
من الصور ويفتح امامه افقا عديدة خاصة فيما يتعلق بالتحاللات  
الكهربائية

كما صرح قائد شرطة اداب البلاد بان حوادث النشل تقل كثيرا  
بالترام وذلك لاتساع اماكن الوقوف وعدم اتاحة الفرصة لاهتزازات  
كثيرة فتتيح الاحتكاك كما ان خدش حياء الاناث يقل كثيرا . وقال ان  
مركبات الترام حافظت على قيم المجتمع ومثله عندما خصصت عربة  
للحريم . لا يمكن لرجل ان يركب بها لو يقف امامها . وقال إن بعض

العجائز يجدن فيها متسعاً ومكاناً مريحاً . يقعدون فوق ارضية المركبات ويستندون ما يحملونه امامهم

وال بداية اجتماع كبير قال وكيل وزارة الاقتصاد المختص ان اقتصاديات تشغيل الترام اقل من اى وسيلة اخرى . والتمسك بها . وتعميمها سيؤدى الى وفر فى الميزانية يساعد البلاد على التصدى لمسؤوليات اخرى جسيمة يتطلبها الموقف الذى يجتازه اقتصادنا . فى نفس اليوم تحدث احد اساتذة التاريخ المصرى المعاصر الى طلبته . وقال ان الدور الوطنى للترام لا يقتصر على مدى الوفرة الذى يمكن ان يحققه فى ميزانية البلاد . ان هذه نظرة قاصرة وتعزل الاقتصاد عن بقية الجوانب العلمية الاخرى . انه مصد وضع مؤلف يتناول الدور الوطنى للترام منذ ظهوره . ثم تحدث عن نضال عمال ومستخدمى الترام الذين كفحوا ضد اصحاب شركات الترام الاجانب فى بداية القرن . ثم اسهب فى الحديث عن الاضراب العمالى الكبير الذى جرى فى عام ١٩٠٨ . وذهب عائلات المصريين الى الورش والمركبات ومشركتهم الفعالة ثم تكرر هذه الاضرابات . التراموية . التى ساهمت فى توعية العمال بحقوقهم من ناحية وبلورة الشعور القومى من ناحية اخرى مما لوجد رافدا هاما ادى الى ثورة ١٩١٩ . ولا يقتصر دور الترام على ذلك فقط . بل تصدت مركباته للانجليز عندما ظلمها المتظاهرون واستخدموها كمتاريس . ثم قدم الى الطلبة صورة نادرة تؤكد الدور الوطنى المباشر للترام

فى اليوم التالى عقد اجتماع موسع بالمقر العام للمنظمات الشبابية واعلن المقرر العام اتخاذ قرار يقضى بمشاركة جماهير الشباب الطلابية والعمالية وشباب الموظفين فى حملة واسعة من اجل اعادة طلاء مركبات الترام وتنظيف القضبان واستقدام دروع وكؤوس لاقدم العاملين بالترام .

علق المواطنون على ذلك الاهتمام الواسع بالترام اثناء وقوفهم

مختلف الطواوير ، امام مكتب الحوازات . الجمعيات التعاونية .  
نوافذ الحجر ، بنوك العملات المحلية والأجنبية ، مكاتب السجلات  
المدنية ، كما جرت منقشات هامة في المناطق الحرة بالبلاد ، والمقاهى  
الأفريقية التى تقدم المشروبات الساخنة والجلاس وقطع الطوى  
الصغيرة والمشهيات ، وفى المقاهى الشعبية ، ومقار النقابات المهنية ،  
العملية ، وقال البعض انها محاولة لصرف انظار الناس عن المشاكل  
الحقيقية ، اعترض آخرون وقالوا ان الموضوع يتم بشكل تلقائى  
ويشارك فيه فئات عديدة ، ولا يمكن ان يصل الى هذا الشكل لو ان الأمر  
مدير ومخطط له من قبل احدى الهيئات . لكن بعض القوى المعنية التى  
تقوم دائما بالمعارضة من أجل المعارضة لم تخف امتعاضها ازاء تلك  
الأهمية المتزايدة والمواجهة نحو الترام ، حاولت تلك القوى ترويج  
اشاعات معينة ونكت تدور حول الترام ، وهددت المباحث العلمية انه  
سيتم الضرب بشدة على ايدى كل من يحاول الخروج بمعارضته عن  
حيز القول والاحتجاج ، ولم يفهم ما المقصود بذلك كما ان موقف اجهزة  
الأمن المختلفة من الترام ، وقد تعود الناس ان هذه الاجهزة لها موقف  
من كل الامور الصغيرة والكبيرة ، موقف حفى غير معلى لكنه يعرف  
لدى الناس بالاحساس بوسائل ما ، ثمة حكاية تروى ربما اوضحت  
بعض ما حفى ، اثناء قيام رجال المباحث بالتحقيق مع خلية سرية من  
الشباب الصغار ، صفع الضابط المحقق احد الشبان وخاطبه قائلا  
لماذا تتوجهون الى العمل السرى واملكم العديد من النشاطات التى  
يمكن لكم الاشتراك فيها ، لماذا لا تعبرون عن رأيكم فيما يجرى  
حولكم . . حول الترام ؟

يمضى القول انه بعد ايام عدة نما شعور بين جميع الفئات بالتعاطف  
مع الترام ، حتى اصحاب السيارات الذين اعتمدوا على المجارى  
الخاصة بالترام في وسط الطريق عندما يشتد الزحام ، وبلغ شعور  
التعاطف قمته في شارع الأزهر الرئيسى الذى ازيل منه الترام منذ عشر

سنوات . اقام احد تجار المانيقنورة سرادقا ضخما يتسع لالف شخص ودعا اليه ثلاثة من القراء الكبار . وبعد الانتهاء من القلاوة الكريمة خطب التاجر في المحتشدين سمع صوته في أقصى الشارع بواسطة مكبرات الصوت المصروح له باستخدامها ، اعلن انه يحيى الليلة ذكرى ذلك اليوم الذي ازيلت فيه مركبات الترام من شارع الأهر ، قال ان ذلك من السليبيات التي جرت ، اثر انتهاء كلمته قام البعض بتحرير صيغة برفقية على الجالسين مرسلة الى كافة المسؤولين لاعادة الترام الى شارع الأهر كما تقرر احياء ذكرى انقراض الخط متفويا حتى في حالة اعادة الخط القديم

ورشحت جريدة الاخبار رجلا تجلوز السبعين اطلقت عليه لقب « راكب الترام الاول » ادلى بحديث طويل روى فيه ذكرياته عن الترام التي تمتد الى نشأته الاولى لم يستخدم غير الترام وسيلة لانتقاله ، قال ان عددا كبيرا من الكسلبية والسلفيين القدامى يعرفونه ، كثيرا ما تبادل معهم الحديث خلال الزمن الرافق . الجميل المولى . كما تبادل معهم السجائر ، قال إنه يعتبر ركوبه الترام لفظ احد الاسباب التي ادت الى اطلاق عمره

وقد حكى بعضا من ذكرياته . عندما افتتح اول خط للترام النام مروره امام مقهى شعبي ، قام الجالسون لزعجا فلما منهم بان المركبة وحشر غامض . ولفترة تلت هذه الحادثة استمر رواد المقهى او اى مقهى يمر بها الترام يقومون حاملين مقاعدهم ويتوارون داخل المقاهي . في اليوم التالي دعى « راكب الترام الاول » الى لقاء محاضرة بمدرسة المنات الثانوية بشبرا ، اذلى على اسئلة الطليبات ، اقترح احد القراء تكريمه في حفل قومي يدعى اليه كبار المسؤولين ويهدى اليه درعا حديدا اسمه « درع الترام » غير ان النولة اخذت المبادرة ، اعلن عن انشاء وسام جديد ، وسام الترام ، حددت انواعه بثلاث طبقات :

• وسام الترام من الطبقة الاولى

• وسام الترام من الطبقة الثانية

• وسام الترام من الطبقة الثالثة

ويمثل شكل الوسام عربة ترام قديمة من النوع الذى استعمل لأول مرة في العاصمة . تشع منها أضواء جست بالفضة بينما جسم الترام نفسه من الذهب اما المصابيح الالمانية فمن الملس النقي ، ولا تختلف الطلقة الاولى عن الطبقتين الآخرين الا في نوعية المعدن المصنوع منه جسم الترام . تصاعد الاهتمام بالترام الى حد كبير فيما تلا ذلك من ايام . عقد العديد من الندوات لاهياء نور الترام التاريخي . أجرى عدد من الساسة القدامى اتصالات مكثفة لانشاء . الهيئة القومية العليا للترام ، والتي دعت اليها ذلك الراكب المجهول والذي اختلف تماما بعد ان ادلى بحديثه التليفزيوني . اعترض بعض الشباب على انفراد الساسة بالعمل واصدروا بيانا دعوا فيه الى ضرورة الاصغاء الى رأى المستقبل ، كما جرت مناقشات عديدة منظمة وتلقائية . وتمت الاخيرة في وسائل المواصلات ، خاصة القطارات التي تستغرق وقتا . ويعي المواطنون بعض الوجوه التي تقلصت ملامحها أثناء الحديث عن الترام . وقبضات الايدي المضمومة الملوحة في الهواء . والاصابع المتوترة المشدودة اذ تشير مهددة والاسنان التي تعض على الشفاة . وصرخات التعجب التي تتخلل الاحاديث . كتبت مقالات عديدة يتسائل اصحابها عن المقصود بالترام ؟ الا تدخل مركبات المترو الحديثة في نوعية الترام ؟ بل هذه المركبات التراموية الحديثة المستوردة من البلاد الشرقية . الا تمت بصلة الى جنس الترام ؟ والترولي بلس الى اي جنس ينتمي ؟

كلمات كثيرة حول هذه القضية . تليت من الإداعة ، والتليفزيون . وقيلت حول مواثد مستديرة وداخل حجرات مغلقة وفي اجتماعات عامة . وفي مرادفات منصوبة من القلم . وبدون المستمعون اليها لاف الملاحظات . بمختلف انواع الاقلام . وشرب قائلوها اكواب ماء كثيرة أثناء حديثهم وجربت الميكروفونات المستعملة مئات المرات بنقر الاصابع عليها او بنفخ الافواه فيها . كما قيلت عبارات مثل « سيداتي استلتي سلاتي » « مساء الخير ايها المستمعون الكرام »

الاف المرات ، كما استهلكت كميات لا حصر لها من الورق ، والنفقات ،  
والدماعيس التي نمت بها البعض ملاحظاتهم المرفقة بالنصوص  
الاصلية ، وازداد الامر عندما ادلى وزير الترمية والتعليم العالي  
والمقوسط بياناً اعلن فيه دخول الترام كمادة اساسية يشترط النجاح  
فيها للانتقال من مرحلة الى اخرى . حدد محتوى هذه المادة في رسالة  
اذاعتها وسائل الاعلام الى ابنائه الطلاب ، وتضمنت دراسة انواع  
الترام واشهر المصانع المتخصصة فيه ، ودراسة اجزائه ، وشبكات  
الكهرباء التي تقوم بتغذيته وخلال امتحانات النقل بالمسئلة الوسطى  
ورد سؤال في التعبير نصه كما يلي

« اكتب خمسة عشر سطراً حول الترام موضحاً به عدد العجلات  
بالمركبة الواحدة ومقدار المسافة الفاصلة بين العجلة والاخرى »  
واعلنت المكاتب الاساسية بالبلاد عن عزمها إرسال وفود متتالية من  
معلمي الهيئات الرياضية والشعبية الى مدينة شارلروا البلجيكية  
باعتبارها اكبر مدن العالم لصناعة الترامويات ، ول نفس الوقت  
امهات برقيات عديدة من سكان مختلف المدن مطالعين بادخال الترام .  
ودعا احد الكتاب في مجلة العلوم الثقافية الى تعجيد فكرة الترام .  
وقررت مصلحة صك النقود اصدار عملة تذكارية خاصة عليها صورة  
الترام ، اعلن رؤساء التحرير الثلاثة معارضته وطالبوا باصدار عملة  
دائمة للترام . وعد مدير مصلحة الصك بدراسة الفكرة وتأثيرها على  
النقد المتداول وحجمه . كما ظهر اعلان من هيئة الاسطوانات بحذر  
المقلدين من تزييف اسطوانات الترام والكسبت التي انتشرت في البلاد  
وتتضمن هذه التسجيلات اصواتاً مختلفة لاجراس الترام من مختلف  
الانواع ، واصوات احتكاك العجلات بالقضبان ، وصوت الفرامل لحظة  
ان تقبض على العجلات والصرير عند المنحنيات . وتضمن الاعلان عزم  
الهيئة على طبع اسطوانات صوت سريان الكهرباء في الاسلاك ، وهذا  
مالم يتم من قبل . وتقدم لحد المشتغلين بالسياسة للحصول على

ترخيص اصدار صحيفة اسمها ، الترام ، لقد نظمت ندوات واعلن انه  
سيجرى مجمع اللغة العربية عن اضافة لفظ ، الترام ، الى القاموس  
الفصح المعتمد ، وقامت بعض المصانع بصك ميداليات صغيرة تعلق  
الى الصدر او تتدلى من الأحزمة تعزل الترام في اوصاعه المختلفة ، وزعت  
هذه الميداليات على اعضاء الوفود الأجنبية التي بدلت في الوصول  
وتدلت من صدورهم ، كما اعلن عالم مصرولوجي اكتشاف رسم على  
جدران معبد فرعونى قديم يشبه الترام وتساءل ، هل عرف الفراعنة  
الترام ؟ وقل انه سيعقد اجتماعا يجيب فيه على ذلك ؟ غير ان  
المعارضين بدلوا التحرك ، وفي الفترة الأخيرة وقع منشور سرى من  
إحدى الجماعات التي تعمل تحت الأرض في ايدي رجال المباحث  
والتحرى ، دعا المنشور الى اليقظة والحذر ، وزع المنشور في بعض  
مركبات الترام ، وعقد مدير هيئة لجمع المعارضة مؤتمرا اذاع فيه نص  
المنشور ، واتهم بعض الدول الأجنبية واعترف بوجود معارضة  
للأهداف القومية المؤيدة للترام والتي عبرت عنها الجماهير تعبيرا لأهل  
العدو قبل الصديق . وقال ، ان تلك الأهداف تلقى تأييدا واسعا من  
شعبنا لدرجة ان كثيرا من الآباء انجبوا مواليد في الفترة الأخير ،  
واطلقوا على اسم واحد ، ترام .

---

# لا أحد فى وداع المسافر

---

## ١ - العادنة :

فى اليوم السابع لبدء العمل فى شد الونش الضخم حمولة مائة طن ،  
فى الرابعة وخمس دقائق ، واثناء محاولة تحريك مكعب خرسانى  
يستخدم فى حفظ ائزان القاعدة ، ارتجفت ظلال ، وتحذت زوايا ،  
وخلقت لوضاع ، علت صرخات وحملت العيون ، نصف جسد عمر  
راوى بدءا من الوجه العائم والعينين الملتويتين ، فالصدر ، ثم  
الخصر ، كان نصف جسده الاعلى قد انكمش فجأة ، ائزق لونه ،  
وتباعدت اليدان عن الجسد الى أقصى مدى ، بدا المكعب الخرسانى اكبر  
من حجمه الطبيعى ، انحنى مدير الموقع الشاب ، فوجيء بالعيدين  
المتسعيتين ونظراتهما المستسلمة ، كائنا مسكونتين بمعنى غامض يبدو  
احيانا لدى المسافرين الذين لم يودعهم احد . بعد الفزع الاول شعر  
مدير الموقع بضيق ، حادث غير لوانه ، كيف سيكتمل نصب الونش ؟  
عاد ينظر الى الوحة الذى تضاعلت ملامحه ، هل رأى رفة رمش ؟ حركة  
ما ؟ الا تزال به بقية من نبض ؟ ، قلم لحد العمل زاعقا ، السر الالهى  
لم يطلع



## ● المجلس الأول في محظلات الوصي للندوة . .

مسجد صغيرة ، رفع اليدين بالدعاء ، حضور فرح الولد ،  
يا اولياء الله الصالحين ادعوا في بالعيش حتى ارى الصحبة والزفة  
والضجة ، يد عبد الرسول تحت منديل ابيض ، منديل ابيض كبير  
فجر ايام الاجازات ، وقود الفرز ، يظن نفسه في احدى الخيام ، كشك  
خشبي ، فرحة وجوده في البيت ، فطير مقل  
ما اسم هذه المنطقة ؟ موقع العمل ، ما اسمه ؟ كلى بودى

اشوف عبد الرسول

بالى شهر على ميعاد اجازته . انا حسبت الايام ، سيصل بعد  
سفرك ميومين

كان نفسى اشوف عبد الرسول ، ياكل قلمى وانا بعيد  
سبورة ، تبرع لمجلس الاناء ، تصفيق ، رجل يجلباب يقول كل سنة  
وانت طيب  
لم يكتمل الونش .

## ٢ = الموضوع

اقرب طريق مرصوف يبعد سبعين كيلو مترا ، للوصول الى الموقع  
يجب الدخول في مدق صحراوي قديم مهدته اقدام غامرة ، ضيق ،  
متعرج ، يعلو ويخفض ، على جانبيه حفر وكثبان ، وهياكل عظمية  
لبشر ضلوا الطريق ، وجمال نفذ مخزونها فبركت الى الابد ، بعد ثلاثين  
كيلو مترا تتجدد الأرض ، توشك عجلات القيادة ان تفلت من ايدي  
امهر السائقين ، ثم يستوى ، لينتهى في هذا المكمل الفسيح المحذوف  
خارج العمار ، فوق مرتفع مجموعة اكشاك منتصبة فوق قوائم صغيرة  
من الخشب ، على ابعده مختلفة تتناثر صناديق كبيرة ، اجزاء الونش  
موزعة عليها ، لا يتم نقلها إلا بمعرفة ، راوى ، ، انه الوحيد في  
الشركة ، في البلد ، الذى يمكنه فك وتركيب وتشغيل الونش .



المهندسون الشبان يرقبونه خفية ويبدون لا مبالاة . سلفوا النمل .  
 والملاحظون ، والعمال يصغون اليه . تردد صوته هنا منذ سبعة أيام  
 منذ بدء تركيب الونش . وقبل ذلك تردد خلفنا عندما جاء يستطلع المكان  
 وانحنى فوق الأرض . تحسس الصلابة ، واختبر اللبونة . رفع عينيه  
 الى السماء وتشتم الجو كأنه يقيس سمك الفراغ ، ومقدار الرطوبة .  
 واتجاه الرياح ، كل ما سيحف او يمر او يلعب الونش راوى لم يبد  
 ضيقا من وحشة المكان ، وقال يبدو عابرون إنه ما من انسان اقام هنا .  
 وما من احد يخل الى هذا الهو وعاد معه سلفا ، والجمل اذا شرد فلا  
 يحول احدهم تتبعه . ولا يلتفتي لقاص الأثر خطاه عودته او العثور  
 عليه ميثوس منها . الأغوار سحيقة . والحشرات من كل جنس ولون ،  
 العقارب في حجم راحة اليد ، والقنطاط شرس من النمرور ، ودباب  
 لا يطلق لسعه ، في الليالي الأولى لم يغمض جفن لانسان . عدا راوى  
 الذى استسلم لنزول الليل . وتعمد فوق صندوق خشبي . احتوتهم  
 سماء لم يشهدوا مثيلا لها . غزيرة النجوم . مسكونة بالأطيفاف ظنوا  
 كل صوت وحشا يسعى ، وكل همسة حضرة تنوى الأذى . او قدوا  
 نارا ، واصفوا ، وفي الصباح قلوا له . المكان صعب يا عم راوى قل  
 إنه رأى ما هو أصعب . لكن نفس النسي لم سيكرش كل شر . ويبعد  
 أي اذى .

### المجلس الثالث

★ نصب الطابق الثاني القاعدة الصفراء . كان الرؤية تمر  
 بلهب اكسجين تنحنى القاعدة . او احتمل حركة الذراع على مهل ،  
 دقيقة ، تفرغ احشاء السفن ، رائحة البخار ، رغيف خبز سلفن وسمك  
 مرات الجلوس الى مائدة قليلة . الذراع . معجزة في الفراغ . تزيج  
 القضاء . .

★ . لا تبرى نفس . .

★ في هذه اللحظة تماما . لين عبد الرسول . الى يمينه ؟ الى  
 شماله .

★ يد تمسك بسيجارة شكرًا الا تدخس ؟ ، اى سيجارة مهداة  
لم يتريد امانها لكن تخرج عبد الرسول من الجامعة . عهد نفسى  
الا تعلقو اليد يد النسل آخر

★ . مكتب بريد . اول الشهر . كم يستغرق الخطاب من بورسعيد  
الى قبل ؟ من سيوة الى قبل ؟ من الطور الى قبل ؟ من سفاجه الى قبل ؟  
من الدلتا الى كم زمن الحواله ؟

★ هان عليه . الونش لم يكتمل . لا يقرر على دفع المكسب  
الا هو ، خلا بى .

★ زعيق . هيل . هيلاء نمتوا اقدامهم فى الارض ، نفروا العروق .  
بذلوا العرق . جعير . تضعف . تهن . حد يعرف فيه كل انسان  
لا لغادة

★ منديل لبيض حواف بيضاء القلب السماء البعيدة  
ونجم بعيد منمها كضى الجبين

## ٢ = بعض من ماضى متذكر . .

فى اواخر الاربعينات جاء خواجه انجليزى مع الونش الذى لا منيل  
له فى البلاد . تولى فكه وتركيبه واخر كل شهر يقبض جنيهات  
انجليزية . عمل راوى معه . راوى قليل الكلام . يتحمل المشقة  
والاسية . ما لم يعلمه الخواجه انه يلحق بسرعة . وعندما حدث  
ما لا بد منه وسافر بدون رجعة . حار المسئولون . بدا الونش كومة  
حديد . لم يمر احدى جزء يلائم الآخر ؟ تفاصيل الصيانة والتشغيل .  
من الضرورى مجيء خواجه لخر . لكن راوى اكته فعله . انه يعرف  
الونش كراحة يده . يرصد الخلل من صوت الازيز . طلب الفرصة .  
ومنذ هذه الايام لم ينفارق الونش . عمل عند اطراف القناة . فى دمياط .  
فى الواحات . قضى ستة شهور فى البحر الاحمر حيث الخير عند الاقدام .  
السكك يسبح قريبا من الشاطئ اما لا تقطاع رجل ننى ادم . فقط يمد

اليد ويخرج بها يشاء من الدفيس والمرجلان ثم تفوح رائحة الشواء  
 خطا فوق الشعاب المرجانية . عد مائة خطوة . ثم عشرين الى اليسار .  
 ثم عشرين الى اليمين . ورمى الضحك فخرجت بكل طيب في الليل ينظر  
 الى النجوم محاولا رؤية النجم الذي تحدث عنه المعمرون من اهالي  
 الناحية . يمر كل سبعين سنة . شاهق الضوء . ظهوره ينفيء بامور  
 جلييلة . سافر في الصحراء واصفى الى اصوات الخلاء الغربية . راي  
 مالم تدونه الخرائط . وكباشا في حجم الثيران . ومقابر بها تصلوير  
 ورم كاشها دفنت بالامس . تناقلت الشركة اخيار الوئش . اذا غلب  
 رئيسها فترة فاوّل سؤال يوجهه الى مستقليه اين الوئش ؟ لو  
 اين راوي ؟ وعندما يقل له إنه في مكان بعينه يبدى السرور . لان هذا  
 يعني انحار عملية ضخمة . لم يخلط راوي قلب المكن او القرى انما  
 بقي عند اطرافها . اعتبر انفس السبحارة محرمة عليه الا اذا جاءت  
 هبة . امراته وابنه اولي بكل ملهم . لم يجلس معقهي الا مدعوا . في  
 طعام الشركة الكفافية . وفي قرص الاسبرين شفاء للاوجاع التي تلم به  
 من حين الى حين . يؤرخ عمر عبد الرسول واطوار حياته بمواقع العمل  
 التي رحل اليها . عندما نزل اجازة ثلاثة ايام من بور سعيد كان  
 عبد الرسول حنة لحمه حمراء . لا ينقلب . لا يتحرك من رفقته . يبكي  
 اذا جاع . او انه اللال . وفي الاجازة التالية طلبت منه ان يصل على  
 النبي قبل ان يسمع حرفا مما ستقوله لان المال لا يحسده إلا أصحابه .  
 لقد استطاع عبد الرسول ان ينقلب على جانبه الايمن . ثم شب براسه .  
 ان تركه بمفرده غير مامون . لابد ان تقبل عيها عليه باستمرار . عندما  
 نزل من أسبوط في اجازة جاء عبد الرسول بكراسة . فتح صفحاتها .  
 اشار الى النجمة الحمراء التي رسمها المدرس علامة على ذكائه . ضعه الى  
 صدره . وتذكره عندما كان يخشى الاقتراب منه فتضربه امه على اطراف  
 اصابعه . او تضمه الى صدرها . وتقول له . هذا انوك . جاب لك  
 حاجات حلوة . وهنوم كانت في غيبته تقول له إن اياه هو الذي ارسل  
 هذا الطعام . وتلك الفكهة في الاجازة التي فارق لسوان خلالها . كان

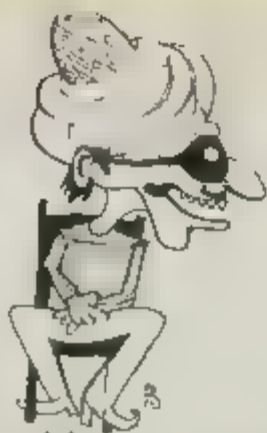
عدد الرسول في رحلة مع فريق الكشف ، وعندما التحق بالجامعة ورحل  
 الى مصر بعد ان اقسام لاه على المصحف ان يصون نفسه من شرور  
 مصر ، ومئات مصر ، انقضت سنة كاملة لم يره فيها ، حتى انه تخرج  
 من الجامعة ورحل الى أوروبا لمدة شهرين ولم يلتق به حتى مجيئه الى  
 هذه المنطقة المظلمة ، بعد لحظات من تمده فوق الكنية في آخر مرة  
 قالت إن الولد ابن حلال ، ويقوم بالقواجب لانه تربى من عرق حلال .  
 امسكت بحالة بريدية قيمتها عشرة جنيهات ، ارسلها عبد الرسول من  
 مصر ، هس الحمد لله الحمد ، على امتداد سبعة وعشرين عاما  
 لم يحلف ميعاده يوما . كان يقبض مرتبة قبل الحكومة بأسبوع ، هذا  
 من فضائل الشركة ، يقطع أى مسافة ليصل الى مكتب البريد ، وبحول  
 المبلغ كاملا فيما عدا جنيها ونصفا يستبقه لنفسه ، أول ما يهه  
 معرفته عند وصوله الى أى موقع مكان القرب مكتب بريد ، دارت الايام  
 وابنه يرسل الى البيت ، والله ما في داعي ، قالت إنها ستشتري مفرشا  
 جديدا للكنية وكليما للحجرة ، ربما جاء مع بعض أصحابه فيجد  
 ما يستره ، نظر اليها وتذكر حديثها لثناء خلواتهما الليلية ، لم يرها في  
 اجازاته إلا راضية ، لا تثقل عليه بهم ، رعت البيت وعبد الرسول ،  
 صاعته من اذى الدنيا ، حكى لها عما رآه في أرض الله الواسعة ، الرمال  
 التي لم تطوها قدم ، والأرض الحراب التي يذب اليها العمار مع مجيء  
 الوبس ، والقرع ، والموانئ التي ترسو فيها سفن كالبلاد حجما ،  
 وكثافة النخيل كلما لوغل جنوبا ، وصغير القطرات المسموع في عمق  
 الصحارى ، وما يثيره من رغبة لرؤية الأهل والأحباب ، وتدعو الله ان  
 يصونه ، ولن يقيه شر طريقه ، وتذكره بقسمه امام عبد الرسول  
 الا يركب عربات النقل ليوفر لجور القطرات ، تروح النفوس في ستين  
 داهية ، لكن سلامته أهم تدعوه ان يجيبه لولاد الحرام ، وما تحمله  
 النفوس ، وتبطنه الضمائر ، وان يجد في كل خطوة سلامة

## ● المجلس الثالث ..

★ ألم ثاقب بغرى الصبر ، الاحذار فى فراغ عتيم ، يروح كل شيء ، صفاء نادر ، ذاكرة من المللور ، يعد أحد المهندسين يده بسيجارة ، أى وجه ، ما اسمه ؟ ترتفع اليد شكره إلا تدخن يا عم راوى ؟ كان يقبل أى سيجارة تهدي إليه لكن بعد تخرج الولد والله لمن أمد يدي لأى انسان

★ حوالة ، كم سيستغرق الخطاب وتحويل النقود من مور سعيد الى قبلى ، كم من سفاجة الى قبلى ؟ لم يكتمل الوض ، خلايه ، والوحيد المقدر على رفع الحجر الذى العى النصف الأسفل ، قنای السماء ، وكان عبد الرسول لم يتم عاما ، ملامح الوجه التى حلول كثيرا تذكرها ، واضحة جلية ، لثافة حلوى ، الولد يتوارى خلف أمه ، اطل براسه ، غزاء ألم ، لكن أمه قالت الولد صغير وانت لا تقعد معاه فى الليل يمسك عبد الرسول المصحف يفتح على سورة يس ، أحلف الا تتركب عربات النقل على الطرق الزراعية ، حوائثها كثيرة يلماها ، وجهه حاد ، القسم ، غمرته حنية ، رق قلعه ، وغمره نائر ، فى الدنيا من يخاف عليه ، فى الدنيا من يعول همه نفس اشوف عبد الرسول سافر

ابن أمه الآن ؟ عصارى الانقراض ، وجيف القلب دخول الغريب راوى حرى له كبدي عليه يزق مهندس الموقع يعنى لا فائدة ؟ رحل يقفون على محطات السفر ، يزحمون الارصفة ، حقلاب فوق لوف ، الكسارى ظهر ، جنود متعبون ، إعتلوا سطح القطار ، الوداع فى المطار ، لو ودعه وجوه تحلق ، لم يودعها أحد ، لو لم تسمح الدنيا ، تعطى عندما تأخذ الونش لم يكتمل لماذا لم يلتق صدفة يوما بعيد الرسول ؟ ؟



# كشف

## الثام

### عن أخبار ابن سلام

يا رب يا سائر المؤمنين من العيوب يا كاشف  
العيوب يا من أرشدت قوما من دون الخلق اليك ثم  
وفقتهم للاعتماد في كل امر عليك اللهم صل وسلم على  
نبيك سيد البشر كاشف الحقيقة وحامي الصديق  
العالم فوق المحور الغريبة وبعد ، اعلم اني  
سمرت هذه السطور لا لشيء إلا ابتغاء مرضاة  
ربي وكشفا لحقيقة إنسان عرفت أخباره عن قرب  
قاسى ما لم يقاسه الأولون وذاق ما وهجلا لم يذقه  
الآخرون وفي إيماننا تضاربت حوله التواريخ فتمة  
من لا يمسب إليه سوى الفعل وآخر يحمل سيرته  
بما لم يجر ولم يحدث وزعم آخرون انه وهم لم يوجد  
ومن يعلم ؟ ربما جاء في قادم العصور من يرغب في  
معرفة طرف من أخباره . فيكون حديثي هذا هاديا  
ومرشدا



## ذكر أصله ونسبه :

هو الفقير إلى ربه ، يوسف بن إبراهيم بن سلام ، لا يعرف أبعد من جده الثالث ، وإذا سألته لأجب . أنا يوسف أبي إبراهيم وجدى سلام ، وكنتى ابن سلام ، فلا تغلبنى إلا بهذا ، كما أنه لم يقل لأحد متى ولد بالضبط ولا أين ، يقول أنه سمع أمه تقرر تاريخ مولده بمجيء الوباء العظيم الذى مات فيه أبوه ، غير أنه كان بطرق ثم يقول ، لكن أى السفين لم تخل من الوباء ، وإشباع عسكر العثمانية بين العامة أنه غريب عن بر مصر . قالوا أنه يطعم فى ثروات الجراكسة ، بل إن السبب فى مروره بالطرقات متوقفا بين لحظة وأخرى . زاعقا بأعلى صوته عما جرى فى النهار من جند بن عثمان إنه كان يقبم فى عشة قديمة على باب حارة نرب الرصاص . وعندما شرع العسكر لازالة ابواب الحارات قوضوا عشته

ابن سلام بلا ماوى ، فسخط وطفش فى الطرقات ويكررون أنه ليس من أهل مصر . وإلا فإين كان وقت خروج التجاريد ؟ وإلا فإين كان وقت أن علق طومانبأى على باب زويلة . وإلا فإين للموام الذين يمشون دائما وراءه . يرددون ما يقوله يحيطون به إذ ينام . فلا لم يمت إذا كان يبكي ما جرى ، لا يقوم لا تصدقوه فهو دجل .

## هائشة :

أخبرنى من أثق به . إن بعض السوقه دفعوا عنه خطر العثمانية عندما حاولوا خطفه . وراح ابن سلام يطلق صوته الغريب الذى لا هو زعيق ولا صراخ ولا حتى بين وبين ، تراجعوا من حوله واستعدوا فى كبكة الزرد والسلاح لا يحروون على الاقتراب منه . وأطلق العامة صيحات التكبير والتنهيل



## فصل فيها جرى له عند دخول العثمانية :

عندما ثلثت لفتة ابن عثمان وجاءت الرسل من الشام بما جرى لم يعد الرجال يفلقون لبوابهم في حارة نرب الرصاص كما أن ابن سلام لم يعد يفلق بوابتها بعد المعيب كل من أهل الحارة أمام بيته يخشون ما يجرى فالأخبار مقطوعة والقول الذي يبدو مؤكدا في الصباح ، يصير مكتوما في المساء كل هذا والناس في كرشة عظيمة وابن سلام لا يأتى إلى عشته أبدا وفي هذه الليلة التى جاء فيها رجل نكد يجلده من الشرقية وراح يحكى ما جرى ، واقترب منه ابن سلام وبدا أن ظهره الهرم قد ازداد احمرارا ابن عثمان يعطى الأمان ويدخل بلبس رجاله يطيحون السيف في أهلها حتى قيل أنه قتل فوق العشرة آلاف إنسان من عربى وجند وفلاحين ، صارت جثثهم مرمية في الطرقات أما الأحياء منهم فخطفهم العثمانية وباعوهم بأبىخث الأمان ، حتى أن المكربيعت بثلاثة دراهم هنا زعق ابن سلام متسائلا عن الثمن الذى بيعت به البكر ؟ ثم سأل عن عبد القتل واضاف الرجل أن سائر المالد التى مر بها ابن عثمان كانت تخلو من سكانها ، حتى أنك لتدخل القرية وتنادى فلا يصادك إنسان تحسر الرجال واستعاد ابن سلام بربه سمعه الرجال يقول والله لم يجر هذا لمصر من قديم الزمان ، إلا زمن المختنصر البابل ، واصفوا وكان عليهم الطيرة ، ماذا يقول عجوز الحارة ؟ ومن هو المختنصر البابل ؟ لم يكرر قوله راحت أسئلة الناس كحجارة رموها في بئر بلا قرار بل أدركوا أنها المرة الأولى التى يسمعون فيها العجوز طوال سدين لم يفارق عشته لم يدخل بيتا ولم يعبر حتى أسوار المدينة منذ هذه الليلة لاحظوا أنه يخرج كل نهار رؤى في أطراف القاهرة وعند صحراء الرملة . وقال آخرون والله أعلم أنهم شاهدوه في ميدان الريدانية مل أن هناك من أقسم أنه رآه عند سبيل علان ، يسقى الجند ويحمل معهم الأتربة . . . وفي اليوم السابق لدخول الخنكر مدينة القاهرة رجع إلى عشته مخمورا مقهورا ممزق الثياب ، بلرز العظام حتى ظن من رآه

ان الصغار رموه بالحجارة اما الحارة فنزل فوقها الخراب وزع  
 الاغنياء من اهلها ذمهم وغضتهم وقمضتهم على الامكن المجهولة ولجا  
 من يخلف على نفسه وعلى حريمه وعياله الى المزارات البعيدة وفساقى  
 الموتى وإن لم ينفع هذا فيما بعد وبدا لمن تبقوا انهم يرون  
 ابن سلام اول مرة في حياتهم عيناه اللتان دببت فيهما الحياة . زعيقة  
 في جوف الليل يا رب وتنبهوا الى انه لا ينلم ابدا حتى حلوا فيما  
 جرى له وما اصبغ عليه وفي الصباح سالوا عنه وجدوا عشته  
 خالية . تذكر البعض انهم راوه يصلي الفجر في المسجد القريب وطلع  
 النهار وزانت الرجل في الطرقات ولحاة علا صراخ الموقعة وكلفت  
 الكعبة . وهول الزال والقتل والطعن ورجفة الارض اذ تنطلق  
 المكحل الكبار بالبرود واتعد العبار سحابت قتيمة في سماء المدينة  
 وبنت البيوت يتيمة والدككين مرعوشة تنادي الامان  
 الامان والحواري كالمسكين في المحاعة كل هذا والشاء يعمل  
 عمله ونظر الاماني من خلف الطيقات المغلقة والعصر يرمى في  
 الشوارع وحشة وخنقة واغرق النفوس الم وخمدة هاهم جند الخنكار  
 يطلقون البندق الرصاص في الهواء بصرخون كالمهائم ممج  
 بلا نظام هاهم يتوقفون يلحون البيوت . حجتهم المحدث عن الممالك  
 الجراكسة وعلاصراخ الحريم والام العيال . واستمر النهب والقتل  
 عمالا حتى بعد مجيء الغروب . والشمس ليس لها من اثر والمتأذون  
 في الطرقات . ادعوا بالتصبر للخنكار سليم بن عثمان . لا بخيء احد  
 منكم حركسيا وإلا . ومن نلحية سميل علان وفوق قاطر السماع  
 حيل للناس انهم يسمعون صوتا يقول كلاما لخر عجوز محنى الظهر  
 يبدو في حمرة المغييب يتكئ على فرع شجرة . يعشى بسرعة كانه  
 يجري . هزيل لا يمين . راح الصالح بلطاح ولعب السيف في رقاب  
 الاثرياء طرش العثمانية من اهل مصر في يوم واحد الف الف  
 انسان الجثث مرمية تمهشها الغربان لا تجد من يدفنها  
 ابدان بلا رؤوس ورؤوس بلا ابدان يا حي يا قيوم يا من لك الدوام

راح الصالح بالطلح . قيل ان الصوت سمع في الباطنية بل ان  
 اهالي الجوانبة استطاعوا تفسير ما قاله الصوت واهى مسافة تفصل  
 المكائين عن بعضهما وجاهروا فيمن يكون ومن يجزئ على التجوال  
 والزعيق وسط هذا الضجيج والعجيج قالوا انه مجذوب وقيل انه  
 رجل قتل ولده في الموقعة . وذكر آخرون انه اسلم فاض به الحزن لهول  
 ما رأى واقسم ثلاثة من كانوا يختبئون في فساقي الموتى قرب ضريح  
 الاسم الشافعي ما هو إلا عجوز معروف لاهالي قصر الشوق عامة  
 وسلكني درب الرصاص خاصة . انه معروف لدينا من صغرنا تراه  
 الشيخ العابد الزاهد ابن سلام . واكد شاب انه اصطدم به أثناء  
 جريه فرعا إمتابت جسمه عندئذ رعشة واقسم بقربة ابيه انه رأى  
 فم ابن سلام خاليا تماما من الاسنان فراغ مظلم يقطرد ما غير ان اهالي  
 الدرب كذبوا ما سمعوه . صحيح ابن سلام عجوز لكن اسنانه سليمة .  
 وقال آخرون ان فمه لم يكن به اسنان غير انهم تعجبوا كيف يتناقشون  
 والموت يمشى على اقدامه في الطرقات . لا يامن احد على روحه . الحرائق  
 تشتعل في عدة امكن . غير انهم فجأة سمعوا صوتا واضحا اثار  
 الرعشة لى قلوبهم . اخذهم حتى كانوا يبكون . لا عجب فالناس في اسي  
 وهم عظيم وجرحهم طوى مفتوح لا يزال ينزف الصوت متوحش  
 وغريب . ضاع الامان وراح من راح هتكوا عرض عشر نساء في  
 جامع المؤيد . وقتلوا بلع خيار عند باب النصر . اكلوا خياره القتل  
 والهب عمل راح من راح اطلوا من الطيقى التي غلفت من وقت  
 بعيد . صاحب الصوت مضى سمع من يريد ما قاله سألوا  
 بعضهم . فاكذ رجل رأى المنكدي بعينه هو بعينه . زاهدا  
 وفقيرنا . . . !

### ذكر أخبار شهره :

اعلم غفر الله لك ان ابن سلام لم يقرض الشعر طوال عمره او هكذا  
 قيل حتى وقعت الشدة العظمى وحدثت الكثرة وعت القلعة

وصل جدد ابن عظمى وجلالوا وهشوا على تاس مصر وما راعوا  
لجوامعها ولا لزوعها ولا لخصائها حرمة . ونهبوا بكتكينها وقصورها  
وما لبثوا إلا الحيران .

يذكر الناس . أن ابن سلام بدا عندئذ يقول الشعر . وقد اشاع  
العثمانية أن الجراكسة كانوا ينظمون له هذا الشعر ليقوله في  
الطرق . لكن أخبرني من أثق به أن ابن سلام هو الذي قرض كل  
ما قاله من شعر . ثم أن شعره الذي إنكى الناس وأجرى الدمع أنهارا  
من العيون . لم يتبق منه شيء . ولو كان واحد من الخلق كتبه لبقى  
منه بعض ما كنا نود أن نورد هنا يقول القاضي بدر الدين بن زيمون  
- نفعا الله به أمين - إن إلقاء ابن سلام لاحدى قصائده إستغرق مرة  
وقتا ينحصر بين أذان العصر ونزول صفرة المغيب وهذا من غرائب  
الزمان

### فصل فيما كان يفعله ويقول

إفتتح ابن سلام الطريق الكبير القريب من السوق يحيط به من  
إعتادوا المشى وراءه . وتسأل التجار والناس والعيال عما ينويه  
ابن سلام . ولحق البيوت نجمت الغيوم الثقيل ولا عجب فقد  
أمطرت السماء طوال ثلاثة أيام . ولم يكف الرعد في الليل لو النهار كذا  
البرق . حتى لوحلت الأرض وصر المشى صعبا . ويقسم من كانوا على  
مقربة من ابن سلام أنه لم يرتجف من البرد أبدا . كما أن ثيابه لم تنلها  
نقطة ماء . وفجأة وقبل الظهر . علا بق الكوسات والطليخانات وزعق  
النفر من بعيد . ومدا من نهاية الطريق متولى حسية القاهرة قدما من  
تاحية الرملة حيث القلعة . يمشى أمامه الساعة . له هبة ومهابة تكاد  
تحلكى هبة الملوك

قام ابن سلام زاعقا متوسطا الطريق يا حى يا قيوم . وتردد  
الجميع مقدار درجة في الإحاطة به . غير أنهم قد احاطوا به . واطل  
الأهل من الطبقتين . ويطل النداء على سائر أنواع البضاعة . كفت  
الطبول . سكنت الكوسات .

زَعَقَ ابْنُ سَلامَ رَعَقَةً عَظِيمَةً . أَقُولُ قَدْ عَلِمْتِ ذَلِكَ نَفْسِي ، إِنْ قَلَبَ  
الوَاقِفَ عَلَى مَعْدِ الْفِ مَقَرَّمَنهُ لَا يَدُ لَهُ أَنْ ارْتَجِفَ هَوْلًا وَرَهَةً . تَقَدَّمَ مِنْ  
حَصْبَانِ الْمُحْتَسِبِ ، انْزَلَ يَا زَيْنِي مِنْ فَوْقِ مَرْجِكِ وَكَلِمَتِي . وَعَلَى مَهْلِ نَزْلِ  
الزَيْنِيِّ يَتَعَثَّرُ فِي قُطْعَانِهِ الْحَرِيرِ وَجَنَّتِهِ ، صَاحَ عَلَيْهِ ابْنُ سَلامَ . ظَلَمْتَ  
الْعِبَادَ وَفَرَضْتَ مِنَ الصَّرَائِبِ مَا لَا يَطِيقُونَ ، شَرِبْتَ الْعَيْلَ ، وَزِدْتَ عِدَدَ  
الْأَرَامِلِ

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ تَصْلِيحُ الْوَاقِفُونَ وَرَاءَ ابْنِ سَلامَ ، وَمُعْظَمُهُمْ  
فَلَاحُونَ حَامِعُوا مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ مَعْدُ لَنْ سَمِعُوا بِهِ ، وَالْآخَرُونَ حَفَلَتْ  
بِهِمُ الْمَصَائِبُ فَزَمُوا جَانِبَهُ ، وَاطَّرَقَ الزَيْنِيُّ بِرَأْسِهِ . يَا زَيْنِي أَلَمْ تَكُنْ  
أَنْتَ الرَّجُلَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَ السُّلْطَانِ الشَّهِيدَ قَنْصُوهَ الْغُورِيِّ ، وَكُنْتَ تَقْبَلُ  
يَدَهُ وَمُطَرَفَ جَبَتِهِ فِي الْيَوْمِ مَرَاتٍ ، مَا الَّذِي جَرَى يَا عَالِمُ مَا الَّذِي  
فَعَلْتَهُ ، وَقُمْتَ بِهِ حَتَّى تَرَكَ الْيَوْمَ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّبَ لِابْنِ عُثْمَانَ ؟ أَلَمْ تَدْعُ  
أَنْتَ عَلَى الْخُنْكَارِ قَبْلَ خُرُوجِ الْغُورِيِّ إِلَى الشَّامِ ؟ أَلَمْ تُشْرِفْ عَلَى جَمْعِ  
النُّقُودِ وَالضَّرَائِبِ ؟ وَيَا لَيْتَكَ الْيَوْمَ نَصِيرَ لَاهُكَ عِنْدَ الْعُثْمَانِيَّةِ  
هَذَا أَنْتَ مُسْتَمِرٌّ فِي فِرَاضِ الْمَكُوسِ وَتَرِينَا مِنَ الْمَطَالِمِ أَنْوَاعًا وَأَنْوَاعًا أَتَيْلُ  
أَنْ الرِّبِّيَّ صَارَ يَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ مَذْعُورًا . إِنْ تَلَبَّثْتَ رَجُلَةً رُبَّمَا سَمِعَ  
الْكَلَامَ مِنْ يَنْقَلِبُ فِي النَّوْ إِلَى مَلِكِ الْأَمْرَاءِ ، يَا خَرَابَ دِيَارِهِ لَنْ يَمُضِيَ  
الْمَغْرِبُ إِلَّا وَيَشْكُ فِي الزَّنَاجِيرِ وَيَعْدِمُ الْيَوْمَ التَّالِي . يَشْكُ مِنْ ضُلُوعِهِ  
كَالْبَلَدِ الْجَانِ كُلِّ هَذَا وَابْنُ سَلامَ لَا يَكْفُ وَلَا يَهْدَا . أَنْتَ كُنْتَ مَعَهُمْ  
عِنْدَمَا هَجَمُوا أَمْسَ عَلَى سَكَنِ الْحَزِيرَةِ الْوَسْطَى ، طَفَشُوا فِي بَيْتِهِمْ  
وَرَمَوْا عَفْشَهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ وَضَرَبُوهُمْ حَتَّى انْقَطَعَ حَسَبُهُمْ كُلُّ هَذَا وَأَنْتَ  
مَعَهُمْ لَا تَقُولُ اسْكُتُوا وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ الْأَذَى . كُلُّ هَؤُلَاءِ شَاهِدُونَ  
وَسَمِعُونَ وَاسْتَفْهَلُوا بِكَ . لَكُنْكَ لَمْ تَأْبَهُ لَهُمْ وَبِهِمْ يَا كَاظِمُ .  
يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنْ تَفَرَّتْ عُرُوقُهُ وَكَذَلِكَ الدَّمُ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ . أَمَّا  
النَّاسُ خَلْفَهُ فَنَصَارُوا يَصْرُخُونَ وَيَسْتَغِيثُونَ

وَفَجْأَةً مَدَّ ابْنُ سَلامَ يَدَهُ وَجَذَبَ الزَيْنِيَّ بِرُكْلَتِ بْنِ مُوسَى مِنْ لَحْيَتِهِ  
وَوَخَّلَعَ عِمَامَتَهُ ، وَرَمَاهَا فِي الْوَحْلِ . وَبِهِدْلَهُ أَخْرَبَهُدْلَهُ . وَهَذَا لَمْ يَتَّفَقْ فِي  
قَدِيمِ الزَّمَانِ أَوْ حَدِيثِهِ أَنْ نَاسِكًا أَوْ غَيْرَ نَاسِكٍ مَرَمَغَ هَيْبَةٍ رَجُلٍ دَيَّا

سطوة وجبروت خالصة كالزيتى بركات بن موسى ، فقد ظل دجمه يلمع  
وسعده يطلع في زمن الفوري وزمن الحنكر . مما حير العقول وأربك  
الآليات . وقيل إن الزيتى وعد ابن سلام أن يكلم ملك الأمراء في أمر هذا  
الخراب . غير أن ابن سلام لم يصغ إليه

وتزايد عدد العامة فحاة حتى أنك لو نثرت برات الملح فوقهم لما  
بلغت ذرة واحدة ، ولرعدت السماء فجأة رعدا مهولا حتى رجفت قلوب  
النفس بما فيهم عسكر العثمانية الذين تجمعوا عن قرب ، وتهاس  
العامة وسائر أهل مصر ، إن الماري عز وجل غاضب على ما نزل  
بعداد

إنتابت القلوب رجفة ورهبة . ورفع ابن سلام عصاه ممسكا بها من  
منتصفها زعق نالها على من مات معددا من رهم فقتلوا منذ دخول  
العثمانية ، رائيا أهل مصر الذين انتزعوهم من وسط عيالهم وأرسلوهم  
إلى بلاد الحنكر ، حتى حدائق الفرجة التي خربت ، وإيوانات الجوامع  
الجميلة التي نهبت عواميدها وأحجارها

وعندما استرسل كاد القوم يشقون ثيابهم ، كبروا وهللا ، وانطلقت  
فيهم جمره نار مهولة تقيد لا تنطفئ . صكوا الزيتى ورجاله بالمقارع ،  
وبرغم زيادة الهول وشدة الضجيج ، فقد سمع جميع أهل المدينة صوت  
ابن سلام نقيقا كالرثيق ، صاخيا كالبلور برغم تقدم العمر ، زيادة لهم .  
وشدة الضيق . والكرب

### ذكر أخباره الأخيرة وكيف انتهى أمره :

طلب المشاعلية ثلاثة أيام راكبين وراجلين ينادون بأن الكذب  
الذيهم مدعى الرهد والعبادة . سوف يندق رأسه بالطرع عند باب زويلة  
ظهر يوم الجمعة ولمدة ثلاثة أيام علا النواح من البيوت وبرغم أن  
الوالي قد حرم النعس بالنق على الطلوات ، غير أن النساء تحت ستر  
الليل رحن يقمن ويصربن الطلوات حتى الفجر . لدرجة أن المدينة  
ياخذها الهول حتى ليشيب من حلقها الرضيع ولم يحروا تركي واحد

ان يامر بالنهي عن هذا ، وقيل ان الجنود الذين امسكوا ابن سلام  
وضربوه ، قد ابتاعهم الندم ، لان النساك لا يقربون ، فرموا انفسهم من  
فوق سور القلعة ، وراح خفاف الحقول من العامة يقولون ان ابن سلام  
هارب هائم على وجهه في الجبال ، وان الله سبحانه وتعالى سيمنه بجند  
من عنده ، وانهم لم يمسكوه هو بعينه .

لكن جاء ظهر الجمعة حيث خلت الحوامع من مصليها ، وخرجت  
النساء حاسرات ، اما موافد جامع المؤيد شيخ ، فقد تعلق الخلق بها  
ليزقوا البوابة الكثيبة وما يجرى عندها . وعند ظهور الحمار المربوط  
اليه العجور ، سرت هممة دين الجمع خرس فجأة ، النسوة لم يطلقن  
زاهرا مرتفعا ، ومزل الحراب والموت حتى لمحسه فوق البيوت ، وتكاد  
تخل ماذبتي المؤيد فوق زويلة تميلا حزنا وقهرا ، وحلف ابن سلام  
سحبوا جمعا يبلغ العشرين ، قيل انهم الذين نهبت بيوتهم في الجزيرة  
الوسطى ، وشكوا الى ابن سلام حالهم ، وكان ما كان .

طلع ابن سلام فوق المصطبة راسه مخلوق تماما ، جسمه عار  
إلا من ربط قديم يحيط نصفه الأسفل . حال بعينه في الجمع الذي  
احتشد وسكن صاح فجأة اقلوا الفاتحة ، اهتزت الشفاة وترقق  
الدمع حلف المأفى ، وقيل انه التفت الى المشاعل وقال : عمل شغلك  
وجلس القرفصاء . بينما رفع المشاعل الطير الثقيل واهوى به فوق  
عظام الراس الذي انخسف ، وبدا كومة غريبة في حجم قبضة اليد فوق  
الرقبة . انتفض الجسم الى أعلى ، وقيل ظل والفا مقدار درجت وبسرعة  
هوى الطير مرة ثانية ورعى الواقفون جميعا زعقة هائلة وكثر  
التحسر والاسى ، وقيل ان احجار البوابة رمت دما ولا تزال ، وعاطت  
النساء عياطا مهولا ، إرتجت له القاهرة وظل جسده معلقا فوق بوابة  
زويلة ثلاثة ليام





# دمعة الباكى

## على طيفنا منتصف الشاكى

سبحانك يا من أنزلت الكتاب المبين على  
 نبينا أشرف المرسلين . وقصصت عليه أخبار  
 المتقدمين والمتأخرين . نحمدك أن جعلتنا من  
 أمك ، وحشرتنا في زمرك . ولك نستعين . لقد  
 شغلنى امر هذا الرجل الغريب . المعروف بين  
 الحاضر والعائب بطيفنا . فصررت استقصى  
 لحواله . وأحاول أن أتلو أخباره حتى واقع  
 بين يدي من مختلفات السلف هذه البذ  
 والشتات . للفقر إلى ربه ( ابن الحداد )  
 والتي عنوانها ( دمة البكى على طيفنا  
 منتصف الشاكى ) وقد فرحت بها فرحا عظيما .  
 لأنها تكشف بعض ماغص وطواه الزمن قلت  
 فلانسخها وأريها للأصحاب . ربما تلقا من  
 هذا بعض الثواب . والحمد لله رب  
 العالمين . .

( اقول وكان هذا يجرى امام عيني الآن . ان الليل كان شنيعا مهولا  
معتما . حتى اليوم فارق العسكر . صاروا يزعمون . الله اكبر . الله  
اكبر . اما الجليد فالتقطن المنتوف تشبه . وإلى ريم الصابون اقرب .  
يعزل من السماء ويطلع من الأرض فيكاد يعرق حيلنا واحملنا . انقضى  
وقت طويل على حصار مولانا سلطان المسلمين لآخر قلاع الفرنجة في بلاد  
الشام صار كل منا يقول . لما فك الحصار فالجند متعبون .  
او الاندفاع . سرى الهمس بان تبشير وباء بدات . إن لم نتداركه  
فسيرمينا لقمة هينة ساعة امام الكفرة قرب الصباح . النهار قريب .  
وارتجت الأرض رجا عظيما . واضاعت الوادي بدران النقوط التي  
سلطت على اسوار القلعة . احدنا . لم نعرف . اهجمنا ام هوجمنا .  
صرنا نحن المشايخ نقرأ الاوراد والادكر نطلب الرحمة من رب العالمين .  
سهلت الخيول . اجفلت الارواح في الابدان . سرى الخبر بيننا كالنار في  
عيان اليوص . اندفع صفوة من فرسان الاسلام الى القلعة للمغازاة في  
الفرنجة الكفار وإنهاء الحصار . قيل من امامهم ؟ جامعا الجواب .  
الامير . طييفا بق سنقر . اول مرة اسمع فيها الاسم . لم ينقص الكثير  
حتى تدافع العسكر من ثغرة كبيرة إلى داخل القلعة اقول وقد عاينت  
هذا بنفسى . إن الجنود الذين مال منهم التعب وبدا فيهم الوباء .  
رايتهم في لحظة ابدفاعهم . ادكر هذا طوال عمرى . فالسما ساعاتها  
محملة بغيوم ثقال لها عيون وادان . كل التعب ضاع وزاح . رفع  
الفرنجة الاعلام يطلبون الامن . دخل سلطاننا المنية يعرج عرجا  
خفيفا . فلحدى ساقية القصر من الاخرى وخلفه حملة المصالحف .  
يصيحون . مكبرين مهللين . غير انه قبل جلوسه على حجر لو دخوله  
إلى مكان . نادى من حوله . امرهم بلحضر فارس الاسلام الامير . طييفا  
لق سنقر . من اينال .



عائق سلطاننا الامير طييفا وضد بنفسه جروحاته . اعلن المنكرون  
انه استقر به ثابا السلطنة . مختصا بالمخالفم والاحكام . لهجت الالسن

ماں الناصر سوف يعقد لابنته على طييفا . لم يتم الزواج ، فلا استطيع  
الجرم هل فكر سلطاننا بهذا لولا ؟؟ كما انى والحق نقول ، لست عليما  
بكل الامور ولم يتبحر طييفا معى فى حكايها النساء . مرة واحدة فقط  
كنت حديث معرفة به . شاورنى فى شراء جارية سوداء يقال لها ، اتفلق  
العوادة ، ضحك وقال ، فلمجرب سماع جوارى السودان

حدث ان بعض اللثم اشاعوا انه رتب امرا مع تاجر الرقيق الحبشى  
ليحضر له صغار الجوارى السودان ، قالوا إنه يهوى ذلك ، اعود الى  
ملكنا فيه . فاقول ان بعض الامراء اتركهم الغضب ولولهم طشتم  
جندار ، ذهبوا والسلطان لللاون فى طريق العودة ، داروا فى الكلام ،  
تعجبوا . كيف يامر سلطان المسلمين بقرار طييفا وهو مزال غضا طريا  
- كل صغير السن شابا فى هذا الزمان - نائبا للسلطنة ، يحكم فى المطام  
الكبيرة ويكمل حقوق المؤمنين والايتم ، اصفى اليهم دار براسه  
اليهم ، قال اهذا كل ما عندكم ؟ قالوا والله نحن نخاف سلطاننا ، قال  
وعيناه فى الارض لا تحيدان . غوروا من وجهى . لو كررتم هذا لقطعت  
لجسامكم والقسمكم وحوش الارض . ارتجلوا . تقهقروا . استدركوا  
فطربهم واسرعوا إلى خط التباة . السكون فى الدار . العبيد يقفون فى  
الزوايا والاركن ، حتى نائب لها . هزراسه ادعوا لنا حتى نشفى من  
جروحنا اطلبوا لنا الرحمة والمعرفة

نزل الليل ناعما كزيت البلسان . الصيف انتكسرت حديثه . فى كل  
ليلة يتوجه اهل العلم واصحاب المعرفة من القوارىخ إلى بيت طييفا  
القائم عند خط التباة . السكون فى الدار . العبيد يقفون فى الزوايا  
والاركن ، حتى بعد استقراره نائبا للسلطنة بقى فى بيته . لى الطلوع  
إلى القلعة ، هنا نكون اقرب إلى خلق الله . هكذا قال . حمل الخدام  
فوارخ الصحنون من بعد ان فرغ الحضور من العشاء . قال الشيخ  
سراج الدين انه جهز من الالغاز ما يعجز الجلوس عنه . تنذر يلغا  
البحيلوى امير لخور واعز اصحاب الامير طييفا . انكل سيحلون الالغاز  
عدا انت يا شيخ سراج ، لوح الشيخ بيده . انشد

تراها في المجيء وفي الذهاب  
وتكسو الناس انواع الثياب

ودات دؤابة تنجر طولاً  
وما لبست مدى الأيام ثوباً

تحداهم الشيخ ان يحلوا اللعز ، علت الأصوات ، كثرت  
التفسيرات ، طييفا هادئ ينتظر إلى الجلوس ، وجهه مريح لكنه  
عبوس ، يفكر في أمور بعيدة لا تعرف ما هي ، أخبرني فيما بعد انه  
يضيق بالكلام لو دار والف ثم استكان ، تنقل الليالي في نظره ، بفارقه  
الأصحاب فيغرق في الحيل ، ما اصل الحياة ؟ تمضي بنا إلى أي حل ،  
ضحك الشيخ سراج ، صاح أقول لكم ، هي الامرة ، لم يكد يشرع في  
الحديث حتى علا صوت صياح في الخارج ، الزعيق لرجف مياه النافورة  
التي تنزل السكينة في الجو ، قال يلعبا البحيلاوى عقيب ، من يجرف  
على الصباح ؟

خرج طييفا يلتحف بهامة حرير شاهاني اصفر  
قال العبيد لا تؤاخذنا بامولانا ، لا شيء يعكر الهدوء ، خطا عبر  
الحديقة

برر شاب يرتدى ملوطة ممزق الشهاب جالحظ العينين من فزع ،  
انطرح ، قبل الارض ، اعلمه طييبا ، اخذه ، شاب مليح حلو الصورة  
صوته مرتعش ، لنا خازن السروج ، رليننى كثيرا ، هز طييفا راسه ،  
اخذه العجب ، يراه كل يوم يصع سرجه فوق الحصان ولم يحفظ  
خلقه ، ربما لم يعر بالنظر إليه ، رمت على كتفه ، بكى الشهاب ،  
لا تؤاخذوني بامشايخ ، اندفع شاكيا باكيا ، ناديا حظه ، منذ اسابيع  
تزوج بنت ناس رفيقى الحال ، لكنها ذات حسن وجمال وكمل ، ويشاء  
الحظ ان يلعبها في سوق الشماعين

الامير جنكلى اس المايا ناهز السبعين ، عرف عنه ميله الشديد إلى  
صغيرات السر ، ويقال انه لا حول له ولا قوة معهن ، بمجرد ان راها ،  
طاش عقله ، ضاع صوابه ، قال هاتوا لى هذه ، لا انام حتى تكون  
عندي ، قام رجاله وراعاها ، زفقوها عند سوق الخيل ، الوقت غروب ،  
احاطوها ، لفحوها ثم ولوا

بكى خازن السروج ، امراته يتيمة ، مسكينة ستموت لتوما ،  
يحبها ، يحبها والدنيا فيها الكثير من الحريم ظمادا امراته من دون  
المساء ؟

قال الشيخ محب بن نياته ، وما تظنه سيفعله لك اميرنا طيبغا ؟ ثم  
اشرق طيبغا مقدار درجة ، ضاق برد الشيخ ، تعلقت عيون الباقيين  
بوجهه ، إذا سخط على الشاب سخطوا عليه ، إذا ابدى الترقق تهووا  
به ، طمانوا لرواحهم ان الامر سيعدى ، ليست الحادثة الاولى التى  
يأتيا ابن الدنيا ، وهو صاحب سطوة وهيبة ، يخالفه الكثيرون  
مال الامير يلبغا همس في اذن طيبغا قل له مثل ذلك غير ان طيبغا  
قام فجأة ، نزع عياعته ، صاح على الشاب ، قم وجهز ركبي ، التفت ،  
لا ينالم هادئا في بيته وقد لجا إليه صاحب مظلة .  
نزل الارتياح والخوف على الوجوه ، الغافل جنكلى بن البلبا قال  
الشيخ سراج ، تعرض نفسك لخصومته يا امير .

ازداد طيبغا قبحا في هذه اللحظة مع انه في سبيل فعله الخير ، قال  
لن يرضى سلطاننا بمثل هذه المظالم قال يلبغا ، لكن حدث الكثير من  
ذلك ولسان حاله يقول ، لماذا تستفرك الحادثة بالذات ؟

لم يجب طيبغا ، خرج لساعته ، كنت مهوما عليه ، وانصرفوا كلهم  
حتى يلبغا البحيلاوى ربما انقلبت الامور فيدهم طيبغا في بيته عندئذ  
يؤخذون قلت والله لا امضى حتى اعرف ما جرى ، واوغل الليل في  
العتمة ، عظم البرد ، خلت نفسى في ليل شتاء عفى

وارتحت القاهرة رجا شيعيا ، رجفت الكفن بما جرى وكفن ، صار  
العلمة في الأسواق والذعر واسفل العياق ، ولوبشش الناس الشلاق ،  
لا يلوكون الا ما جرى ترامي الامر بسرعة كصفير الشرر لو دب في  
الفن العظيم ، فوجهه واشعله ، اقول وقد سمعت ما دار يادى ، إن  
الحديث واحد في الحوارى والطرفات ، بين الحريم في البيوت ، فوق  
الاسطح ، وكلما قللت انسانا يترك بسؤال ، هل دريت بما كان ؟  
والحق معهم ، فلم يحدث في سالف العصور والازمن . لن اميرا اقل

رثية من امير على الشأن . يجبره على التراجع في امر اتاه ولم يعد في  
حسبان

وزاد الامر هولا ان طيبغا وجنكلى مملوكان لسلطان واحد ، اثار هذا  
حفيظة ارباب الجاه . قالوا فعلها طيبغا ، فرج عليها العوام لكن  
طيبغا داع امره واشتهر . وصار كل من عنده مظلمة يقول . هيا نذهب  
إلى طيبغا ، فيسال من هو ؟ فيقال هو من رد امرأة خازن السروج إلى  
زوجها بعد ان خطفها امير كبير جنكلى بن البابا



حكى الشيخ جلال الدين الكندرى في تاريخه المعروف ( الطريق  
الامن إلى حقيقة اهل القرن الثامن ) قال لما شاع امر طيبغا قلت لم يمر  
على شخص كهذا . والله لأذهبن إليه ، اراه واحادثه بنفسى ، وحدثه  
متواضع الثياب . بيته قليل الريش . رايته يبيع الوحه غليظ الشفة  
الدغ اللسان . بطيء الكلام غير انى قلت ليس هذا ذا شان  
قلت كيف تنقد امرأة واحد من العوام وتعدى حنكلى وهو من  
عشيرتك وابناء جنسك ؟

قال بلسان بطيء . تحرق ظمى المطالم . السماع بها لو رؤيتها ،  
تعمل وتلبع . وقديما مشيت في الركاب حطفتنا العمائم من فوق رؤوس  
الناس اوقع اصحابى شيوخ كبار كنا صغار غير انى ارانى لحال  
القوم الذين يطل من عيونهم السؤال شكوت ليلبعا صاحبى حالى ،  
لكنه قال ما الذى تطالبه من الدنيا وانت في احسن حال ، عندك  
ما تشتهى من جوارى الروم والسودان . هل ستحمل الدنيا على رأسك  
وتمشى تصرخ بها ؟ للكون رب يجره

في ليل آخر سالت يلغا كيف مات الف الف اسنان في الوباء الاعظم  
قال يلغا ماتوا شهداء . قلت وما الفرق ان يموت ابن آدم شهيدا او غير  
شهيد قال يلغا ، انت تحيرى يا امير لم اطل معه . سكت . لكن قل  
لى يا شيخ جلال الدين وانت رجل مطلع ، كيف تمام وكل يوم يقع من

المظالم ما تنكسر منه الجبال ؟ اطرقت حرت في جوابه . شفت عليه في الكلام . هل ستعدل الدنيا يا امير طييفا ؟ رددت مخطوفة إلى روجها . فقلت الكون واقبت الامراء وهيجت الخواطر واحقدت النفوس . فما بالك لو شرعت في فض المظالم ؟ صاح طييفا والله لا اسمع بمظلمة إلا وابدل دمي في سبيل رفعها عن صاحبها والله لا ارد عن ماضي صاحب سؤال اقول الحقيقة ، اننى قتت من املته وعبدى رهبة زائدة وحيرة مما اسمعه لى . غير ان الايام جاءت بالغريب



ضرب الامراء مشورة اتفقوا على طلوع طشتمر الحنذار وستقر الخنذار . إلى السلطان كجك بن الناصر محمد بن قلاوون . ركبوا خيلهم . النهار في لوله . قبل الارض بين يدي السلطان احبر طشتمر والدمع يجرى من عينيه . الاحوال فسدت والامور اضطربت ما عاد للسادة حرمة في الديار احمر وجه كجك . كل صغير السن . لم يمض عليه منذ اعتلائه السلطنة غير ايام . ما الخمر ؟ انخفض صوت طشتمر . نائب السلطنة يا مولاي اتى جرما عظيما وفعل مهولا . منع هدم ربع قديم . كل لابد من ازالته لئتمكن الامير اقباي من بناء جامعهم . ولما رآهمه اقباي في ذلك . قال طييفا ان الميت به سبعمائة نفس . اين يروحون ؟ تصور يا مولاي . يحول دون قبلم بيوت الله . الادهى من ذلك ينصف العامة على اقباي . ضاعت هيبتنا بسببه . سهم السلطان ثم قال . شوفوا يا امراء لا تبت حتى اشاور اهل الراى . صلحا ومن هم اهل الراى . مولاي السنا رجالك ؟ قال كجك بصوت خفيض اوصافنا والدنا بطييفا ثم انى لا ترى فيما اتاه دنيا شنيعا يا امراء تفكروا انه لول من رمى نفسه وغزى في احر قلاع الكفار قالوا وهما جرغان وبنت الله يا سلطان المسلمين يا حامي الدارين ؟ قال كجك امنحه ارضا حلاء من القطاى في الريدانية

هيا إلى العشاء قام . في هذه الايام ازدادت قسوته طولا . عظمت مهابته لم يسمع انسان في بر مصر ينكره مقرونا بقبحه . لو عدم

ملاحته ، فلم إلى فناء الدار رجال الصوئية من اتباع البطل المجاهد  
سيدى احمد البدوى واتباع القطب سيدى الدسوقى وسيدى الرفاعى  
عليهم جميعا الفصل السلام ، احشرونا يارب فى ركبهم ، وعزز بامثالهم  
الاسلام ، العشاء اباحه طييفا لكل دى حلجة اقول ان مطبخ الدار  
يبدى كل يوم ملته رأس غنم وثلاثمائة طير ، غير الفلكته والنقل  
والمشموم ، يفتح المطبخ فى اليوم مرتين ، ساعة الغداء يدخل الفقراء  
والايتام فاذا ما فرغ الواحد منهم قام فيجىء غيره فى العصر ينفض  
الغداء ، غالبا لا يحضر طييفا يكون مشغولا بالطواف فى الحواري  
والاسواق يسمع لرباب الشكاوى والحلجات ، بفص المنارعات ، اما  
العشاء فيتصبر فيه المائدة ، يعطر ضيوفه ، يعرف واحدا لو اثنين ،  
الكل وجوه غريبة ، لكنهم ينظرون إليه ، عيوبهم ترميه ، تفرقه  
ينظرات حب وحسان كأنهم يعرفونه من قبل ولادته ، من سالف الزمان ،  
كنت لواطب على المجيء اما الشبح سراج وغيره فاحتجبوا عنه  
وصاحبه يلغا ، بل سمعت من يقول ، يلغا يرمى صاحبه بالحيون  
سبحانك مغير النفوس والعقول إذ ان طييفا عن ذلك ابعد ما يكون ،  
مال على وقال دعوت طشتمر الجندار وفقت اللقمة فى حلقي  
كيف ؟ لا يمر يوم إلا ويطلع اللقمة ، يحط فيك عند السلطان ، سيقظ  
الامر مكيدة لمسكه قال طييفا وغيره كثيرون ليس بيبي وبينه  
ما يستحق هذا ، طشتمر لم اجلسه فى حياتى لا انكر شكله ، قلت  
لكنه يعرف كل كبيرة وصغيرة يا امير ضحك طييفا ويصيف اكثر مما  
يعرف قل انت ما الذى بينى وبينه ؟ اطرفت والله لا اعرف ، كلامك  
يا طييفا بسيط ، لكنه معجز عن الجواب واعر دعاء الجلوس فى  
ابنى ، قلت ربما حب العامة لك افسد عليهم حالهم سألنى كيف ؟ قلت  
الناس كلها تلج الآن بذكرك ، يقولون لو كلمهم على مثل طييفا لصار  
الحال ولا فى الخيال ، تراجع وبدا حشما مهيبا ، عليه حرمة زائدة ،  
لا افعل إلا ما يرضى ربي ، قلت وعندى تتجلى لسلن ، إذا كانوا  
يطلعون اللقمة ويدسون عليك ويحطون فى حثك الفارغ والملائن ، اطلع  
انت مرة واحدة إلى كجك ولا تقل اكثر من الحقيقة قال بايجاز ، لم



يطلبني كدت أوصل الكلام ، سكت ، لم أحر جوابا ، الليل يوغل  
 ناعما وطشتم لم يصل . ربما قال ، يهينني طيبعا بدعوتي للأكل مع  
 العوام ، تزايد صوت الصوفية حتى بدا كعيم الجمال في وجه السماء  
 ساعة الغروب ، تربع طيبغا اغعض الجفنين يشدن يقطر من وجهة ،  
 اصغى إلى العجوز الذي يتلو الأوراد ضلربا عصاه الحديد بقطعة  
 صغيرة ، يخرج أحلى الانغام . الدنيا مركب بلا ريلن ، بحار  
 بلا شيطان . المسافرون فيها عميان ، نزلوا القيعان كشلوا وكان ، سيدنا  
 حبيب القدمان ، أه يا حسين عليك الفضل الصلاة والسلام جرى  
 المدمع من عيون الرجال احسست بقلب طيبغا مضيقا في اصعب حل ،  
 يا شهيد يا حبيبي ، يا من افتدتك أم العلام ، ابنك مدبوح في حجر  
 وانت لم تدمان ، تطلعت حولى ، الجدران عليها مهابة . ماء الورد في  
 الأركان والحجارة لها عطر سلسيل والله في الدماء رائحة اليلسان أود  
 لو تعرف ما يقولون عنك يا أمير ، كان ساهما ، يصفى بلحمه بعظمه ،  
 محبسه ، بنفسه ، ولو راه الغريب لظن انه في اشد واد حرت فيما  
 يفكر فيه ، أه لو انفذ إلى عقله فاعرف ، اقول الحقيقة ، الحيرة تاخذني  
 امامه ، شق جوف الليل صوت زغاريد تتلعط من بعيد ، ملت عليه ،  
 طشتم لم يكلف نفسه إرسال من يموب عنه سكت ، سكت ، قلت إنها  
 إهانة نظر إلى ، وكان الليل يدرك منا النخاع ، سامحك الله يا ابن  
 الحداد



ركب قاضي الحنابلة فحلا قويا وقصد بين قاضي القضاة ، ترجل  
 ودخل القاعة الكبرى . حيث جلس قاضي الحنفية ، وقاضي الشافعية ،  
 وقاضي المالكية . يتصدر المجلس الشيخ عبد البر قاضي القضاة ،  
 سلموا وتناقشوا في أمور شتى حتى أثار قاضي الحنابلة حقيقة ما جاءوا  
 من أجله . منذ شهر مضت قل مصيب كل منهم من القضايا  
 والشكاوى . صار القاضي يجلس في شرفته ليأمر وينهى . فلا يجد من  
 يجيئه ويشكو إليه ، سرقة أو خطف . أو حتى قتل ، فيقوم الواحد

آخر للنهار كيسه خال من أى درهم رطلان . كلن بجىء من رسوم  
المزارعات ولما استقصوا فى الامر . وجبوا شيئا طيعيا . الامر طيعيا  
نائب السلطنة بدا ينزل بنفسه الى الحوارى والطرقا يطلع الربوع  
ويدخل الحفلات يسال ارباب الحلجت وحدث الكثيرون انه لوتى من  
الفترة بحيث ينهى اشد الامور تعقيدا فى ثوان . حتى لهجت السنة  
الناس بالسب فى حق القضاة

قال قاضى الحنفية . انه سمع قطلا يتهم قاضى المالكية بقبول البرطيل  
من الاموال فيغلب المظالم على المظلوم صاح قاضى المالكية انه ترامى  
إليه من يتهم قاضى الحنفية بأن عينه حافت فى امرأة شكت زوجها  
عنده علت الاصوات . اشتد الزعيق . بلن الغضب فوق الجباه . نزع  
قاضى الحنفية جيبته . لا اكون قاضيا بعد اليوم . إيش دخل طيعيا فى  
حوائج الناس ؟ رد عليه قاضى المالكية . لاند لن غرضه عظيم . لم  
يسمع بمثل هذا فى قديم الزمان . طيعيا يخفى غرضا لنيما هو تقويض  
دعائم الاسلام . قلوا فى نفس واحد . نقيم عليه الحجة والبينة انه  
جدا فى حق مولانا رسول الامم نجبر السلطان على الامر مرجعه  
انطرق قاضى القضاة سبكون امرا مكشوقا مفصوحا . حاصة واللعين .  
لا يفوته فرض . يجمع حوله الفراو يش . سالوا . ما العمل إذن والحال  
منقلب . نحيره ان ما يفعله هذا يرمى إلى كسب العامة والأوباش .  
عندئذ يسهل له الركوب على مولانا هل شغتم اخذت منه . يدعى الزهد  
ويعلى رجاله فى كل مكان . طيعيا لن يبقى على مظلمة ويقتصر للمظالم من  
المظلوم . حتى إذا استطلال امره وعلا بجمه اظهر ما عنده . فانهى  
الملك . بلذمة يا مشايخ . هل سمعتم فى تاريخ دولة الترك بديل مصر  
عن امير ياخذ على عاتقه فض المظالم . يفتح بيته لاولاد الحرام . ياكلون  
فيه ويشربون قلوا والله ما سمعنا بمثل هذا صاح شيخ الحنابلة  
انه لو طى فلسق همس قاضى القضاة تمسح وجهه ابتسامة لها رائحة  
لعبير . ليس وقته يا شيخ لحمد ليس وقته

لم يكذب بعباد المؤمنين في الأذان حتى علت ضجة وكفكة من ناحية جامع  
 الحسين . ويذكر عباد الله يومئذ أن الكل قالوا طيبغا مقبل طيبغا قادم  
 من ناحية أم الغلام ، سرى في الجمع كالماء في أرض الشراقي . طيبغا  
 وصل . مالت الرؤوس أصغت الأذان كان الأنفس في الصدور موج علا  
 وهاج يذكر اسمه ، وفي صحن الجامع كانت الشمس تسطع والضوء في  
 الفراغ يلعب ، دارت العيون ترمق الرجل الذي انتشر اسمه في سائر  
 جهات مصر ، حتى أن الكثيرين من الناس . توافدوا إليه يشكون  
 حالهم . وكثيرا ما بجيئه فلاحون . يقول الواحد منهم ، يا أمير اخذوا  
 أرضي وشاقوا عني حملي ومالي ، ولا أجد القوت . فيرسل معه من رجاله  
 ما يريد له أرضه . رغم الأمراء لن طيبغا كلن يهب كل من شرق وغرب ،  
 يستحب للناس مهما قالوا له حتى اختلت الأحوال . لكني أقول وأنا  
 واثق أن طيبغا لم يفصل في أمر إلا بعد تأكده وتحققه منه . ما عليما  
 أقول أن اليوم جمعة ، وطيبغا يرتدى الخشن من الثياب ، حوله  
 رجال ، خليط فقراء وعامة جهلاء . ثلاثة أو أربعة من كبار الأغنياء -  
 لزموه ولم يفارقوه . كان طول النهار يجول الطرقات ، وشاب احبب له  
 طلوع في ظهره وصدره يصيح امامه ، والعجيب أن صوته قوى جهورى  
 حتى تحاله يطلع من غير جسمه . من له مظلمة ليعرضها على نائب  
 السلطنة طيبغا ، يتقدم الناس منه . منذ يومين مشى في شارع  
 الصليبية ، قام بنفسه بتسخير الاجمان والبيض ، والخضار  
 والسنبوسك . وقد اثار هذا المحتسب . قال في رجاله وأنا باعمل إيش ؟  
 لكنه لم يجرؤ على النزول ورفع السعر من بعد خفضه . ولو فعل لاكنه  
 الناس . وهذا من مآثر طيبغا فقد كلن المحتسب ظلما غشوما ، يفرض  
 الاسعار والمكوس على هواه لعنه الله ولزال نعمة عن أمة الاسلام  
 لم يكذب القاضي عبد البر يسلم وتنتهى الصلاة حتى التف القوم حول  
 طيبغا يبتسمون له ببذلهم الكلام كأنه واحد من العوام ، والله كنت  
 اعيب عليه هذا - قلت يا أمير انت كبر المقام فتعامل معهم باحتشام  
 غير انه نثر في وقال . كلنا اولاد لحواء ولبناء لآدم . ثم هؤلاء العوام

عفيفو السلطان ، ولو عرفهم الواحد منا لما قيل عنهم ما قيل . وتصانف  
 في هذه اللحظة . ان خرج من الجامع ثلاثة امراء كانوا يصلون بجوار  
 القاضي عبد البر اول الصفوف . بقول الحقيقة كانت لهم هيبة يلبس كل  
 منهم الكلفة والعصابة المراكشة . كانوا في غاية الابهة الامير طشتمر  
 الجندار - وسنقر الخاريدار . ويلبغا وكان قد انقلب على طيبيغا وتناعد  
 عنه . تهامسوا وتساءل طشتمر يافقه زائدة عن الزحام . وتصانف في  
 اللحظة ان واحدا من شلاق الناس صاح . انظروا الفرق بين الصالحين  
 وبين ظلمة الاسلام . لغت القول اعلى الناس . سمعت من يقول اليس  
 هذا ( يقصد طيبيغا ) من جنس هؤلاء ؟ قال آخر اليس هذا ( يقصد  
 طيبيغا ) اعلى مقاما من هؤلاء ؟

اكتفرت وجوه الامراء من الغضب صار الناس يرموهم بجمل  
 المضرات . تراهنوا فيما بينهم عما سيفعله طيبيغا . ثمة قاتل انه  
 سيتقدم منهم ويسلم عليهم . وآخر يزعم انه سيدنومهم ويقطع  
 هدومهم ويمرهم في الوحل . بهدوء تكلم طيبيغا مع الخلق . الامراء  
 منه على مسيرة اقدام . لم يرم اليهم حتى بسلام . ولا بدا عليه انه  
 لحظهم ولا سمع الناس وهم بلوحون لهم . ويجهرون لهم بالكلام  
 الفاحش المنكى



( هات ما عندك ) اطرق طشتمر . همس بصوت خفيض الامير  
 طيبيغا يا مولاي ، رفق السلطان . قلت لكم طيبيغا اوصلنا ابونا عليه  
 وله عندي حرمة فما اريد سماع الكلام فيه . الليل ناعم . الدفء في  
 العروق والواصل . لين الحشايا يتسرب إلى الدم والمفاصل . همس  
 طشتمر . صوته يزداد انكسارا اصغى الامراء كافة . اعرف يا مولاي .  
 لكن يعني إلى حدث جلال . زم سلطاننا شفقيه . قال طشتمر . داب  
 طيبيغا مدعى الزهد والصلاح على السهر في بيته يقرع اولاد الحرام  
 كوسا من الخمر وفي ليل امس طار دماغه حتى انه وقف في صحن داره  
 وهو يصيح لا تؤاخذني مولاي . خيم الصمت المهول على القاعة .

ارتجف البيذ في الدنلى راح السكر من العقول ، رعى السلطان قل  
ما عندك ! قال طشتمر والامى العظيم في صوته وقف يا مولاي وندى  
ناعلى صوته هاتولى ققط هاتولى ققط اتا عزيز ققط طق  
شرار الغضب من عيسى السلطان كجك ، رعى الدورق في الارض ضرب  
حدار الرخام ، طلب من طشتمر الكف عن الكلام )



لما شاع امر مخطوطة « ابن الحداد » ، وانتشرت بين العوام والفقهاء  
والمشايخ ومسافر الناس قام الشيخ الجليل والعالم التودعى الفضيل  
احمد بن عبد المقصود الهندى بتأليف فصل في الرد على ابن الحداد .  
ولد فضيلته عام ١٠١٦ ومارال بدرس الفقه في الازهر الشريف

### « الهام أهل الصناد بلرد على ابن الحداد »

اقول ولا استغنى غير وجه الحقيقة ، وإنقاذ الصديق التائه في الليالى  
الغميقة ، انه ما من موضوع طرفنى ، وأخذ من الكد والجهد بلرد  
موضوع ذاك اللعين الدجل الأمير طيبعا لق ستر من اينال ، فقد  
سمعت ما يتناقله عنه الجهال منذ ما يزيد عن مائتين من الاعوام ،  
ودفعنى هذا إلى استجلاء الامر ، فتبين لى انهم يحكون عنه الكثير  
بلا اصل ولا سند ، من ذلك قولهم ان السلطان كجك يدس له السم  
اليطيء حتى قتله . وصب هذا علمه ان طيبعا صاح في احد محامسه  
هاتولى ققط وققط هذه محتلية السلطان السودانية ولايد ان هذا  
صحيح ، فابن الحداد نفسه يذكر اول كلامه عشق طيبعا للحوارى  
السودان اقول واستعفرك رعى انه بعد اطلاعى على مصاعر كثيرة  
ومؤلفات عديدة ، ان طيبعا لم يكن يهوى الجوارى السودان - بل كان  
يهيم ويعشق الغملل السودان . كان فاسقا لعيبا لا يستقيم له حال ،  
فكيف يتانى له كل ما يقل من معجرات لا يصدها عقل ولا حتى في  
خيال

اقول هل عجز السلطان عن قتله لو شئته حتى يدس له السم  
اليطيء ؟

يقول ابن الحداد ان كجك خاف هياج العامة . وانهم صاروا بعد موت طييفا يلعنون كجك . وإذا ما سمعوا بركبه خرجها الى مكان اقبلوا عليه كالجراد المنتشر . يسمعونه فلحش الالفاظ . ويكون عليه في الكلام . حتى انهم في مرة كانوا يقتلونه مما اغضب السلطان . وامر بالقبض فيهم على ألف انسان وبيعهم تحت الليل . هكذا اسد طييفا الرعية على مولاها . وسبحان من له الدوام . ثم كيف يقتله السلطان وهو اول من مشى في جنزته . ولا أجدي هنا سلخر من حكايات ابن الحداد التي صاغها عن أيام الوفاة . لخبث طييفا . اطل الله مدة احتضاره . فبلغت اربعين يوما كاملا . وهذا لم يحدث لمومن حق في غابر أو حاضر الأزمان

يزعم ابن الحداد ان العامة غصت بهم الدار . وفد الفلاحون من الأرياف جماعات جماعات . ينترون الدور للسيدة زينب . يتشفعون عند سيدي زين العابدين . وسافرت جماعات منهم الى سيدي المجاهد احمد البدوي . يسألونه ان يشفي طييفا

قال ابن الحداد . اوصي طييفا بتوزيع إقطاعاته كلها على فقراء الفلاحين العوام بعد موته . حتى يستقينه . نخيله . ما يقع في رماحه من طرح النهر . اقول كيف يطلب الفلاحون له الشفاء وإطالة العمر . وهم ينتظرون موته لياخذوا أرضه . اليس هذا من تخليط ابن الحداد ؟ ثم يطلع علينا هذا الفقيه المجنون الماجور . برواية غريبة عن يوم الوفاة . إذ يقول في الليلة التي طال احتضاره فيها . وبلغت الدم من فمه خيوطا . قام واحد من دراويش الصوفية . صاح في الناس انه اغفى ههنا . إذ به يرى في المنام شيخا مهيبا . جلبابه ابيض . ذقنه عظيمة . يشك في انه الخضر عليه السلام . قال إذا كنتم تريدون لطيفا الشفاء . اقرأوا صحيح البخاري ثلاثة آلاف مرة . وسورة يس أربعة آلاف مرة بصوت عال . قال الدراويش هذا . بسرعة تضامن العوام احضروا الفقهاء بدلوا يقرأون في صحن الدار .

يقول ابن الحداد . ان العوام ربدوا وراء الفقهاء ما يقرءون . حتى ارتجت السماء رجاً مهولاً . ارتعشت المدينة من الفزع والرهبة . الطرقات اقفرت خيم عليها رحمة . حتى ان القلوب غاصت في الصدور . وكانت ان ترمى كل ذات حمل حملها

يزعم ابن الحداد ان كل واحد من الناس . تمنى لو اعطى طيبفا من حياته لكن قبل طلوع النهار . قبل انتهاء الفجر من النلاوة . شهق طيبفا شهقة مريضة . انخلعت لها قلوب الخلق . طق في راسه فرخ جعر . انحبس نفسه . وانكم حسه قيل ان السماء اسويت سواندا حالكا . ساعتها ودوت الفرقة من بعيد . حتى ظن الحضور ان الدنيا عمت عليها القارعة . وحانت المازلة . وصرخت النساء وقفن يتعين طيبفا بالمطارات . اقول ان طيبفا هذا لو كان صالحا فعلا . لو كان عارفا بالاصول . وراعيا للناس . لكن شفى ببركة قراءة صحيح البخارى . وتلاوة سورة يس المباركة . وبفضل طلوع سيدنا الخضر عليه السلام في المنام

يزعم ابن الحداد ان الحلوانية صنعوا تماثيل لطيبفا من السكر . علقوها في البيوت والحانات . ولمزال الجهال يشربونها . وان العلامة بعد موت طيبفا لو حانت بواحد منهم مظلمة . صاح والله انى ذاهب الى قبر طيبفا اشكو له الحال . ولو كان بعيدا لارسل له الرقاق . وهذا عين الجهل . مما يؤكد ما ذكرناه من الاحوال

## صدر المؤلف

● لوراني شبيب عاش منذ الف عام طبعية لولى ١٩٦٩ طبعه رابعة ١٩٨٠ مجموعة قصص

( طبعه خاصة دار صلاح الدين - القدس المحتلة )

● لرض - لوش - طبعه لولى ١٩٧٢ طبعه ثانية ١٩٨١ مجموعة القصص  
● الزيدى مركات طبعه لولى ١٩٧٤ طبعه ثالثة ١٩٨٥ رواية  
● الزويل طبعه لولى ١٩٧٥ طبعه ثانية ١٩٨٠ قصص

( طبعه خاصة من دار الأسوار - عكا )

● وقائع حارة الرعافى طبعه لولى ١٩٧٦ طبعه ثانية ١٩٨٥ رواية  
● الحصار من ثلاث جهات طبعه لولى ١٩٧٥ طبعه ثانية ١٩٨١ مجموعة القصص  
● حكايات الغريب طبعه لولى ١٩٧٦ طبعه ثانية ١٩٨٣ مجموعة القصص  
● ذكر ما جرى طبعه لولى ١٩٧٨ طبعه ثانية ١٩٨٠ " :  
● الرفاعى طبعه لولى ١٩٧٨ طبعه ثانية ١٩٨٠ رواية  
● خطط الفيظى طبعه لولى ١٩٨٠ رواية  
● كتاب التحليلات طبعه لولى ١٩٨٣ مبروت دار الوحدة  
( السفر الاول ) طبعه لولى ١٩٨٣ القاهرة دار المستقل رواية  
العربى

● كتاب التحليلات ( السفر الثانى ) ١٩٨٥

● اتحاد الرمان بحكاية جلمى السلطان طبعه لولى ١٩٨٤ مجموعة قصص  
● لحرش المدينة طبعه لولى ١٩٨٤ كتاب اليوم مجموعة قصص

■ دراسات ومشاهدات

● المصريون والعرب ١٩٧٤  
● حراس البوابة الشرقية ١٩٧٥  
● نجيب محفوظ بذكر ١٩٨٠  
● مصطفى امين بذكر ١٩٨٣  
● ملاحم القاهرة فى الف عام ١٩٨٣  
● اسحلة القاهرة ١٩٨٤

■ تحت الطبع

● كتاب التحليلات ، السفر الثالث .

● ● ● ●





مطبعة النجف و المطبعة

ثقافة اليوم وكل يوم

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

مطبعة النجف و المطبعة

اسعار كتاب اليوم

في الخارج

الكتاب ٢٠٠٠  
الكتاب ٣٥  
الكتاب ٤  
الكتاب ١٠٠  
الكتاب ٥٠  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ٣٥٠

الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥

الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥

الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥

الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥

الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥  
الكتاب ١٥

• • • • • كتاب اليوم • أول مايو • • • • •

# أبناء الميت

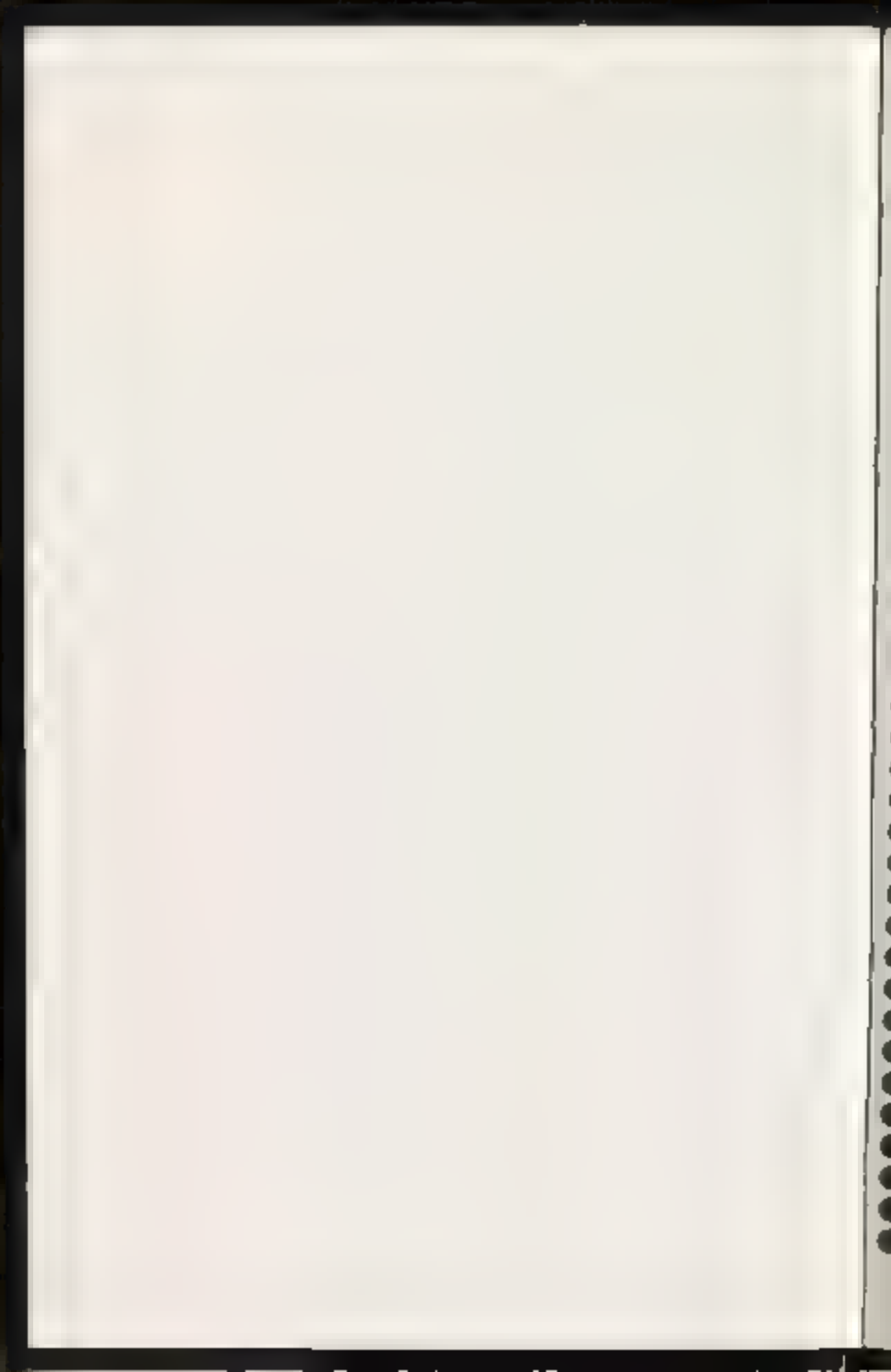


للأديب القصصي  
مجيّد طوبيا



إفماض المين ؟    تلون عاتية ؟  
للذكرى    تكلوى ملاك الموت الفصيح !  
الوليف ؟    الوباء الرمىدى ؟

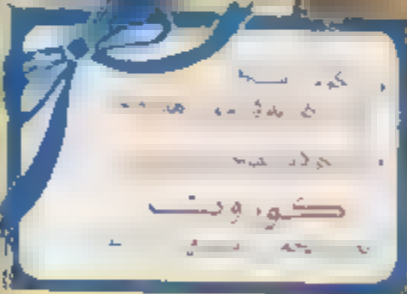
• • • • • ترقب صدوره • • • • •



أعلى وأشهى ما يقدم

مستمتع

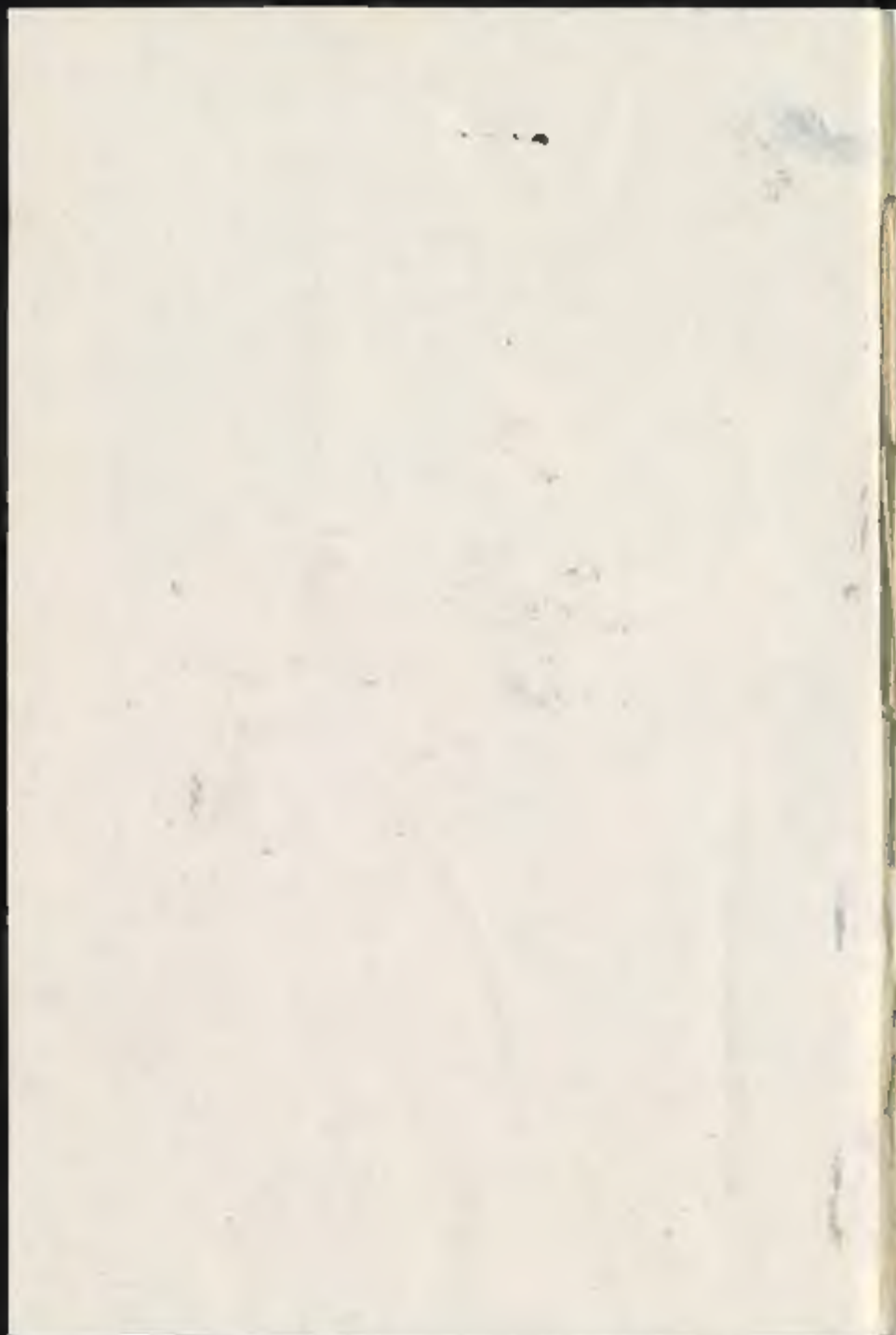
كورون  
Corona



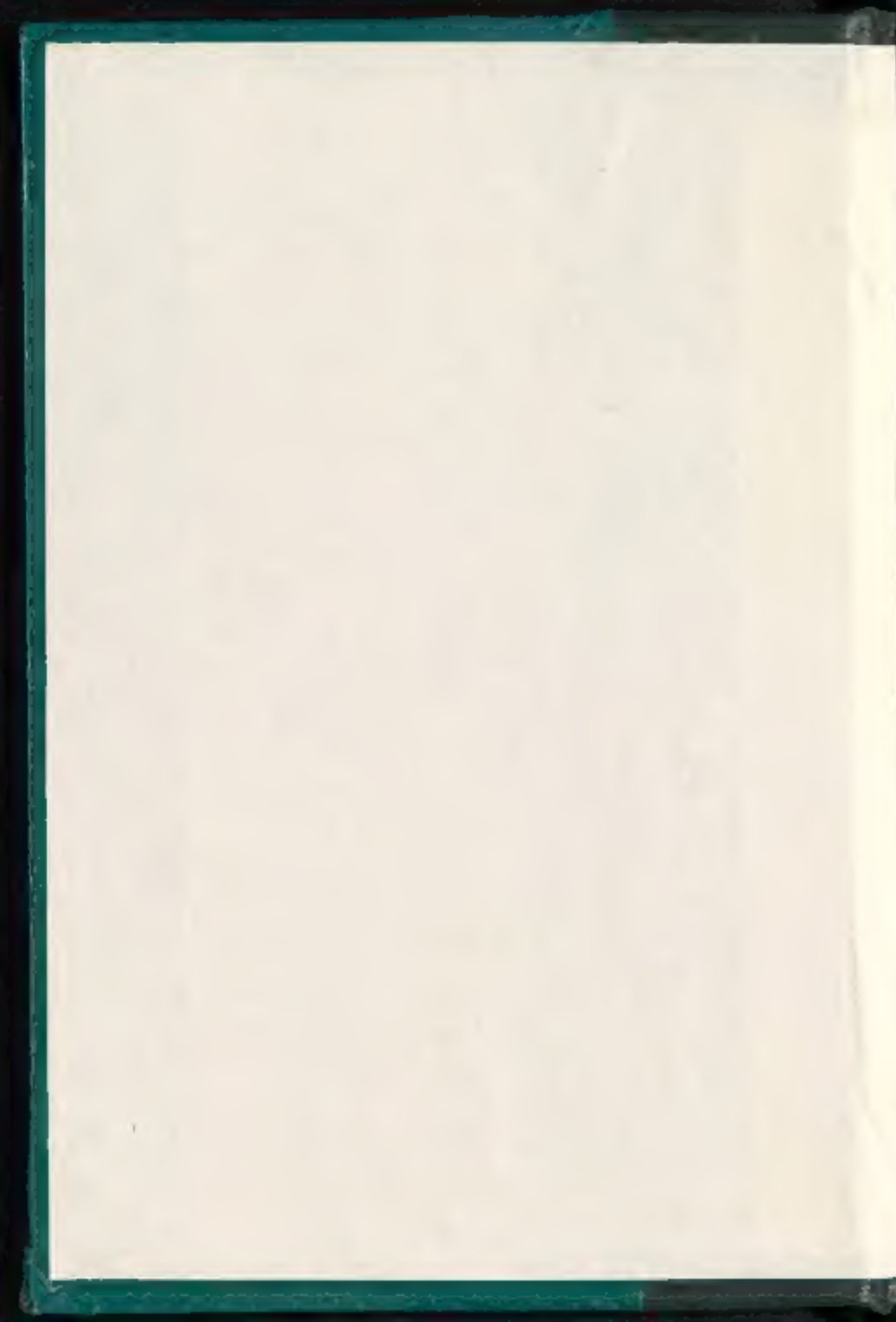
شركة الإسكندرية للأحلبات والسيكولاتة

صنع في الإسكندرية - مصر

٥٠ قرش







PJ  
7826  
H67  
A75  
1985